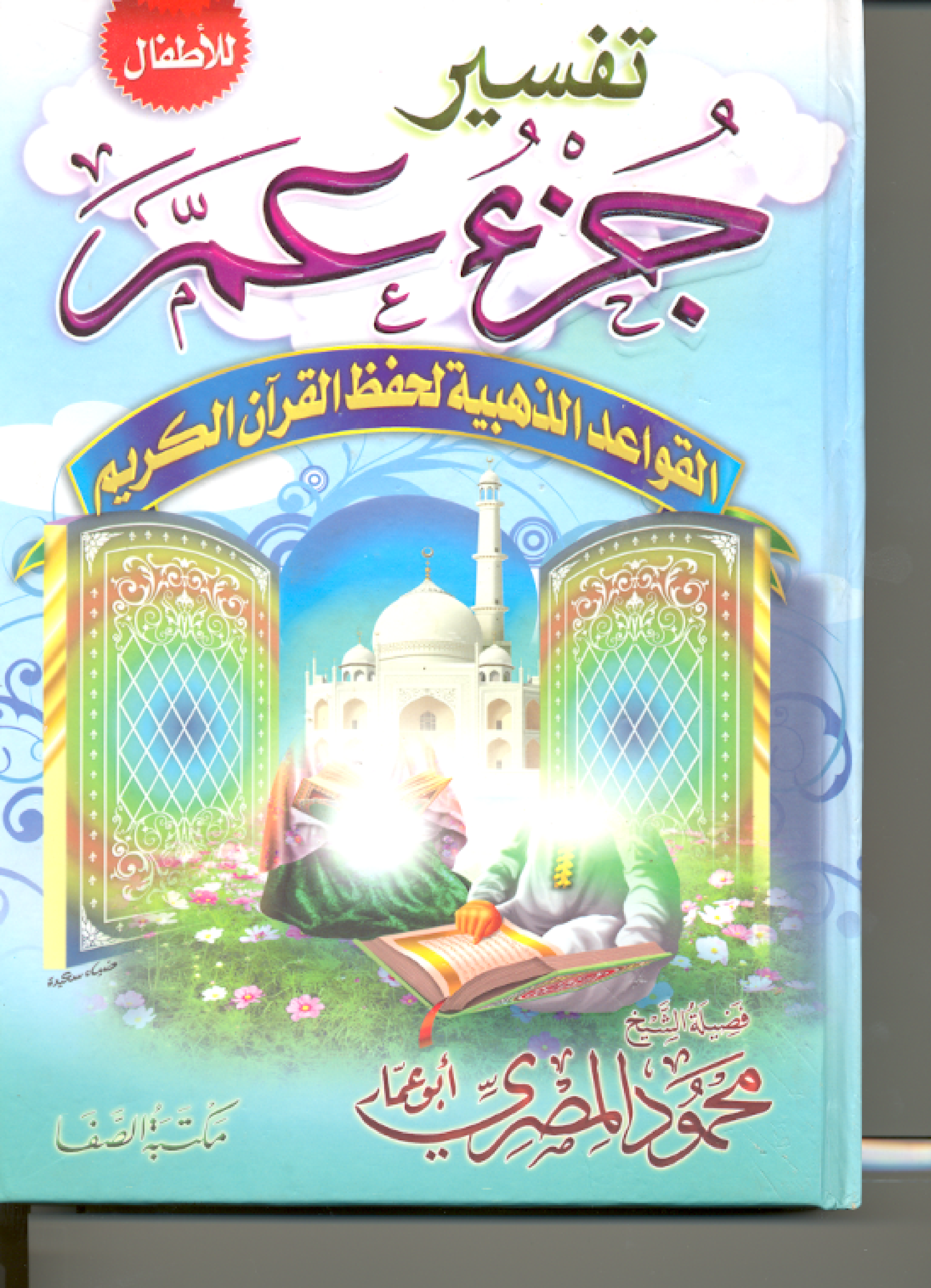


للأطفال
تفسير
جزء عم
القواعد الذهبية لحفظ القرآن الكريم
فضيلة الشيخ
محمود المصري
أبو عمار
مكتبة الصفا

تفسير
جزء عم
لِلأطفال

بسم الله الرحمن الرحيم

ربنا تقبل منا
إنك أنت
السميع العليم

الطبعة الأولى

١٤٣١هـ - ٢٠١٠م

رقم الإيداع: ٢٠١٠/٣٨٢٤



مكتبة الصفا

١٢٧ ميدان الأزهر، القاهرة ت: ٢٥١٤٧٣٢٠
أمام الأزهر، خلف الجامع الأزهر ت: ٢٥١٤٧٩٧٤/ ٠١٠١٤٣١١١٤

مطابع

تليفاكس: ٢٢٩٩١٥٦٦



القواعد الذهبية لحفظ القرآن الكريم

فضيلة الشيخ



أبو عمار

مكتبة الصفا



مقدمة الناشر

الحمد لله رب العالمين، والصلاة والسلام على أشرف المرسلين، سيدنا محمد وآله وصحبه أجمعين.

وبعد:

فالإسلام هو دين الهدى والنور، الذى لا سعادة للبشرية ولا أمن لها، ولا سعادة فى الدنيا والآخرة، إلا عندما تهتدى بهداه، وتستضىء بنوره، مخلصة فى عبوديتها لله الخالق، تأتمر بأمره، وتتبع منهجه، نابذة كل منهج من المناهج الأرضية المخالفة له.

والأولاد أمانة فى أعناق الوالدين، والوالدان مسؤولان عن تلك الأمانة، والتقصير فى تربية الأولاد خلل واضح، وخطأ فادح؛ فالبيت هو المدرسة الأولى

للأولاد، والبيت هو السلبنة التى يتكون من أمثالها بناء المجتمع، وفى الأسرة الكريمة الراشدة التى تقوم على حماية حدود الله وحفظ شريعته، وعلى دعائم المحبة والمودة والرحمة والإيثار والتعاون والتقوى: ينشأ رجال الأمة ونساؤها، وقادتها وعظماؤها.

والولد قبل أن تربيه المدرسة والمجتمع، يربيه البيت والأسرة، وهو مدين لأبويه فى سلوكه الاجتماعى المستقيم.

ومكتبة الصفا تقوم بدورها فى توعية المجتمع بواجباته الدينية والاجتماعية كما تعودت دائمًا، فبعد أن وفقها الله لطباعة ونشر القرآن الكريم، ونشر كتب التفسير والحديث.

ونشر كتب الداعية الكبير فضيلة الشيخ «محمود المصرى».

نقدم اليوم دُرة تضاف إلى مطبوعاتنا وهو كتاب «تفسير جزء عم للأطفال» لفضيلة الداعية محمود المصرى.

استطاع فيه - حفظه الله - أن يتحدث مع الأطفال بلغة عصرية جميلة.

يعلمهم فيه أصول دينهم، عن طريق القصص والحكايات.

وسترى أخى القارئ الكريم مدى السلاسة والسهولة التى تميزت بها عبارات هذا الكتاب حتى يناسب عقول رجال المستقبل.

ونعدكم أخى القارئ الكريم بمزيد من المطبوعات فى كافة المجالات، التى نرجو من الله عز وجل أن يتقبلها منا قبولاً حسنًا وأن ينفع بها الإسلام والمسلمين.

إنه نعم المولى ونعم النصير.

والحمد لله رب العالمين، وصلى الله وسلم على نبينا محمد وعلى آله وصحبه أجمعين.



جعلها الله منارًا لخدمة العلم والدين

بين يدى الكتاب

إن الحمد لله، نحمده ونستعينه، ونستغفره، ونعوذ بالله تعالى من شرور أنفسنا وسيئات أعمالنا، من يهده الله فلا مُضل له، ومن يُضلل فلا هادى له، وأشهد أن لا إله إلا الله وحده لا شريك له، وأشهد أن محمداً عبده ورسوله ﷺ.

﴿يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا اتَّقُوا اللَّهَ حَقَّ تُقَاتِهِ وَلَا تَمُوتُنَّ إِلَّا وَأَنتُم مُّسْلِمُونَ﴾(١).

﴿يَا أَيُّهَا النَّاسُ اتَّقُوا رَبَّكُمُ الَّذِى خَلَقَكُم مِّن نَّفْسٍ وَاحِدَةٍ وَخَلَقَ مِنْهَا زَوْجَهَا وَبَثَّ مِنْهُمَا رِجَالًا كَثِيرًا وَنِسَاءً وَاتَّقُوا اللَّهَ الَّذِى تَسَاءَلُونَ بِهِ وَالْأَرْحَامَ إِنَّ اللَّهَ كَانَ عَلَيْكُمْ رَقِيبًا﴾(٢).

---

(١) سورة آل عمران: الآية: (١٠٢).
(٢) سورة النساء: الآية: (١).

﴿ يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا اتَّقُوا اللَّهَ وَقُولُوا قَوْلًا سَدِيدًا ۝٧٠ يُصْلِحْ لَكُمْ أَعْمَالَكُمْ وَيَغْفِرْ لَكُمْ ذُنُوبَكُمْ وَمَن يُطِعِ اللَّهَ وَرَسُولَهُ فَقَدْ فَازَ فَوْزًا عَظِيمًا ﴾(١).

أما بعد:

فإن القرآن الكريم هو كتاب الله الذى ختم به جميع الرسالات ... وهو منهج حياة متكامل يكفل للعبد السعادة فى الدنيا والآخرة فهو كلام الله المُعجز الذى لا يأتيه الباطل من بين يديه ولا من خلفه.

فلقد كانت البشرية قبل مبعث النبى ﷺ تعيش فى ظلمات الشرك والكُفران فجاء النبى ﷺ بكتاب الله (عز وجل) ليُخرج الكون كله من ظلمات الشرك والكفران إلى أنوار التوحيد والإيمان، ولذا قال تعالى عن هذا الكتاب العظيم: ﴿ الر كِتَابٌ أَنزَلْنَاهُ إِلَيْكَ لِتُخْرِجَ النَّاسَ مِنَ الظُّلُمَاتِ إِلَى النُّورِ بِإِذْنِ رَبِّهِمْ إِلَى

(١) سورة الأحزاب: الآيتان: (٧٠، ٧١).

صراط العزيز الحميد ﴾[1].

فتحولت الأمة بهذا الكتاب من الشرك والجاهلية إلى الهداية والتوحيد، ومن عبادة العباد إلى عبادة رب العباد، ومن أمة تعيش على هامش الحياة إلى أمة تأخذ بزمام البشرية كلها إلى سعادة الدارين.

* تأمل قول أمنا عائشة رضي الله عنها حينما سُئلت عن النبى ﷺ فقالت - كما عند مسلم -: «**كان خُلقه القرآن**».

فمن أراد أن يتخلق بخُلق النبى ﷺ فعليه بالقرآن وبسُنة سيد الأنام ﷺ.

بل لقد كان أصحاب النبى ﷺ يعلمون يقينًا أن النصر لا يأتى إلا إذا اعتصمت الأمة بكتاب ربها وسُنة نبيها ﷺ.

فها هو سعد بن أبى وقاص رضي الله عنه يمر على خيام المجاهدين - فى معركة القادسية - فإذا سمع القرآن من تلك الخيمة يقول: من هنا يأتى النصر، وإذا

(1) سورة إبراهيم: الآية: (1).

وجـد أهل الخيـمة التى بجـوارها غافلين عن قـراءة القرآن قال: ومن هنا تأتى الهزيمة. فلا عزَّ للأمة إلا فى التمسك بكتاب ربها (عز وجل).

فهيا يا أطفال اليوم . . . ويا رجال الغد إلى النبع الصافى . . إلى كـتاب الله (عز وجل) فـأقبلوا على حفظه ومدارسته والعمل بما فيه ليرفع الله قدركم فى الدنيا والآخرة وليرفع البـلاء عن الأمة ويُنزل نُصرته على عباده الموحدين.

فاللهم ارزقنا حفظ كتابك والعـمل بما فيه -ابتغاء وجهك الكريم -.

وصلى الله على نبينا محمد وعلى آله وصحبه وسلم.

وكتبه الفقير إلى عفو الرحيم الغفار

محمود المصرى

(أبو عمار)

فضل تلاوة القرآن

هيا بنا لنعلم فضل تلاوة القرآن حتى نحرص كل الحرص على تلاوة القرآن آناء الليل والنهار.

قال تعالى: ﴿إِنَّ الَّذِينَ يَتْلُونَ كِتَابَ اللَّهِ وَأَقَامُوا الصَّلَاةَ وَأَنفَقُوا مِمَّا رَزَقْنَاهُمْ سِرًّا وَعَلَانِيَةً يَرْجُونَ تِجَارَةً لَّن تَبُورَ (٢٩) لِيُوَفِّيَهُمْ أُجُورَهُمْ وَيَزِيدَهُم مِّن فَضْلِهِ إِنَّهُ غَفُورٌ شَكُورٌ﴾(١).

وقال ﷺ: «إن لله تعالى أهلين من الناس» قالوا: مَنْ هم يا رسول الله قال: «أهل القرآن، هُمْ أهل الله وخاصته»(٢).

وقال ﷺ: «أوصيك بتقوى الله تعالى؛ فإنه رأسُ كلِّ شيء، وعليك بالجهاد، فإنه رهبانية الإسلام، وعليك

---

(١) سورة فاطر: الآيتان (٢٩، ٣٠).

(٢) صحيح: رواه ابن ماجه (٢١٥) في المقدمة، وأحمد (٣/ ١١٨٧)، وصححه العلامة الألباني رحمه الله في صحيح ابن ماجه (١٧٨).

بذكر الله تعالى وتلاوة القرآن؛ فإنه رَوْحُكَ فى السَّماء، وَذِكْرُكَ فى الأرض»(١).

وقال ﷺ: «خيْرُكم من تعلَّم القرآن وعلَّمه»(٢).

وقال ﷺ: «إن الله تعالى يرفعُ بهذا الكتاب أقوامًا ويضع به آخرين»(٣).

وعن أبى موسى الأشعرى رضي الله عنه قال: قال رسول الله ﷺ: «مَثلُ المؤمن الذى يقرأ القرآن مثلُ الأُترجَّة(٤) ريحُها طيِّب وطعمها طيِّب، ومثل المؤمن الذى لا يقرأ القرآن مثلُ التَّمرة لا ريح لها وطعمها حُلو، ومثل المنافق الذى يقرأ القرآن مثل الرَّيحانة ريحُها طيِّب وطعمها مُرّ، ومثلُ المنافق الذى لا يقرأ القرآن كمثل

---

(١) **صحيح**: رواه أحمد (١١٣٦٥)، وصححه العلامة الألباني رحمه الله فى السلسلة الصحيحة (٥٥٥).

(٢) **صحيح**: رواه البخارى (٥٠٢٧) كتاب فضائل القرآن.

(٣) **صحيح**: رواه مسلم (٨١٧) كتاب صلاة المسافرين وقصرها.

(٤) **الأترجة**: بضم الهمزة والرَّاء وهى معروفة من فصيلة الحمضيات طيبة الرائحة.

الحنظلة ليس لها ريحٌ وطعمُها مُرٌّ»(١).

وعن أبى أمامة الباهلى رضي الله عنه قال: سمعتُ رسول الله ﷺ يقول: «اقرؤوا القرآن فإنه يأتى يوم القيامة شفيعًا لأصحابه»(٢).

وقال ﷺ: «يقال لصاحب القرآن: اقرأ وارْقَ ورَتِّلْ كما كنتَ تُرَتِّل فى دار الدنيا، فإن منزلتك عند آخر آيةٍ كنت تقرؤها»(٣).

وقال رسول الله ﷺ: «الماهر بالقرآن مع السفرة الكِرَام البَرَرَة، والذى يقرؤه ويَتَتَعْتَعُ فيه، وهو عليه شاقٌّ، له أجران»(٤).

---

(١) متفق عليه: رواه البخارى (٥٤٢٧) كتاب الأطعمة، ومسلم (٧٩٧) كتاب صلاة المسافرين وقصرها.

(٢) صحيح: رواه مسلم (٨٠٤) كتاب صلاة المسافرين وقصرها.

(٣) صحيح: رواه أبو داود (١٤٦٤) كتاب الصلاة، والترمذى (٢٩١٤) كتاب فضائل القرآن، وأحمد (٦٧٦٠)، وصححه العلامة الألبانى رحمه الله فى السلسلة الصحيحة (٢٢٤٠).

(٤) متفق عليه: رواه البخارى (٤٩٣٧) كتاب تفسير القرآن، ومسلم (٧٩٨) كتاب صلاة المسافرين وقصرها.

وقال رسول الله ﷺ: «من قرأ حرفًا من كتاب الله فله به حسنة، والحسنة بعشر أمثالها، لا أقول: ﴿الٓمٓ﴾ حرف، ولكن ألفٌ حرف، ولامٌ حرف، وميم حرف»[1].

وقال رسول الله ﷺ: «من سَرَّه أن يحبَّ الله ورسوله فليقرأ في المصحف»[2].

وقال رسول الله ﷺ: «لا حَسَدَ إلاَّ في اثنتين: رجلٌ آتاه الله القرآن، فهو يقوم به آناءَ الليل وآناءَ النهار، ورجلٌ آتاه الله مالاً، فهو ينفقه آناء الليل وآناء النهار»[3].

وقال رسول الله ﷺ: «لا حَسَدَ إلاَّ في اثنتين: رجلٌ علَّمه الله القرآن، فهو يتلوه آناء الليل وآناء النهار،

(1) صحيح: رواه الترمذي (٢٩١٠) كتاب فضائل القرآن، وصححه العلامة الألباني رحمه الله في السلسلة الصحيحة (٣٣٢٧).

(2) حسن: رواه البيهقي في شعب الإيمان (٢/٤٠٨)، وحسنه العلامة الألباني رحمه الله في السلسلة الصحيحة (٢٣٤٢).

(3) متفق عليه: رواه البخاري (٧٣) كتاب العلم، ومسلم (٨١٦) كتاب صلاة المسافرين وقصرها.

فسمعه جارٌ له، فقال: ليتني أوتيتُ مثل ما أوتيَ فلان، فعملتُ مثل ما يعمل.....»(١).

وقال رسول الله ﷺ : «يَجِيءُ القرآنُ يوم القيامة فيقول: يا رب، حلِّه، فيُلبس تاج الكرامة، ثم يقول: يا ربِّ! زِدْهُ. فيُلْبَسُ حُلَّةَ الكرامة، ثم يقول: يا ربِّ، ارضَ عنه. فيرضى عنه، فيقول: اقرأ، وارق، ويزداد بكل آية حسنة»(٢).

❋ ❋ ❋

---

(١) صحيح: رواه البخاري (٥٠٢٦) كتاب فضائل القرآن.

(٢) حسن: رواه الترمذي (٢٩١٥) كتاب فضائل القرآن، وحسنه العلامة الألباني رحمه الله في صحيح الجامع (٨٠٣٠).

آداب تلاوة القرآن

القرآن كلام الله تعالى.... كلامه على الحقيقة، نزل به جبريل الأمين على النبى محمد ﷺ، تكلم به ربنا حقيقة.

قال الله تعالى: ﴿وَإِنْ أَحَدٌ مِنَ الْمُشْرِكِينَ اسْتَجَارَكَ فَأَجِرْهُ حَتَّىٰ يَسْمَعَ كَلَامَ اللَّهِ﴾[1]، وتلاوة القرآن واجبة على المسلم، كما قال تعالى: ﴿فَاقْرَءُوا مَا تَيَسَّرَ مِنَ الْقُرْآنِ﴾[2]، ولتلاوة القرآن آداب ينبغى للقارئ مراعاتها حتى يبارك له فى تلاوته، وينال الأجر كاملاً، وأنا أذكر بعون الله تعالى وحوله وقوته ما تيسر منها، فمن ذلك:

(١) سورة التوبة: الآية: (٦).
(٢) سورة المزمل: الآية: (٢٠).

• الأدب الأول: النية الصالحة:

بمعنى الإخلاص فى التلاوة لله تعالى، فإن العمل إذا لم يكن خالصًا لوجهه تعالى لم يُقبل، كما قال تعالى: ﴿وما أُمروا إلا ليعبدوا الله مُخلصين له الدين حُنفاء.....﴾(١)، وقال ﷺ: «**إن الله تعالى لا يقبل من العمل إلا ما كان له خالصًا، وابتغى به وجهه**»(٢) فينبغى لقارئ القرآن أن يخلص نيته لله تعالى، ولا يقرؤه رياءً ولا سمعةً... بل يكون نيته نيل الأجر والثواب الموعود على قراءة القرآن.

وكذلك يجب عليه أن ينوى بقراءته الاهتداء بكتاب الله تعالى، والعمل به، ولزوم أحكامه، وتعلم كيف يرضى الله عز وجل.

---

(١) سورة البينة: الآية: (٥).

(٢) صحيح: رواه النسائى (٣١٤٠) كتاب الجهاد، وصححه العلامة الألبانى رحمه الله فى السلسلة الصحيحة (٥٢).

• الأدب الثاني: الاحتساب:

وذلك بأن يرجو ثواب قراءته من الله تعالى، ويلتمس بها موعود الأجر الذي وعد به النبي ﷺ حيث قال: «من قرأ حرفًا من كتاب الله فله به حسنة، والحسنة بعشر أمثالها، لا أقول: ﴿الٓمٓ﴾ حرف ولكن ألفٌ حرف، ولامٌ حرف، وميمٌ حرف»(1).

• الأدب الثالث: تلاوة القرآن على طهارة:

وهو أعظم للأجر، وأكمل أن يكون الإنسان متطهرًا وهو يقرأ القرآن فإن قرأ على غير وضوء جاز. وذلك إذا كان يقرأ عن ظهر قلب.

• الأدب الرابع: التطهر لمسّ المصحف:

فقد قال النبي ﷺ: «لا يمسّ القرآن إلا طاهر»(2).

(1) صحيح: رواه الترمذي (٢٩١٠) كتاب فضائل القرآن، وصححه العلامة الألباني رحمه الله في السلسلة الصحيحة (٣٣٢٧).

(2) صحيح: رواه الطبراني في الكبير (١٢/٣١٣)، وفي الصغير (٢/٢٧٧)، وقال الهيثمي (١/٢٧٦): رجاله موثقون، والديلمي (٥/ ١٦)، وصححه العلامة الألباني رحمه الله في صحيح الجامع (٧٧٨٠).

وإن كان بعضُ العلماء أجازوا مسَّ المصحف من غير وضوء، ولكن الأفضل أن يتوضأ المسلم قبل أن يمسَّ المصحف، فهذا أقرب للخشوع وحضور الملائكة.

• الأدب الخامس: استقبال القبلة:

واستقبال القبلة ليس شرطًا لقراءة القرآن ولكن استقبال القبلة أدعى للخشوع واستحضار القلب.

• الأدب السادس: تلاوة القرآن جالسًا:

وهذا أبلغ فى توقير كتاب الله تعالى، وتعظيم شعائره، فإن قرأ واقفًا أو ماشيًا جاز، فإنه ﷺ: «**كان يذكر الله على كل أحيانه**»[1].

• الأدب السابع: التسوك:

لتطييب رائحة الفم الذى يخرج منه كلام الله تعالى، ففى الحديث أن النبى ﷺ قال: «**إذا قام**

(1) صحيح: رواه مسلم (٣٧٣) كتاب الحيض.

أحدكم يصلي من الليل فليستَك، فإن أحدكم إذا قرأ في صلاته وضع مَلَكٌ فاهُ على فيه، لا يخرج من فيه شيء إلا دخل فم الملك»(١). وهذا فضل عظيم جداً لقيام الليل، ولتلاوة القرآن في صلاة الليل. فينبغي للمسلم مراعاة هذا الأمر.

• الأدب الثامن: القراءة ترتيلاً:

وذلك بقراءة القرآن على مَهل، وإقامة ألفاظه وحروفه، ومراعاة أحكام تلاوته، فقد قال تعالى: ﴿ وَرَتِّلِ الْقُرْآنَ تَرْتِيلًا ﴾(٢).

• الأدب التاسع: تحسين الصوت بالقراءة:

وهذا من آداب التلاوة، فقد قال النبي ﷺ: «زيِّنوا القرآن بأصواتكم، فإن الصوت الحسن يزيد

---

(١) صحيح: رواه البيهقي في شعب الإيمان (٢/ ٣٨١)، وتمام في الفوائد (١/ ٣٦٧)، وصححه العلامة الألباني رحمه الله في صحيح الجامع (٧٢٠).

(٢) سورة المزمل: الآية: (٤).

القرآن حُسنًا»(١).

وقال ﷺ: «ما أذن الله لشيء ما أذن لنبي حسن الصوت يتغنى بالقرآن، يجهر به»(٢)، فينبغي لقارئ القرآن أن يحسن به صوته ما استطاع، فإن الملائكة تستمع قراءته. بل وحتى الناس تحب أن تستمع للقارئ ذي الصوت الحسن، فتحسين الصوت مما يرغب الناس في سماع كلام الله تعالى.

● الأدب العاشر: التحزن والتخشع:

فينبغي لقارئ القرآن أن يخشع، وأن يَحْزَن -أو يتحزن. أي: يتكلف الحزن والخشوع- ليس رياءً ولا سمعة، وليس تظاهرًا أمام الناس، فهذا رياء. لكن يحاول أن يستجلب الحزن والخشوع، حتى تتم

(١) صحيح: رواه الحاكم (١/٧٦٨)، والدارمي (٣٥٠١)، وصححه العلامة الألباني رحمه الله في السلسلة الصحيحة (٧٧١).

(٢) متفق عليه: رواه البخاري (٥٠٢٣) كتاب فضائل القرآن، ومسلم (٧٩٢) كتاب صلاة المسافرين وقصرها.

استفادته من القرآن، فقد قال النبي ﷺ : «أحسن الناس قراءة الذي إذا قرأ رأيت أنه يخشى الله»[1]، وقد قيل: إن هذا التحزن هو المقصود من قوله ﷺ : «ليس منا من لم يتغنَّ بالقرآن، يجهر به»[2].

• الأدب الحادى عشر: البكاء أو التباكى:

فينبغى لقارئ القرآن أن يبكى ما استطاع، وهو يقرأ كلام الله تعالى، فإن لم يفعل فليتباك أى: يتكلف البكاء، وقد قال تعالى: ﴿إِذَا تُتْلَىٰ عَلَيْهِمْ آيَاتُ الرَّحْمَٰنِ خَرُّوا سُجَّدًا وَبُكِيًّا﴾[3]، وقال عز وجل: ﴿إِنَّ الَّذِينَ أُوتُوا الْعِلْمَ مِن قَبْلِهِ إِذَا يُتْلَىٰ عَلَيْهِمْ يَخِرُّونَ لِلْأَذْقَانِ سُجَّدًا (١٠٧) وَيَقُولُونَ سُبْحَانَ رَبِّنَا إِن كَانَ وَعْدُ رَبِّنَا لَمَفْعُولًا (١٠٨) وَيَخِرُّونَ لِلْأَذْقَانِ يَبْكُونَ وَيَزِيدُهُمْ خُشُوعًا﴾[4]، وقال تبارك

---

(١) صححه العلامة الألبانى رحمه الله فى السلسلة الصحيحة (١٥٨٣).

(٢) متفق عليه: رواه البخارى (٢٣، ٥) كتاب فضائل القرآن، ومسلم (٧٩٢) كتاب صلاة المسافرين وقصرها.

(٣) سورة مريم: الآية: (٥٨).

(٤) سورة الإسراء: الآيات: (١٠٧-١٠٩).

وتعالى: ﴿ وَإِذَا سَمِعُوا مَا أُنزِلَ إِلَى الرَّسُولِ تَرَى أَعْيُنَهُمْ تَفِيضُ مِنَ الدَّمْعِ مِمَّا عَرَفُوا مِنَ الْحَقِّ ﴾[1]، وإنما يتحقق هذا البكاء والخشوع باستشعار عظمة الله وجلاله، وأنه الذى تكلم بهذا القرآن. وهذا البكاء دليل على حضور القلب عند تلاوة القرآن.

وكم رأينا من أناس يبكون لقصيدة حزينة، أو لأغنية معينة، فمن باب أولى أن يبكوا عند سماع القرآن وتلاوته.

• الأدب الثانى عشر: التدبر والتفكر:

وهو من أعظم آداب التلاوة، ومن أوجبها على القارئ، ولا يكاد القارئ يستفيد من تلاوة القرآن من غير تدبر. وقد حث الله عليها، وذم من تركها، فقال سبحانه وتعالى: ﴿ أَفَلَا يَتَدَبَّرُونَ الْقُرْآنَ أَمْ

(١) سورة المائدة: الآية: (٨٣).

عَلَىٰ قُلُوبٍ أَقْفَالُهَا ﴾(١)، وترك التدبر نوع من الهجران لكتاب الله تعالى، فإن من قرأ القرآن ولم يتدبر معانيه فقد هجره.

فينبغي للقارئ أن يتدبر، وأن يعقل كلام الله تعالى، ويتأمل فيه، ليعرف مراد الله عز وجل منه، وذلك حتى تكتمل استفادته من القرآن.

• الأدب الثالث عشر: السؤال والاستعاذة ونحو ذلك:

وهذا من آداب القرآن، ومن آداب تلاوته، وكان النبي ﷺ «**إذا مر بآية خوف تعوَّذ، وإذا مر بآية رحمة سأل، وإذا مر بآية فيها تنزيه الله سبَّح**»(٢) وهذا الفعل من القارئ دليل على تدبره، وخشوعه، ومعايشته للقرآن، وأنه يحيي الآيات التي يقرؤها، ويتفاعل معها. فليحرص على ذلك قارئ القرآن.

---

(١) سورة محمد: الآية: (٢٤).

(٢) صحيح: رواه مسلم (٧٧٢) كتاب صلاة المسافرين وقصرها، بنحوه.

• الأدب الرابع عشر: القراءة باللسان مع حضور القلب:

فلا يكتفي القارئ فقط بالقراءة بقلبه، بل يحرك بالقرآن لسانه حتى تنشغل هذه الجارحة بذكر الله تعالى، بل بأفضل الذكر، فمن المعلوم أن قراءة القرآن هي أفضل وأعلى أنواع الذكر على الإطلاق؛ لأنها تقرُّب إلى الله تعالى بتلاوة كلامه. ومعلوم أن العبادة إذا أتى بها الإنسان بالقلب واللسان كانت أفضل من أن يأتي بها بقلبه فقط. فإن العبادة إذا اشتركت فيها عدة جوارح كان ثوابها أعظم.

• الأدب الخامس عشر: مد الصوت بالقرآن:

فإن النبي ﷺ: «**كان يمد صوته بالقرآن مدًا**»(١)، وهذا يُعين أكثر على التدبر والتفكر، وهو

---

(١) صحيح رواه البخاري (٥٠٤٥، ٥٠٤٦) كتاب فضائل القرآن.

أبعد عن العجلة فى تلاوة القرآن.

• الأدب السادس عشر: عدم التكلف والتقعر فى أثناء القراءة:

فإن هذا مما يفسد التدبر، ويفسد جمال القراءة، أن يتكلف الإنسان فى القراءة، فيفتح شدقيه عن آخرهما، ويبالغ فى تحقيق الأحكام -بزعمه- فيفسد القراءة ويصبح ثقيلاً على السامعين، لكن إذا اجتهد فى قراءة القرآن، ملتزمًا بأحكام التلاوة بإتقان من غير تكلف فإن هذا هو السنة.

• الأدب السابع عشر: ألا يختم فى أقل من ثلاثة أيام:

وهذا هو ما أرشد إليه النبى ﷺ . . . وهو الأقرب إلى التدبر، والتفكر، والخشوع، وأداء حق التلاوة، وقد قال النبى ﷺ لابن عمرو رضي الله عنهما:

«اقرأ القرآن فى كل شهر... - إلى أن قال- لا يفقهه من يقرؤه فى أقل من ثلاث»[1].

وعنه ﷺ أنه: «كان لا يقرأ القرآن فى أقل من ثلاث»[2].

• الأدب الثامن عشر: تعاهد القرآن بالتلاوة:

وهذا لابد منه، فهو دوام ارتباط بالله تعالى، وبكلامه، وهو أدوم للحفظ وأعون عليه، ومنع لتفلته، وقد قال ﷺ: «تعاهدوا القرآن، فوالذى نفسى بيده لهو أشد تفصيًا من قلوب الرجال من الإبل فى عُقُلها»[3]، والتفصى: هو الذهاب والتفلت.

(1) رواه أحمد (٦٥١٠)، وقال شعيب الأرناؤوط: إسناده صحيح على شرط الشيخين، وصححه العلامة الألبانى رحمه الله فى السلسلة الصحيحة (١٥١٣).

(2) صحيح: أخرجه ابن سعد فى الطبقات (١ / ٣٧٦)، وصححه العلامة الألبانى رحمه الله فى السلسلة الصحيحة (٢٤٦٦) بشواهده.

(3) متفق عليه: رواه البخارى (٥٠٣٣) كتاب فضائل القرآن، ومسلم (٧٩١) كتاب صلاة المسافرين وقصرها.

والمقصود سرعة نسيان القرآن لمن لم يتعاهده دائماً بالمراجعة والتلاوة.

• الأدب التاسع عشر: العمل بالقرآن:

وهذا من أعظم آدابه، إن لم يكن أعظمها فقد أُنزل القرآن للعمل به أصلاً، ومن قرأ القرآن ولم يعمل به فقد هجره، والله عز وجل يقول: ﴿وَقَالَ الرَّسُولُ يَا رَبِّ إِنَّ قَوْمِي اتَّخَذُوا هَذَا الْقُرْآنَ مَهْجُورًا﴾[1].

• الأدب العشرون: الاجتماع على قراءة القرآن وتدارسه:

وهذا مما ندب إليه النبي ﷺ، فإنه ﷺ قال: «ما اجتمع قوم في بيت من بيوت الله، يتلون كتاب الله، ويتدارسونه بينهم، إلا نزلت عليهم السكينة، وغشيتهم الرحمة، وحفَّتهم الملائكة، وذكرهم الله فيمن عنده»[2].

---

(١) سورة الفرقان: الآية: (٣٠).

(٢) صحيح: رواه مسلم (٢٦٩٩) كتاب الذكر والدعاء والتوبة والاستغفار.

وهذا الاجتماع والتدارس مما يعين على زيادة الاستفادة من القرآن، وتعلم أحكامه، غير أنه ينبغى أن يتآلف الجالسون على القراءة.

• الأدب الحادى والعشرون: التفرق عند الاختلاف على القرآن:

فكما أنه يُستحب للناس أن يجتمعوا على قراءة القرآن، فإنه ينبغى لهم إذا اختلفوا فى شىء منه، من ألفاظه، أو أحكامه، أو غير ذلك، وطال الاختلاف، وخُشى من عاقبة الخلاف، ينبغى لهم أن يتفرقوا، خشية أن ينزغ الشيطان بينهم فيحرش بينهم، وقد قال ﷺ: «**اقرؤوا القرآن ما ائتلفت عليه قلوبكم، فإذا اختلفتم فيه فقوموا**»[1].

(١) متفق عليه: رواه البخارى (٥٠٦٠) كتاب فضائل القرآن، ومسلم (٢٦٦٧) كتاب العلم.

• الأدب الثاني والعشرون: عدم طلب الدنيا بالقرآن:

فينبغي للقارئ ألا يطلب الدنيا بالقرآن، ولا يلتمس به الحظوة عند الناس، ولا يستأكل به، ولا يطلب به المال، ولا يستكثر به، فقد قال ﷺ: «**اقرؤوا القرآن، واعملوا به، ولا تجفوا عنه، ولا تغلوا فيه، ولا تأكلوا به، ولا تستكثروا به**»[(1)]. ومن وقع في شيء من ذلك فقد أفسد عمله، وأحبطه، وضيَّع نفسه.

• الأدب الثالث والعشرون: التوسط بين الغلو والجفاء:

فقد قال تعالى: ﴿وَكَذَٰلِكَ جَعَلْنَاكُمْ أُمَّةً وَسَطًا﴾[(2)].

وقال ﷺ: «**أحب الأعمال إلى الله أدومها وإن قلّ**»[(3)].

فقد نجد من يقرأ القرآن كله في ليلة ثم يهجره

---

(1) صحيح: رواه أحمد (3-151)، وصححه العلامة الألباني رحمه الله في السلسلة الصحيحة (260).

(2) سورة البقرة: الآية: (143).

(3) متفق عليه: رواه البخاري (6464) كتاب الرقاق، ومسلم (783) كتاب صلاة المسافرين وقصرها.

لمدة شهرين كاملين وهذا خطأ كبير . . . فينبغى أن نتوسط ونداوم على التلاوة ولو من خلال تحديد جزء للقراءة اليومية لا نتركه أبدًا.

• الأدب الرابع والعشرون: الإكثار من قراءة السور التى ورد الفضل فى قراءتها:

مثل سورة البقرة، وآل عمران، والكهف، وبنى إسرائيل (الإسراء)، والزمر، وتبارك، والمعوذات، وغيرها.

والله أعلم.

فهذا ما يسَّر الله به من آداب تلاوة القرآن، وعدتها أربعة وعشرون أدبًا، والحمد لله رب العالمين[1].

---

(١) للاستزادة: فتح البارى (٨/ ٦٨٥) وما بعدها، التبيان فى آداب حملة القرآن للنووى، إتحاف فضلاء البشر للبنا. تحقيق: شعبان إسماعيل (١/ ٩٧) وما بعدها، التجويد وعلوم القرآن لعبد البديع صقر، وغير ذلك - نقلاً من موسوعة الآداب الإسلامية/ عبد العزيز ندا (حفظه الله) (١/ ٢٠١ - ٢١٠).

ثمرات حفظ القرآن الكريم

حبايبي الحلوين:

ولكى نحرص على حفظ القرآن سأذكر لكم بعض ثمرات حفظ القرآن الكريم.

١ - أهل القرآن هم أهل المنزلة السامية:

القرآن الكريمُ كله كلام الله الذى لا يأتيه الباطل من بين يديه ولا من خلفه، ومن أنعم الله عليه بقراءته كله أو حفظه كله، فتلك هى الغايةُ العليا، والمنزلة السامية التى تشرئب إليها الأعناقُ.

فقارئ القرآنُ يضىء الله قلبه بنور الإيمان ويقيه ظلمات يوم القيامة ويبعد عنه الشدائد ويهديه إلى صراطه المستقيم ويشرح به صدره ويجعل ملائكته

يدعون له بالرحمة والمغفرة. فبالقرآن تعمر القلوب والبيوت ويعمها الخير والبركة وتخرج الشياطين منها وتبتعد عنها، ويُعلى الله قدر حامل القرآن فى الدنيا والآخرة.

٢- أهل القرآن يرجون تجارة لن تبور:

إن أهل القرآن الذين تعايشوا معه بقلوبهم وأرواحهم ولم يريدوا من ورائه حُطام الدنيا الزائل، يرجون تجارة لن تبور، بل شهد الله (عز وجل) بصلاحهم.

قال تعالى: ﴿إِنَّ الَّذِينَ يَتْلُونَ كِتَابَ اللَّهِ وَأَقَامُوا الصَّلَاةَ وَأَنفَقُوا مِمَّا رَزَقْنَاهُمْ سِرًّا وَعَلَانِيَةً يَرْجُونَ تِجَارَةً لَّن تَبُورَ (٢٩) لِيُوَفِّيَهُمْ أُجُورَهُمْ وَيَزِيدَهُم مِّن فَضْلِهِ إِنَّهُ غَفُورٌ شَكُورٌ﴾(١).

٣- حفظ القرآن يقودك إلى الصراط المستقيم:

إننا نعلم يقينًا أن الشاب إذا انشغل منذ صغره

(١) سورة فاطر - الآيتان: (٢٩، ٣٠).

بحفظ كتاب الله، فإن ذلك يشغله عن الوقوع في المعاصي، ومن ثَمَّ فإنه ينقاد إلى صراط الله المستقيم، فهو ما بين حفظ ومراجعة ومدارسة لتفسير تلك الآيات، وحرص على معرفة أسباب النزول، وهكذا يجد نفسه يخرج من علم إلى آخر حتى يصير في نهاية أمره عالمًا من علماء الأمة العاملين المخلصين.

٤- حفظ القرآن استثمار للحظات العمر:

لقد أمرنا النبي ﷺ أن نغتنم كل لحظة في حياتنا في طاعة الله فقال ﷺ: «**اغتنم خمسًا قبل خمس: حياتك قبل موتك، وصحتك قبل سقمك، وفراغك قبل شغلك، وشبابك قبل هرمك، وغناك قبل فقرك**»(١).

(١) صحيح: رواه الحاكم (٤/ ٣٤١) وقال: صحيح على شرط الشيخين، والبيهقي في شعب الإيمان (٧/ ٢٦٣)، وصححه العلامة الألباني رحمه الله في صحيح الجامع (١٠٧٧).

ففي الوقت الذي ينشغل فيه أهل الدنيا بدنياهم وحُطامها الزائل ويجعلون مجالسهم في الغِيبة واللهو والغفلة، وإذا بأهل القرآن يغتنمون كل لحظة ويتعايشون بقلوبهم وأرواحهم مع كتاب الله (عز وجل) قراءةً وحفظًا وتدبراً وعملاً بما فيه.

ابني الحبيب: إن النفس لأمارة بالسوء إن لم تشغلها بالطاعة شغلتك بالمعصية، والوقت كالسيف إن لم تقطعه قطعك فاغتنم لحظات عمرك في حفظ كتاب الله والعمل بما فيه.

٥- القرآن يجعلك تزداد إيمانًا:

ومن أراد زيادة الإيمان يومًا بعد يوم فعليه بكتاب الله، فقد قال تعالى: ﴿وإذا تليت عليهم آياته زادتهم إيمانًا﴾(١) وقال تعالى: ﴿وإذا ما أنزلت سورة فمنهم من يقول أيكم زادته هذه إيمانًا فأما الذين آمنوا فزادتهم

(١) سورة الأنفال: الآية: (٢).

إيمانًا وهم يستبشرون﴾[1].

فأنت حينما تقرأ في القرآن كيف نصر الله عباده من الأنبياء والمرسلين - صلوات ربي وسلامه عليهم-، وكيف أخزى الكافرين فإنك تزداد إيمانًا، وعندما تقرأ عن وعد الله لعباده المؤمنين بالجنة والرضوان... ووعيد الله للكافرين بالسخط والنيران تزداد إيمانًا.

فعن جندب رضي الله عنه قال: كنا غلمانًا حزاورة[2] مع رسول الله ﷺ فتعلمنا الإيمان قبل أن نتعلم القرآن، ثم تعلمنا القرآن فازددنا به إيمانًا[3].

٦- القرآن علاج لقسوة القلوب:

يشكو كثير من الناس من قسوة قلوبهم ويسألون عن العلاج لتلك القسوة فنقول لهم: إن أعظم

---

(١) سورة التوبة: الآية: (١٢٤).

(٢) الحزاورة: جمع حزور، وهو الغلام إذا قارب البلوغ.

(٣) نزهة الفضلاء (١/ ٣٨٣).

وسيلة لعلاج تلك القسوة: هي الإقبال على كتاب الله (عز وجل) فقد قال تعالى: ﴿اللَّهُ نَزَّلَ أَحْسَنَ الْحَدِيثِ كِتَابًا مُتَشَابِهًا مَثَانِيَ تَقْشَعِرُّ مِنْهُ جُلُودُ الَّذِينَ يَخْشَوْنَ رَبَّهُمْ ثُمَّ تَلِينُ جُلُودُهُمْ وَقُلُوبُهُمْ إِلَىٰ ذِكْرِ اللَّهِ ذَٰلِكَ هُدَى اللَّهِ يَهْدِي بِهِ مَنْ يَشَاءُ وَمَنْ يُضْلِلِ اللَّهُ فَمَا لَهُ مِنْ هَادٍ﴾(1).

٧- أهل القرآن هم أهل الله وخاصته:

لا شك أن كل إنسان يتمنى أن ينتسب لمن يفتخر بنسبه فما ظنك بمن ينتسب إلى فاطر السماوات والأرض (جل وعلا) فهل هناك شرف بعد هذا الشرف.

قال رسول الله ﷺ: «إن لله تعالى أهلين من الناس»، قالوا: يا رسول الله، من هم؟ قال: «هم أهل القرآن، أهل الله وخاصته»(2).

(1) سورة الزمر: الآية: (٢٣).

(2) صحيح: رواه ابن ماجه (٢١٥) في المقدمة، وأحمد (١١٨٧٠)، وصححه العلامة الألباني رحمه الله في صحيح ابن ماجه (١٧٨).

فيا لها من معية لا توازيهـا الدنيا بكل ما فيها من متاعٍ زائل فـإن من تمام إكـرام الله عز وجل لحـملة القرآن أن جـعلهم من أهله وخـاصته، فـفى الوقت الذى انتسب فيه أهل الفن لفنهم وأهل الثراء لمالهم، وإذا بأهل القـرآن يفوزون بمعـية مـالك الملك وملك الملوك جل وعلا.

٨- القرآن يجعلك فى صحبة الأخيار:

ومن المعلوم أن مجالس أهل القرآن لا يكون فيها إلا أهل الصلاح والتقوى، وبالتـالى فالقرآن يجعلك فى صُحبة الأخيار.

وقـد قـال ﷺ: «**الرجل على دين خليله؛ فلينظر أحدكم من يخالل**»[١].

وأخبر عن حال الناس يوم القـيامة فقال ﷺ -

---

(١) حسن: رواه أبو داود (٤٨٣٣) كتاب الأدب، والترمذى (٢٣٧٨) كتاب الزهد، وأحمد (٧٩٦٨)، وحسنه العلامة الألبانى رحمه الله فى السلسلة الصحيحة (٩٢٧).

كما في الصحيحين: «المرء مع من أحب»[1]، فإذا أحببت أهل القرآن وصحبتهم ستكون منهم وستُحشر معهم يوم القيامة إن شاء الله تعالى.

٩- القرآن يجعلك تستمتع بقيام الليل:

فمن المعلوم أن الذي يقرأ القرآن في قيام الليل من المصحف لا يشعر باللذة التي يشعر بها من يقرأ القرآن من صدره، ولذلك فإننا نجد أن من أعظم الأسباب التي تجعل العبد يتكاسل عن قيام الليل أنه ليس معه قرآن - أي: لا يحفظ القرآن.

فقيام الليل هو شرف المؤمن وهو وقت الرحمات التي تتنزل من عند رب الأرض والسماوات فهو وقت التنزل الإلهي إلى السماء الدنيا.

قال ﷺ: «من قام بعشر آيات لم يُكتب من

---

(١) متفق عليه: رواه البخاري (٦١٦٨) كتاب الأدب، ومسلم (٢٦٤١) كتاب البر والصلة والآداب.

الغافلين، ومن قام بمائة آية كُتب من القانتين، ومن قام بألف آية كُتب من المقنطرين»[1].

١٠- كنوز من الحسنات في حفظ القرآن

قد يأتي العبد يوم القيامة فيحتاج إلى حسنة واحدة ليدخل الجنة فيبحث في أرض المحشر عمَّن يعطيه حسنة واحدة فلا يجد ... فها هي الفرصة أمامك لتفوز بملايين الحسنات.

قال ﷺ: «من قرأ حرفًا من كتاب الله فله به حسنة والحسنة بعشر أمثالها لا أقول ﴿الٓمٓ﴾ حرف، ولكن: ألفٌ حرف، ولام حرف، وميمٌ حرف»[2]. فلك أن تتخيل عدد الحروف التي يقرؤها شاب يجلس في بيت الله ساعتين أو أكثر في الحفظ والتلاوة.

(١) صحيح: رواه أبو داود (١٣٩٨) كتاب الصلاة، وصححه العلامة الألباني رحمه الله في السلسلة الصحيحة (٦٤٢).

(٢) صحيح: رواه الترمذي (٢٩١٠) كتاب فضائل القرآن، وصححه العلامة الألباني رحمه الله في السلسلة الصحيحة (٣٣٢٧).

١١- حافظ القرآن دليله بين يديه:

إن الذى يحفظ القرآن إذا قام يومًا ليخطب فى الناس أو يُذكِّرهم فى درس من دروس العلم فدليله بين يديه لا يحتاج إلى أن يبحث عنه... فعنده كل الأدلة من القرآن فى السلوك والآداب والأحكام والفرائض والترغيب والترهيب والقصص والعبر، فكلما أراد أن يتكلم فى موضوعٍ بعينه يجد الأدلة من القرآن تنساب من فمه لتصل إلى قلوب الناس مباشرة.

١٢- حفظ القرآن ييسر قراءته فى كل وقت:

فالذى يحفظ القرآن يستطيع أن يقرأه وهو يمشى... وهو يقود سيارته، وهو ينتظر أحد إخوانه.... فالشاهد أنه يستطيع أن يلهج لسانه بالقرآن فى أى وقت، أما الذى لا يحفظ القرآن فلا

يستطيع أن يقرأ إلا إذا فتح المصحف أمامه، وتلك نعمة يكرم الله بها كل من حفظ كتابه.

١٣- يؤم القوم أقرؤهم لكتاب الله:

وحامل القرآن له قدرٌ عظيم في الدنيا والآخرة.... ففي الصلاة التي هي عمود الإسلام وركنه الثاني أخبر النبي ﷺ أنه لا يؤم الناس في الصلاة إلا أقرؤهم لكتاب الله.

عن أبي مسعود الأنصاري رضي الله عنه قال: قال رسول الله ﷺ: **«يؤم القوم أقرؤهم لكتاب الله، فإن كانوا في القراءة سواء فأعلمهم بالسنة، فإن كانوا في السنة سواء فأقدمهم هجرة...»**[1].

١٤- حفظ القرآن مهرٌ للصالحات:

وقد كان من سلفنا الصالح من يتزوج امرأة صالحة ويجعل مهرها حفظ بعض السور من القرآن.

(١) صحيح: رواه مسلم (٦٧٣) كتاب المساجد ومواضع الصلاة.

فعن سهل بن سعد رضي الله عنه قال: أتت النبي صلى الله عليه وسلم امرأة فقالت: يا رسول الله، جئت لأهب لك نفسي، فنظر إليها رسول الله صلى الله عليه وسلم، فصعَّد النظر إليها وصوَّبه، ثم طأطأ رأسه، فلما رأت المرأة أنه لم يقض فيها شيئًا جلست فقام رجل من أصحابه فقال: يا رسول الله، إن لم يكن لك بها حاجة فزوجنيها، فقال: «هل عندك من شيء؟» فقال: لا والله يا رسول الله، قال: «اذهب إلى أهلك فانظر هل تجد شيئًا؟» فذهب، ثم رجع فقال: لا والله يا رسول الله ما وجدت شيئًا، قال: «انظر ولو خاتمًا من حديد» فذهب ثم رجع فقال: لا والله يا رسول الله ولا خاتمًا من حديد، ولكن هذا إزاري فلها نصفه، فقال رسول الله صلى الله عليه وسلم: «ما تصنع بإزارك إن لبسته لم يكن عليها منه شيء، وإن لبسته لم يكن عليك شيء؟»

فجلس الرجل حتى طال مجلسه، ثم قام فرآه رسول الله ﷺ موليًا فأمر به فدُعي فلما جاء قال: «ماذا معك من القرآن؟» قال: معي سورة كذا وسورة كذا وسورة كذا... عدَّدها، قال: «أتقرؤهن عن ظهر قلبك؟» قال: نعم قال: «اذهب فقد ملَّكتكها بما معك من القرآن»[1]... هكذا تزوج الرجل بما معه من القرآن...

- فإن لم تجد من يزوجك بما معك من القرآن فاصبر حتى تقدمه مهرًا لواحدة من الحور العين في جنة الرحمن.

١٥- حافظ القرآن يغبطه الناس على مكانته:

- فأهل الدنيا يتحاسدون على المال والجاه والمنصب... وكل هذا متاعٌ زائل أما حافظ القرآن

(١) متفق عليه: رواه البخاري (٥٠٣٠) كتاب فضائل القرآن، ومسلم (١٤٢٥) كتاب النكاح.

فهو الوحيد الذى يستحق أن يغبطه الناس - أى: يحسدونه حسداً محموداً - . . . والحسد المحمود هو أن يتمنى الإنسان مثلما عند أخيه دون أن يتمنى زوال النعمة التى عند أخيه - فإذا رأى أخاه يحفظ القرآن فإنه يتمنى أن يحفظ القرآن مثله . . ولا يتمنى أن ينسى أخاه القرآن الذى فى صدره.

قال ﷺ: «**لا حسد إلا على اثنتين: رجل آتاه الله الكتاب وقام به آناء الليل، ورجل آتاه الله مالاً فهو يتصدق به آناء الليل وآناء النهار**»[1].

وعن أبى هريرة رضي الله عنه أن رسول الله ﷺ قال: «**لا حسد إلا فى اثنتين: رجل علَّمه الله القرآن فهو يتلوه آناء الليل وآناء النهار، فسمعه جار له فقال: ليتنى أوتيت مثل ما أوتى فلان، فعملت مثل ما يعمل، ورجل آتاه الله مالاً**

(١) متفق عليه: رواه البخارى (٧٣) كتاب العلم، ومسلم (٨١٦) كتاب صلاة المسافرين وقصرها.

يهلكه فى الحق فقال رجل: ليتنى أوتيت مثل ما أوتى فلان، فعملت مثل ما يعمل»[1].

١٦- إن من إجلال الله إكرام حامل القرآن:

إن الواجب على كل مسلم تعظيم الله وإجلاله وقد اشترط رسول الله على كل مسلم يحب الله ويُجلُّه ويعظمه أن يُكرم حامل القرآن... فأى إكرام بعد هذا الإكرام وأى منزلة بعد هذه المنزلة، ولذا قال ﷺ: «إن من إجلال الله إكرام ذى الشيبة المسلم وحامل القرآن غير الغالى فيه والجافى عنه.....»[2].

١٧- الله يرفع بهذا الكتاب أقواما:

وكما أن حامل القرآن هو أولى الناس بإمامة الناس فى صلاتهم فهو أيضًا من أولى الناس بالإمارة والولاية.

(١) صحيح: رواه البخارى (٥٠٢٦) كتاب فضائل القرآن.
(٢) حسن: رواه أبو داود (٤٨٤٣) كتاب الأدب، وحسنه العلامة الألبانى رحمه الله فى صحيح الجامع (٢١٩٩).

فعن نافع بن عبد الحارث أنه لقى عمر رضي الله عنه بعسفان، وكان عمر يستعمله على مكة فقال: مَن استعملت على أهل الوادى؟ فقال: ابن أبزى، قال: ومن ابن أبزى؟ قال: مولى من موالينا، قال: فاستخلفت عليهم مولى؟ قال: إنه قارئ لكتاب الله عز وجل، وإنه عالم بالفرائض، قال عمر: أما إن نبيكم ﷺ قد قال: «**إن الله يرفع بهذا الكتاب أقوامًا ويضع به آخرين**»(١).

١٨- بالقرآن تنال محبة الرحمن (جل وعلا):

قد يتمنى الإنسان أن يحبه بعض الناس فكيف إذا أحبه رب الناس (جل وعلا) . . . فمن المعلوم أن من أحبه الله فقد فاز فى الدنيا والآخرة.

قال رسول الله ﷺ: «**من سره أن يحب الله ورسوله؛ فليتظر فى المصحف، ومن سره أن يحبه الله**

(١) صحيح: رواه مسلم (٨١٧) كتاب صلاة المسافرين وقصرها.

ورسوله؛ فلينظر في المصحف»[1].

القرآن كلام الله عز وجل فمن أحب كلام الله أحبه الله.

* عن عائشة رضي الله عنها أن رسول الله ﷺ بعث رجلاً على سرية وكان يقرأ لأصحابه في صلاتهم فيختم بـ ﴿قُلْ هُوَ اللَّهُ أَحَدٌ﴾[2] فلما رجعوا ذكروا ذلك لرسول الله ﷺ، فقال: «سلوه، لأي شيء يصنع ذلك؟» فسألوه فقال: لأنها صفة الرحمن، فأنا أحب أن أقرأ بها، فقال رسول الله ﷺ: «أخبروه أن الله يُحبهُ»[3].

١٩- أهل القرآن تتنزل عليهم السكينة وتغشاهم الرحمة:

قال ﷺ: «.... وما اجتمع قوم في بيت من بيوت

(١) السلسلة الصحيحة (٢٣٤٢).

(٢) المراد بالختم هنا: ختم القراءة في الركعات وهو قراءة السورة بعد الفاتحة.

(٣) متفق عليه: رواه البخاري (٧٣٧٥) كتاب التوحيد، ومسلم (٨١٣) كتاب صلاة المسافرين وقصرها.

الله يتلون كتاب الله ويتدارسونه بينهم إلا نزلت عليهم السكينة وغشيتهم الرحمة وحفَّتهم الملائكة وذكرهم الله فيمن عنده...»(1).

٢٠- حافظ القرآن هو خير الناس:

وإذا كان الله جل وعلا قد جعل لكل عبد قدراً ومنزلة، فإن أهل القرآن هم خير الناس منزلة، فقد قال ﷺ كما عند البخاري: «خيركم من تعلَّم القرآن وعلَّمه»(2).

٢١- حافظ القرآن كالثمرة ذات الريح الطيب:

قارئ القرآن رائحته زكية ومذاقه حُلو كالأترجة.. ومن هنا فهو جليسٌ صالح يقترب إليه الصالحون العاملون ليشموا منه عطره وينفحوا من شذاه.

---

(1) صحيح: رواه مسلم (٢٦٩٩) كتاب الذكر والدعاء والتوبة والاستغفار.
(2) صحيح: رواه البخاري (٢٧ - ٥) كتاب فضائل القرآن.

عن أبي موسى الأشعري رضي الله عنه أن رسول الله ﷺ قال: «مثل المؤمن الذي يقرأ القرآن مثل الأترجة[1]، ريحها طيب، وطعمها طيب، ومثل المؤمن الذي لا يقرأ القرآن مثل التمرة، لا ريح لها وطعمها حلو، ومثل المنافق الذي يقرأ القرآن مثل الريحانة، ريحها طيب، وطعمها مر، ومثل المنافق الذي لا يقرأ القرآن كمثل الحنظلة، لا ريح لها، وطعمها مرٌّ»[2].

٢٢- القرآن يفتح لك أبواب الخير:

قال ﷺ: «من قرأ ﴿قُلْ يَا أَيُّهَا الْكَافِرُونَ﴾ عدلت له بربع القرآن، ومن قرأ ﴿قُلْ هُوَ اللَّهُ أَحَدٌ﴾ عدلت له بثلث القرآن»[3].

(١) الأترجة: ثمر جامع لطيب الطعم والرائحة وحسن اللون يشبه البطيخ.
(٢) متفق عليه: رواه البخاري (٥٤٢٧) كتاب الأطعمة، ومسلم (٧٩٧) كتاب صلاة المسافرين وقصرها.
(٣) حسن: رواه الترمذي (٢٨٩٣) كتاب فضائل القرآن، وحسنه العلامة الألباني رحمه الله في صحيح الجامع (٦٤٦٦).

وقال ﷺ: «من قرأ آية الكرسي دبُر كل صلاة مكتوبة لم يمنعه من دخول الجنة إلا أن يموت»[1].

وقال ﷺ - كما في الصحيحين -: «من قرأ الآيتين من آخر سورة البقرة في ليلة كفَتاه»[2].

وقال ﷺ: «من قرأ بمائة آية في ليلة كُتب له قنوت ليلة»[3].

وقال ﷺ: «من قرأ ﴿قُلْ هُوَ اللَّهُ أَحَدٌ﴾ عشر مرات بنى الله له بيتًا في الجنة»[4].

وقال ﷺ: «من قرأ سورة الكهف في يوم الجمعة

---

(١) صحيح: أخرجه النسائي في الكبرى (٦/ ٣٠)، والطبراني (٨/ ١١٤)، وصححه العلامة الألباني رحمه الله في السلسلة الصحيحة (٩٧٢).

(٢) متفق عليه: رواه البخاري (٤٠٠٨) كتاب المغازي، ومسلم (٨٠٨) كتاب صلاة المسافرين وقصرها.

(٣) صحيح: أخرجه أحمد والدارمي، وصححه العلامة الألباني رحمه الله في السلسلة الصحيحة (٦٤٤).

(٤) صحيح: رواه أحمد (١٥١٨٣)، وصححه العلامة الألباني رحمه الله في صحيح الجامع (٦٤٧٢).

أضاء له من النور ما بين الجمعتين»[1].

وقال ﷺ: «من قرأ سورة الكهف يوم الجمعة أضاء له النور ما بينه وبين البيت العتيق»[2].

٢٣- القرآن سبب فى تفريج الهموم:

فإن المسلم قد يُبتلى ببعض الهموم والأحزان فإذا تعايش بقلبه مع القرآن فإن الله (عز وجل) يجعل القرآن سببًا فى تفريج همومه وأحزانه.

قال رسول الله ﷺ: «من كثر همه فليقل: اللهم إنى عبدك وابن عبدك، وابن أمتك، وفى قبضتك، ناصيتى بيدك، ماضٍ فىَّ حكمك، عدلٌ فىَّ قضاؤك، أسألك بكل اسم هو لك، سميت به نفسك، أو أنزلته فى كتابك، أو استأثرت به فى مكنون الغيب عندك: أن تجعل القرآن ربيع

(١) صحيح: رواه الحاكم (٢/ ٣٩٩)، والبيهقى (٣/ ٢٤٩)، وصححه العلامة الألبانى رحمه الله فى صحيح الجامع (٦٤٧٠).

(٢) صحيح: أخرجه البيهقى فى شُعب الإيمان (٢/ ٤٧٤)، وصححه العلامة الألبانى رحمه الله فى صحيح الجامع (٦٤٧١).

قلبي[1]، وجلاء همي وغمي،... ما قالها عبدٌ قط إلا أذهب الله غمه، وأبدله به فرحًا»[2].

٢٤- القرآن شفاء لأمراض القلوب والأبدان:

قال تعالى: ﴿ وَنُنَزِّلُ مِنَ الْقُرْآنِ مَا هُوَ شِفَاءٌ وَرَحْمَةٌ لِّلْمُؤْمِنِينَ وَلَا يَزِيدُ الظَّالِمِينَ إِلَّا خَسَارًا ﴾[3].

عن عائشة رضي الله عنها أن رسول الله ﷺ كان إذا اشتكى يقرأ على نفسه بالمعوذات وينفث، فلما اشتد وجعه كنت أقرأ عليه، وأمسح بيده رجاء بركتها[4].

٢٥- حفظ القرآن من أسباب النجاة من فتنة الدجال:

فنحن نعلم أن من علامات الساعة الكبرى التي

(١) ربيع قلبي: جعل القرآن ربيع قلبه، لأن الإنسان يرتاح قلبه في الربيع من الأزمان ويميل إليه.

(٢) صحيح: رواه أحمد (٣٧٠٤)، وصححه العلامة الألباني رحمه الله في السلسلة الصحيحة (١٩٩).

(٣) سورة الإسراء: الآية: (٨٢).

(٤) متفق عليه: رواه البخاري (٥٠١٧) كتاب فضائل القرآن، ومسلم (٢١٩٢) كتاب السلام.

أخبر عنها النبي ﷺ: ظهور المسيح الدجال وهو أكبر فتنة ستظهر على الأرض منذ بداية الخلق وإلى أن يرث الله الأرض ومن عليها.

وقد ذكر النبي ﷺ أن من أسباب النجاة من فتنة الدجال حفظ عشر آيات من أول سورة الكهف.

ففي الحديث الذي رواه مسلم أن النبي ﷺ قال: «**من حفظ عشر آيات من أول سورة الكهف عُصِم من الدجال**»(١).

٢٦- قارئ القرآن يكون سببًا في رحمة والديه:

نحن نعلم أن حق الوالدين عظيم جدًا... ومهما حاول الإنسان أن يوفيهما حقهما فلن يستطيع...

فإذا حفظ العبد القرآن وعمل بما فيه فإنه يكون سببًا في أن يلبس والداه تاجًا يوم القيامة ضوؤه أحسن من ضوء الشمس.

(١) صحيح: رواه مسلم (٩ - ٨) كتاب صلاة المسافرين وقصرها.

قال رسول الله ﷺ: «من قرأ القرآن وتعلمه وعمل به أُلبس يوم القيامة تاجًا من نور، ضوؤه مثل ضوء الشمس، ويُكسى والده حُلتين، لا يقوم بهما الدنيا، فيقولان بِمَ كُسينا؟ فيقال: بأخذ ولدكما القرآن»(١).

٢٧- حامل القرآن يقدَّم فى قبره على غيره:

وكما أن الله عز وجل أعلى قدر حامل القرآن فى الدنيا وجعله أولى الناس بالإمامة، فقد أعلى قدره فى الآخرة فجعله عند موته أولى الناس بأن يُقدَّم فى قبره.

فعن جابر بن عبد الله رضي الله عنه قال: كان النبى ﷺ يجمع بين الرجلين من قتلى أحد فى ثوب واحد ثم يقول: «أيهم أكثر أخذًا للقرآن؟»، فإذا أشير له على أحدهما قدَّمه فى اللحد، وقال: «أنا شهيد على هؤلاء

---

(١) حسن لغيره: أخرجه الحاكم (١/٧٥٦)، وحسنه العلامة الألبانى رحمه الله فى صحيح الترغيب (١٤٣٤).

يوم القيامة» وأمر بدفنهم فى دمائهم، ولم يُغسَّلوا ولم يُصلِّ عليهم[1].

٢٨- بالقرآن تنجو من عذاب القبر وتدخل الجنة:

قال ﷺ: «سورة تبارك هى المانعة من عذاب القبر»[2].

وقال ﷺ: «إن سورة من القرآن ثلاثون آية شفعت لرجل حتى غُفر له وهى سورة تبارك الذى بيده الملك»[3].

وقال ﷺ: «سورة من القرآن ما هى إلا ثلاثون آية خاصمت عن صاحبها حتى أدخلته الجنة وهى تبارك»[4].

---

(١) صحيح: رواه البخارى (١٣٤٣) كتاب الجنائز.

(٢) صحيح: رواه أبو الشيخ فى طبقات الأصبهانيين (٢٦٤)، وصححه العلامة الألبانى رحمه الله فى السلسلة الصحيحة (١١٤٠).

(٣) حسن: رواه أبو داود (١٤٠٠) كتاب الصلاة، والترمذى (٢٨٩١) كتاب فضائل القرآن، وابن ماجه (٣٧٨٦) كتاب الأدب، وأحمد (٧٩١٥)، وحسنه العلامة الألبانى رحمه الله فى صحيح الجامع (٢٠٩١).

(٤) حسن: أخرجه الطبرانى فى الأوسط (٤/٧٦)، وفى الصغير (١/٢٩٦)، والضياء (١٧٣٨) وقال: إسناده حسن، وحسنه العلامة الألبانى رحمه الله فى صحيح الجامع (٣٦٤٤).

٢٩- حفظ القرآن من أسباب النجاة من النار:

لا شك أن من أعظم النعم التى يتمناها أى إنسان فى الدنيا هى نعمة الأمان ... ولذلك جعل الله نعمة الأمان من بين النعم التى أنعم بها على أهل القرآن.

فأهل القرآن فى أمان فى الآخرة من عذاب الله (جل وعلا).

قال رسول الله ﷺ: «اقرؤوا القرآن؛ فإن الله تعالى لا يعذب قلبًا وعى القرآن، وإن هذا القرآن مأدبة الله؛ فمن دخل فيه فهو آمن»[1].

فكن على يقين من الأمان مهما كان، إذا وعى قلبك القرآن، وتأكد أنك إن حفظته وعملت به فلن تدخل النار.

* **ضرب رسول الله ﷺ لذلك مثلاً فقال: «لو أن القرآن فى إِهَاب ثم أُلقى فى النار ما احترق»**[2].

(١) صححه الحافظ فى الفتح (٩/ ٧٩)

(٢) رواه أحمد (٤/ ١٥٤) بإسناد صحيح.

٣٠- حافظ القرآن فى ظل عرش الرحمن:

ففى هذا الموقف الرهيب الذى يقف فيه الناس يوم القيامة خمسين ألف سنة بلا طعام ولا شراب ولا ظل... وقد حُشروا جميعًا حُفَاة عُراة غُرلاً، وقد دنت الشمس فوق الرءوس حتى كانت منهم كمقدار ميل والناس يغرقون فى عرقهم -على قدر ذنوبهم- فى هذا الوقت العصيب يخبر النبى ﷺ عن سبعة أصناف كرام يكونون فى ظل عرش الرحمن، فقال ﷺ -كما فى الصحيحين-: «**سبعة يظلهم الله فى ظله يوم لا ظل إلا ظله** - وذكر منهم- **وشاب نشأ فى عبادة الله...**»(١).

ومن المعلوم أن هذا الشاب الذى نشأ فى عبادة الله وتعلق قلبه فى المساجد لابد وأن يكون تاليًا

---

(١) متفق عليه: رواه البخارى (٦٦٠) كتاب الأذان، ومسلم (١٠٣١) كتاب الزكاة.

لكتاب الله حافظًا لآياته.

٢١- القرآن يشفع لصاحبه يوم القيامة:

ففى هذا اليوم العصيب - يوم القيامة - يبحث الإنسان عمَّن يشفع له لينجو من عذاب النار وليدخل جنة الرحمن جل وعلا، وإذا به يجد القرآن شافعًا له مدافعًا عنه أمام الله حتى يأخذ بيديه إلى جنة الرحمن التى فيها ما لا عين رأت، ولا أذنٌ سمعت، ولا خطر على قلب بشر.

عن جابر رضي الله عنه أن النبى صلى الله عليه وسلم قال: «القرآن شافع مُشفَّع، وماحلٌ مُصدَّق، مَن جعله أمامه قاده إلى الجنة، ومن جعله خلف ظهره ساقه إلى النار»[1].

وعن أبى أُمامة الباهلى رضي الله عنه قال: سمعت رسول الله

---

(١) صحيح: رواه ابن حبان (١٢٤)، والبيهقى فى شعب الإيمان (٢/ ٣٥١). وقال الدارقطنى فى العلل (٥/ ١٠٢): يرويه ابن الأجلح عن الأعمش عن أبى سفيان عن جابر مرفوعًا والصحيح عن ابن مسعود موقوفًا، وصححه العلامة الألبانى رحمه الله فى السلسلة الصحيحة (٢٠١٩).

ﷺ يقول: «اقرؤوا القرآن؛ فإنه يأتي يوم القيامة شفيعًا لأصحابه...»[1].

وقال ﷺ: «الصيامُ والقرآنُ يشفعان للعبد يوم القيامة، يقولُ الصيامُ: أي ربِّ إني منعته الطعام والشهوات بالنهار فشفعني فيه، ويقول القرآنُ: ربِّ منعته النومَ بالليلِ فشفعني فيه، فيشفعان»[2].

٣٢- حافظ القرآن مع السفرة الكرام البررة:

وحين يفتخر أهل الدنيا بانتسابهم إلى العظماء والوجهاء والأغنياء فإن حافظ القرآن يفتخر بأنه سيكون مع السفرة الكرام البررة الذين اختارهم الله عز وجل وشرَّفهم بأن تكون بأيديهم الصحف المطهرة ﴿فِي صُحُفٍ مُكَرَّمَةٍ (١٣) مَرْفُوعَةٍ مُطَهَّرَةٍ (١٤) بِأَيْدِي سَفَرَةٍ﴾[3].

---

(١) صحيح: رواه مسلم (٨٠٤) كتاب صلاة المسافرين وقصرها.

(٢) صحيح: رواه أحمد (٦٥٨٩)، وصححه العلامة الألباني رحمه الله في المشكاة (١٩٦٣).

(٣) سورة عبس: الآيات: (١٣- ١٥).

* قال ﷺ - كما في الصحيحين -: «الماهر بالقرآن مع السفرة الكرام البررة والذي يقرؤه ويتتعتع فيه وهو عليه شاق، له أجران»(١).

٢٣- حافظ القرآن يرتقي في درجات الجنة:

قال ﷺ: «يقال لصاحب القرآن إذا دخل الجنة: اقرأ واصعد فيقرأ ويصعد لكل آية درجة حتى يقرأ آخر شيء معه»(٢).

وقال ﷺ: «يجيء القرآن يوم القيامة، فيقول: يارب حلِّه، فيلبس تاج الكرامة، ثم يقول: يارب زده، فيلبس حُلة الكرامة، ثم يقول: يارب ارضَ عنه، فيرضى عنه، فيقول: اقرأ، وارق، ويُزاد بكل آية حسنة»(٣).

(١) متفق عليه: رواه البخاري (٤٩٣٧) كتاب تفسير القرآن، ومسلم (٧٩٨) كتاب صلاة المسافرين وقصرها.

(٢) رواه ابن ماجة وأحمد وصححه الشيخ الألباني في السلسلة الصحيحة (٢٢٤٠).

(٣) حسن: رواه الترمذي (٢٩١٥) كتاب فضائل القرآن، وحسنه العلامة الألباني رحمه الله في صحيح الجامع (٨٠٣٠).

آداب متعلم القرآن

لا بد أن نعلم أن القرآن كلام الله (جل وعلا) فلا بد من توقيره واحترامه والتأدب معه لأنه كتابٌ عزيزٌ.

قال تعالى: ﴿وَإِنَّهُ لَكِتَابٌ عَزِيزٌ ﴿٤١﴾ لَا يَأْتِيهِ الْبَاطِلُ مِنْ بَيْنِ يَدَيْهِ وَلَا مِنْ خَلْفِهِ تَنْزِيلٌ مِنْ حَكِيمٍ حَمِيدٍ﴾(١).

فهيا بنا لنعرف بعض الآداب التي ينبغي أن يتحلى بها مُتعلِّم القرآن.

(١) أن يخلص النية لله (جل وعلا) وأن يقصد بهذا العمل وجه الله (جل وعلا):

قال الله تعالى: ﴿وَمَا أُمِرُوا إِلَّا لِيَعْبُدُوا اللَّهَ مُخْلِصِينَ لَهُ الدِّينَ حُنَفَاءَ وَيُقِيمُوا الصَّلَاةَ وَيُؤْتُوا الزَّكَاةَ وَذَلِكَ دِينُ

(١) سورة فصلت: الآيتان: (٤١، ٤٢).

القيمة﴾[1]. أي: الملة المستقيمة.

وفي «الصحيحين» عن رسول الله ﷺ: «إنما الأعمال بالنيات وإنما لكل امرئ ما نوى»[2].

(٢) الإعراض عن أعراض الدنيا:

فلا ينبغي أن يقصد بتعلم القرآن أو تعليمه الوصول إلى زخارف الدنيا وأعراضها من مالٍ أو رياسة أو وجاهة أو ارتفاع على زملائه أو ثناء عند الناس أو صرف وجوه الناس إليه أو نحو ذلك.

قال تعالى: ﴿وَمَن كَانَ يُرِيدُ حَرْثَ الدُّنْيَا نُؤْتِهِ مِنْهَا وَمَا لَهُ فِي الْآخِرَةِ مِن نَّصِيبٍ﴾[3]. وقال تعالى: ﴿مَّن كَانَ يُرِيدُ الْعَاجِلَةَ عَجَّلْنَا لَهُ فِيهَا مَا نَشَاءُ لِمَن نُّرِيدُ﴾[4].

---

(١) سورة البينة: الآية: (٥).

(٢) متفق عليه: رواه البخاري (١) كتاب بدء الوحي، ومسلم (١٩٠٧) كتاب الإمارة.

(٣) سورة الشورى: الآية: (٢٠).

(٤) سورة الإسراء: الآية: (١٨).

وعن أبي هريرة قال: قال رسول الله ﷺ: «من تعلم علمًا مما يُبتغى به وجه الله تعالى، لا يتعلمه إلا ليصيب به عرضًا[1] من الدنيا، لم يجد عَرْف[2] الجنة يوم القيامة»[3].

وعن أنس وحذيفة وكعب بن مالك: أن رسول الله ﷺ قال: «من طلب العلم ليماري[4] به السفهاء أو يكاثر به العلماء أو يصرف به وجوه الناس إليه، فليتبوأ مقعده من النار»[5].

(٢) التحلي بمحاسن الأخلاق:

فينبغي للمتعلم أن يكون حَسَن الخُلق لأن حُسن

---

(١) العرض: المتاع وهو كل ما سوى الدراهم والدنانير.

(٢) العرف: الرائحة مطلقًا ويستعمل للطيب منها.

(٣) **صحيح:** رواه أبو داود (٣٦٦٤) كتاب العلم، وابن ماجه (٢٥٢) في المقدمة، وأحمد (٨٢٥٢)، وصححه العلامة الألباني رحمه الله في صحيح الجامع (٦١٥٩).

(٤) المراء: الجدال.

(٥) **صحيح:** رواه الترمذي (٢٦٥٥) كتاب العلم، وابن ماجه (٢٥٣) في المقدمة، وصححه العلامة الألباني رحمه الله في صحيح الجامع (٦٣٨٣).

الخلق دليل على كمال الإيمان فى قلب العبد المؤمن.

(٤) أن يُطهر قلبه من الحقد والحسد والضغينة والرياء والنفاق حتى يكون قلبه صالحًا لاستقبال القرآن.

(٥) أن يراقب الله (جل وعلا) فى سره وعلانيته وأن يعلم أن الله مُطلع عليه ولذلك يجب عليه أن يبتعد عن الذنوب والمعاصى وبخاصة تلك الذنوب التى تكون بينه وبين الله (جل وعلا) بعيداً عن أعين الناس.

(٦) الحرص على أكل الحلال والبعد عن أكل الحرام.

(٧) أن يحرص على اختيار مُعلمه .. فيحرص على أن يتعلم بين يدى شيخ تقىٍّ ورعٍ ليتعلم من

أخلاقه ويتربى على الزهد والورع والتقوى فيتأهل بذلك لأن يحفظ القرآن ويعمل به.

(٨) ألا يشبع مِنْ طلب العلم أبدًا ويكون شعاره دائمًا: مع المحبرة إلى المقبرة .. أى: سأطلب العلم حتى آخر لحظة فى حياتى.

(٩) أن يواظب على حلقات العلم وحفظ القرآن ولا يتأخر مهما كان السبب حتى يستطيع أن يُحصِّل أكبر قدر من العلم فى أسرع وقت.

(١٠) أن يواظب على القدر الذى يستطيع حفظه من القرآن ولا يُحمِّل نفسه فوق طاقتها فيصاب بالملل والنسيان.

(١١) أن لا يُكثر من الضحك واللهو .. بل عليه أن يتوسط فلا يكون عبوسًا ولا يكون كثير الضحك فى كل وقت.

(١٢) أن يكون بشوشًا طليق الوجه حتى يحبه الناس وينتفعون به وبعلمه.

(١٣) أن يكون متواضعًا لكل من حوله عامة ولشيخه وأستاذه على وجه الخصوص حتى ولو كان شيخه أصغر منه سنًّا.

(١٤) أن يتعامل مع شيخه ومُعلمه بكل أدب واحترام.

(١٥) أن يغتنم أوقات نشاط الشيخ فينهل من علمه.

(١٦) ألا يرفع صوته عاليًا من غير حاجة .. بل عليه أن يتكلم بهدوء وسكينة.

(١٧) ألا يحسد أحدًا من إخوانه إذا كان أحدهم متفوقًا ونابغًا بل عليه أن يدعو لأخيه بكل خير وأن يدعو لنفسه بأن يكون مثل صاحبه المتفوق.

(١٨) ألا يغتاب أحدًا عند شيخه ولا يقول له: فلان قال خلاف ما تقول .. ولا يكلم زميله فى مسألة أمام شيخه بل يسأل شيخه مباشرة .. ولا يجلس خلف الشيخ بل يجلس أمامه.

(١٩) أن يتحمل جفوة الشيخ إذا صدر منه أى شىء ولا يصده ذلك عن ملازمة الشيخ واحترامه حتى يستطيع أن ينتفع بعلمه وذلك لأن الشيخ يحب أن يرى تلميذه حريصًا على طلب العلم.

(٢٠) ألا يدخل على الشيخ بغير استئذان ولا يذهب إليه بدون موعد سابق حتى لا يُحرج الشيخ ويُحرج نفسه.

(٢١) أن يجلس أمام الشيخ بوقار وأن ينقاد للشيخ وينفذ أوامره ما دامت لا تخالف الشرع وأن يشاوره فى أمور حياته ويمتثل لنصيحة الشيخ.

(٢٢) أن يجلس بين يدى شيخه جلسة المتعلم لا جلسة المُعلِّم.

(٢٣) أن يحرص على نظافة ثيابه وجسده وأن يطهر فمه بالسواك وأن يستعمل عطرًا جميلاً حتى يسعد الشيخ برؤيته.

(٢٤) أن ينظر إلى الشيخ ولا يكثر من الالتفات فيظن الشيخ أنه لا يهتم به ولا يحترم جلوسه أمامه.

(٢٥) أن يُصغى لكل كلمة يقولها الشيخ حتى لا يسأله الشيخ فجأة عما قال فيجد أنه كان مشغولاً عنه فإن ذلك يُكدِّرُ صفو الشيخ.

(٢٦) أن يرد غيبة الشيخ إذا أساء أحد الناس إليه.. فإن لم يستطع أن يرد غيبة الشيخ فليفارق ذلك المجلس.

(٢٧) أن يحرص على أن يصلى ركعتين قبل أن

يجلس بين يدى الشيخ.

(٢٨) أن ينتظر الشيخ إذا لم يجده ولا يتعجل الذهاب فإن ذلك يُشعر الشيخ بعدم حرص تلميذه على طلب العلم.

(٢٩) أن يراعى ظروف الشيخ . . فقد يكون مريضًا أو نائمًا أو عنده ما يشغله فلا ينبغى أن يُثقل عليه بل يتركه هو الذى يحدد موعد الدرس ومُدته.

(٣٠) أن لا يصاب بالعُجب والغرور بسبب ما تعلمه . . بل عليه أن يشكر الله على ذلك وأن يزداد ذلاً وانكسارًا وتواضعًا.



القواعد الذهبية لحفظ القرآن

١- إخلاص النية لله (جل وعلا):

فإنما الأعمال بالنيات .. فلا بد أن يجعل حفظ القرآن ابتغاء مرضاة الله (جل وعلا) والفوز بجنته ليفتح الله له كل أسباب النجاح والفلاح فنحن نعلم أن من قرأ القرآن وحفظه لا يريد بذلك إلا متاع الحياة الدنيا فإنه لا أجر له ولا ثواب بل إنه يكون مع أول من تُسعَّر بهم النار يوم القيامة.

٢- الدعاء:

فمن أعظم الأسباب التي تُعينك على حفظ القرآن أن تلجأ إلى الله (جل وعلا) وأن تُكثر من الدعاء فإن الدعاء هو العبادة.

فادعُ الله أن يُيسر لك حفظ القرآن وأن يجعلك من أهل القرآن.

٣- الاستغفار:

فإن العبد قد ينسى ما حفظه من القرآن بسبب ذنوبه ولذلك فعليه أن يُكثر من الاستغفار حتى يغفر الله له ذنوبه التى تحول بينه وبين حفظ القرآن.

٤- طهارة النفس من الأخلاق السيئة:

فإن حفظ القرآن يحتاج إلى طهارة القلب من النفاق والمكر والحقد والحسد . . . فالقرآن الكريم كالزرع الطيب الذى لا ينبت إلا فى التربة الخصبة الصالحة.

وعلى هذا ينبغى لطالب القرآن أن يكون نظيفًا طاهرًا من هذه الصفات السيئة، ومتحليًا بالصفات الحسنة السمحة الكريمة. . . مثل الصدق،

والأمانة، والإخلاص..

٥- ملازمة شيخ متقن تحفظ على يديه:

وهذا أمر ضروري حتى تحفظ القرآن بغير أخطاء فإنك لو حفظت القرآن مع نفسك فلربما تخطئ في قراءة بعض الآيات فإذا حفظتها على تلك الصورة فمن الصعب أن تُصلح تلك الأخطاء.

٦- الالتزام بمصحف واحد:

ومما يعينك على الحفظ أن تلتزم بطبعة معينة فتقرأ وتحفظ منها حتى تستطيع أن تتذكر موضع الآيات والسور.

٧- تحديد وقت معين للحفظ:

ومما يعينك على حفظ القرآن أن تحدد وقتًا يوميًا لحفظ القرآن وتخبر إخوانك بأنك مشغول في هذا الوقت حتى لا يأتي إليك أحد فيشغلك عن الحفظ.

٨- عليك بصاحب يعينك على المداومة:

وعليك أن تختار صاحبًا تقيًا يعينك على حفظ القرآن واجعل بينك وبينه منافسة شريفة فى الحفظ حتى تعلو همتك وتشعر بأن هناك من يسابقك إلى هذا الخير.

٩- لا تنشغل بالحفظ عن التلاوة:

واحذر أن يشغلك الحفظ عن القراءة فى المصحف فإن التلاوة هى وقود الحفظ... فإن النظر فى المصحف يجعلك تتأكد من سلامة حفظك ويجعلك تقرأ القرآن بتدبر حتى تتعايش بقلبك وجوارحك مع كل آية.

١٠- صلاة الحاجة(١):

وأوصيك أن تصلى ركعتين «صلاة الحاجة» تسأل

(١) وإن كان حديث صلاة الحاجة فيه ضعف.

الله فيهما العون والصواب والإخلاص ويا حبذا لو صليت أيضًا صلاة التوبة حتى لا تحول ذنوبك بينك وبين حفظ كتاب الله جل وعلا.

١١- قراءة تفسير الآيات التى تريد حفظها:

ومما يعينك على الحفظ أن تقرأ تفسير الآيات التى تريد حفظها فإن فهم معانيها يجعلها تثبت فى الذاكرة.

١٢- التدرج فى الحفظ:

ينبغى أن تتدرج فى حفظ القرآن، وأن لا تتعجل حفظه حتى تتمكن من حفظه..... فلا تكلف نفسك فوق طاقتها، بل عليك أن تختار القدر الذى تستطيع أن تحفظه كل يوم ولا تزيد على ذلك.

١٣- لا تبدأ فى الحفظ إلا بعد إجادة التلاوة:

ولا تبدأ أبدًا فى حفظ القرآن إلا بعد أن تجيد

تلاوته وتجويد أحكام التلاوة حتى إذا حفظت كان حفظك سليمًا ليس فيه أخطاء.

١٤- أن تعلم أن حفظ القرآن هو أول طريق العلم:

فلا يستطيع مسلم أن يتحصل على أي علم من العلوم الشرعية بغير قرآن .... فالقرآن يفتح لك كل أبواب العلم، بل وكل أبواب الخير في الدنيا والآخرة.

١٥- أن تصلي بما تحفظه:

وعليك أن تحرص كل الحرص على أن تصلي السنن والنوافل بما تحفظه في ذلك اليوم... ويا حبذا لو قرأت به في صلاة الفريضة حتى تتمكن من الحفظ.

١٦- قيام الليل:

فقيام الليل - وبخاصة في الثلث الأخير - هو

الوقت المبارك الذى يتنزل فيه الله عز وجل تنزلاً يليق بجلاله وكماله إلى السماء الدنيا، وينادى على عباده كما فى الصحيحين: «.... من يدعونى فأستجيب له؟ من يسألنى فأعطيه؟ من يستغفرنى فأغفر له؟».

فاسأل ربك عز وجل أن يغفر ذنوبك وأن يكرمك بحفظ كتابه.

١٧- المداومة على الأذكار والتحصينات:

ومما يعينك على الحفظ أن تداوم على أذكار الصباح والمساء، وأن تقرأ الأذكار التى جعلها الله سببًا لحفظك من مكايد الشيطان .... ومنها على سبيل المثال: أن النبى ﷺ كان إذا دخل المسجد قال: «أعوذ بالله العظيم وبوجهه الكريم وسلطانه القديم من الشيطان الرجيم». وقال: «إذا قال ذلك حُفظ منه

سائر اليوم»(١)، أي: من قال ذلك حفظه الله من الشيطان طوال هذا اليوم.

١٨- لا تقدم شيئًا على القرآن:

وإذا بدأت في طلب العلم فابدأ أولاً بمراجعة الجزء الذي حفظته ثم اشتغل بعد ذلك بسائر العلوم حتى لا تطغى علوم الدين على أشرف علم الا وهو علم القرآن.

١٩- عاقب نفسك عند التقصير:

وإذا قصرت في حفظ وِردك اليومي من القرآن فعليك أن تعاقب نفسك بشيء من المباحات كالصيام والقيام والصدقة.

٢٠- احذر من الكبر والغرور:

وقد يتطرق الكبر والغرور إلى قلب العبد إذا

---

(١) صحيح: رواه أبو داود (٤٦٦) كتاب الصلاة، وصححه العلامة الألباني رحمه الله في المشكاة (٧٤٩).

حفظ القرآن.... وهذا هو بداية الخذلان، فاحذر يا بنى من الكبر والغرور، واحرص على أن تكون متواضعًا حتى يحبك الله ويرفع قدرك فى الدنيا والآخرة.... قال ﷺ: «**من تواضع لله رفعه الله**»[1].

٢١- احذر من الحسد:

احذر من أن تحسد أحدًا من إخوانك فإن حفظ القرآن رزق من الله (جل وعلا) فلا تعترض على قدر الله.

وفى نفس الوقت لا تُكثر من الكلام عن قدرتك على الحفظ وسرعتك فى حفظ السور والآيات فإن العين حق... فقد يحسدك أحد إخوانك فتجد نفسك غير قادر على الحفظ... فاجعل عملك فى

(١) صحيح: رواه مسلم (٢٥٨٨).

السر حتى لا يحسدك أحد وحتى يكون عملك أقرب إلى الإخلاص.

٢٢ - المحافظة على الوضوء مع إحسانه:

والمقصود بالإحسان هنا هو اتباع هدى النبى ﷺ فى الوضوء.

فعن رجل من أصحاب النبى ﷺ أن رسول الله ﷺ صلى بهم الصبح فقرأ فيها (الروم) فأوهم، فلما انصرف قال: «**إنه يُلَبِّس علينا القرآن، فإن أقوامًا منكم يصلون معنا لا يُحسنون الوضوء، فمن شهد منكم الصلاة معنا، فليُحسن الوضوء**»(١).

قال الحافظ ابن كثير رحمه الله بعد أن ذكره فى تفسيره فى آخر سورة الروم: وهذا إسنادٌ حسنٌ، ومتنٌ حسنٌ، وفيه سرٌ عجيب ونبأ غريب، وهو أنه ﷺ

(١) حسن: رواه النسائى (٩٤٧) كتاب الافتتاح، وأحمد (١٥٤٤٧)، وحسنه العلامة الألبانى رحمه الله فى صحيح الترغيب (٢٢٢).

تأثر بنقصان وضوء من ائتم به فدلَّ ذلك على أن صلاة المأموم متعلقة بصلاة الإمام. اهـ.

٢٣- الحرص على حسن الخاتمة:

فإنه من مات على شيء بُعث عليه.. وذلك يجعلك تحرص كل الحرص على أن تتعايش بقلبك ولسانك وجوارحك مع آيات القرآن حتى تموت على ذلك وتُبعث مع أهل القرآن الذين هم أهل الله وخاصته.

٢٤- استحضار نعيم الجنة وعذاب النار:

فإذا ما علمت أن القرآن سبب فى نجاتك من عذاب القبر وسبب فى نجاتك من عذاب النار.... بل إذا علمت أنك يوم القيامة سوف ترتقى فى درجات الجنة بالقرآن فإن ذلك يحدوك إلى أن تحفظ القرآن من أوله لآخره حتى تصل إلى أعلى درجات الجنة.... جعلنا الله وإياكم من أهل القرآن.

سورة النبأ

بِسْمِ اللَّهِ الرَّحْمَٰنِ الرَّحِيمِ ﴿ عَمَّ يَتَسَاءَلُونَ (١) عَنِ النَّبَإِ الْعَظِيمِ (٢)
الَّذِي هُمْ فِيهِ مُخْتَلِفُونَ (٣) كَلَّا سَيَعْلَمُونَ (٤) ثُمَّ كَلَّا سَيَعْلَمُونَ
(٥) أَلَمْ نَجْعَلِ الْأَرْضَ مِهَادًا (٦) وَالْجِبَالَ أَوْتَادًا (٧) وَخَلَقْنَاكُمْ
أَزْوَاجًا (٨) وَجَعَلْنَا نَوْمَكُمْ سُبَاتًا (٩) وَجَعَلْنَا اللَّيْلَ لِبَاسًا (١٠)
وَجَعَلْنَا النَّهَارَ مَعَاشًا (١١) وَبَنَيْنَا فَوْقَكُمْ سَبْعًا شِدَادًا (١٢) وَجَعَلْنَا
سِرَاجًا وَهَّاجًا (١٣) وَأَنْزَلْنَا مِنَ الْمُعْصِرَاتِ مَاءً ثَجَّاجًا (١٤) لِنُخْرِجَ
بِهِ حَبًّا وَنَبَاتًا (١٥) وَجَنَّاتٍ أَلْفَافًا (١٦) إِنَّ يَوْمَ الْفَصْلِ كَانَ مِيقَاتًا
(١٧) يَوْمَ يُنْفَخُ فِي الصُّورِ فَتَأْتُونَ أَفْوَاجًا (١٨) وَفُتِحَتِ السَّمَاءُ
فَكَانَتْ أَبْوَابًا (١٩) وَسُيِّرَتِ الْجِبَالُ فَكَانَتْ سَرَابًا (٢٠) إِنَّ جَهَنَّمَ
كَانَتْ مِرْصَادًا (٢١) لِلطَّاغِينَ مَآبًا (٢٢) لَابِثِينَ فِيهَا أَحْقَابًا (٢٣) لَا
يَذُوقُونَ فِيهَا بَرْدًا وَلَا شَرَابًا (٢٤) إِلَّا حَمِيمًا وَغَسَّاقًا (٢٥) جَزَاءً

وفاقا (٢٦) إنهم كانوا لا يرجون حسابا (٢٧) وكذبوا بآياتنا كذابا
(٢٨) وكل شيء أحصيناه كتابا (٢٩) فذوقوا فلن نزيدكم إلا عذابا
(٣٠) إن للمتقين مفازا (٣١) حدائق وأعنابا (٣٢) وكواعب أترابا
(٣٣) وكأسا دهاقا (٣٤) لا يسمعون فيها لغوا ولا كذابا (٣٥) جزاء
من ربك عطاء حسابا (٣٦) رب السموات والأرض وما بينهما
الرحمن لا يملكون منه خطابا (٣٧) يوم يقوم الروح والملائكة صفا
لا يتكلمون إلا من أذن له الرحمن وقال صوابا (٣٨) ذلك اليوم
الحق فمن شاء اتخذ إلى ربه مآبا (٣٩) إنا أنذرناكم عذابا قريبا يوم
ينظر المرء ما قدمت يداه ويقول الكافر يا ليتني كنت ترابا ﴾.

حبايبي الحلوين:

هل تعرفون لماذا سُميت هذه السورة الكريمة بسورة النبأ؟

الجواب: لأنها تتحدث عن خبر ونبأ يوم القيامة، ذلك اليوم العظيم الذى يجمع الله فيه الناس أجمعين

ليحاسبهم على ما فعلوه فى الحياة الدنيا فمن فعل الخير دخل الجنة ومن فعل الشر دخل النار.. ولكن لا بد أن نعلم أن المؤمن إذا وقع في المعاصى ومات على الإيمان قبل أن يتوب فإنه يكون في مشيئة الله (جل وعلا).. فإذا أراد الله أن يعفو عنه عفا عنه وإذا أراد أن يعاقبه فإنه يعاقبه ولكنه لا يُخلَّد فى النار.

* **فتعالوا بنا لنتعايش بقلوبنا مع تفسير سورة النبأ:**

* ﴿**عَمَّ يَتَسَاءَلُونَ**﴾ تبدأ السورة بهذا الاستفهام.. عم يتساءلون.. أى: عن أى شيء يتساءل المشركون ويتجادلون؟

* ﴿**عَنِ النَّبَإِ الْعَظِيمِ**﴾ أى: أنهم يتساءلون عن الخبر العظيم وهو أمر البعث يوم القيامة.

* ﴿**الَّذِى هُمْ فِيهِ مُخْتَلِفُونَ**﴾ أى: أنهم يتساءلون عن أمر البعث الذى اختلفوا فيه ما بين شاكٍّ فى وقوعه

وما بين مُكـذب مُنكرٍ لحصوله . . فـمنهم من يشك في وقوع يوم القيـامة ومنهم من ينكر ذلك اليوم ولا يعتقد فيه أبدًا . .

* وهنا يتوعد الله المشركين بوعيدٍ بعد وعيد فيقول: ﴿كَلَّا سَيَعْلَمُونَ﴾ أي: سيعلمون حـين يرون البعث أمرًا واقعًا ويرون عاقبة شكهم وإنكارهم واستهزائهم.

* ﴿ثُمَّ كَلَّا سَيَعْلَمُونَ﴾ أي: سيعلمون في هذا اليوم مـا يحلُّ بهم من العذاب عـلى إنكارهم لهذا اليـوم وعنادهم واستمرارهم على الكفر بالله (جل وعلا).

* وبعـدمـا توعـد الله المشـركـين على إنكارهم للبعث ذكر لهم الأدلة على قدرته ليُقيم عليهم الحجة فيما أنكروه من أمر البعث.

وكـأنه يقـول لهم: إن الإله الذي خلق وأوجـد كل هذه المخلوقات قادرٌ على إحيائهم وبعثهم بعد موتهم.

قال تعالى: ﴿ أَلَمْ نَجْعَلِ الأَرْضَ مِهَادًا ﴾ أى: ألم نجعل هذه الأرض التى تسكنونها ممهدة للاستقرار عليها فأصبحت كالفراش والبساط لتستقروا عليها وتستفيدوا من سهولها الواسعة بأنواع المزروعات.

* ﴿ وَالْجِبَالَ أَوْتَادًا ﴾ أى: وجعلنا الجبال كالأوتاد للأرض تُثبتها حتى لا تميد بكم كما يثبت البيت بالأعمدة.

* ﴿ وَخَلَقْنَاكُمْ أَزْوَاجًا ﴾ أى: جعلناكم أيها الناس أصنافًا .. ذكورًا وإناثًا ليستمر التناسل وتُعمَّر البلدان ولا تنقطع الحياة عن ظهر هذا الكوكب الأرضى.

* ﴿ وَجَعَلْنَا نَوْمَكُمْ سُبَاتًا ﴾ أى: وجعلنا النوم راحة لأبدانكم قاطعًا لأشغالكم تتخلصون به من مشاق العمل بالنهار.

* ﴿ وَجَعَلْنَا اللَّيْلَ لِبَاسًا ﴾ أى: جعلنا الليل كاللباس يغشاكم ويستركم بظلامه كما يستركم اللباس

وتغطيكم ظلمته كما يغطى الثوب من يلبسه.

* ﴿وَجَعَلْنَا النَّهَارَ مَعَاشًا﴾ أى: جعلنا النهار سببًا لتحصيل المعاش فقد جعلناه مضيئًا مشرقًا ليتمكن الناس من التصرف فيه بالذهاب والمجىء للمعاش والتكسب والتجارات وغير ذلك.

* ﴿وَبَنَيْنَا فَوْقَكُمْ سَبْعًا شِدَادًا﴾ أى: وبنينا فوقكم -أيها الناس- سبع سموات محكمة الخلق، بديعة الصنع، متينة فى إحكامها وإتقانها، لا تتأثر بمرور العصور والأزمان خلقناها بقدرتنا؛ لتكون كالسقف للأرض.

* ﴿وَجَعَلْنَا سِرَاجًا وَهَّاجًا﴾ أى: وأنشأنا لكم شمسًا منيرة ساطعة يتوهج ضوؤها ويتوقد لأهل الأرض كلهم فهى دائمة الحرارة والتوقُّد.

* ﴿وَأَنزَلْنَا مِنَ الْمُعْصِرَاتِ مَاءً ثَجَّاجًا﴾ أى: وأنزلنا من السُّحب التى حان وقتُ إمطارها ماءً دافقًا منهمرًا

بشدة وقوة.

* ﴿لِنُخْرِجَ بِهِ حَبًّا وَنَبَاتًا﴾ أي: لنخرج بهذا الماء أنواع الحبوب والزروع، التي تنبت في الأرض غذاءً للإنسان والحيوان.

* ﴿وَجَنَّاتٍ أَلْفَافًا﴾ أي: وحدائق وبساتين، كثيرة الأشجار والأغصان، ملتفة بعضها على بعض، لكثرة أغصانها، وتقارب أشجارها.

ذكر تعالى هذه الأدلة التسع على قدرته تعالى، كبرهان واضح على إمكان البعث والنشور؛ فإن من قدر على هذه الأشياء قادرٌ على البعث والإحياء.

• يوم الفصل:

ولما ذكر الله الدلائل على قدرته، ذكَّرهم بالنبأ العظيم، الذي هم فيه يتجادلون، فأخبر الحق (جل وعلا) أن يوم الفصل بين الخلق كان ميقاتًا معلومًا،

وأجلاً محدودًا، لما وعدكم الله من الثواب للمؤمنين، والعقاب للكافرين.

• ولماذا سمى يوم القيامة بالفصل؟

لأن الله تعالى يفصل فيه بين المؤمنين والكافرين، وبين الحق والباطل.

فإذا كان يوم القيامة، نفخ إسرافيل -الملك الموكل بالنفخ فى الصور-، فيأتى الخلق إلى أرض المحشر جماعات جماعات، وزُمرًا زُمرًا من كل مكان للحساب، وتنشق السماء لنزول الملائكة، فكانت ذات أبواب، وسُيرت الجبال، وقُلعت من أماكنها، فصارت هباءً منبثًا لعين الناظر كالسراب، وتسير الجبال. . . هذا قبل النفخة الثانية.

وفى الآيات الكريمة ردٌّ على مُنكرى البعث والنشور، وذكر القيامة وأهوالها.

* ﴿إِنَّ يَوْمَ الْفَصْلِ كَانَ مِيقَاتًا﴾ أى: إن يوم الحساب والجزاء ويوم الفصل بين الخلائق له وقت محدود فى علم الله وقضائه لا يتقدم ولا يتأخر.

* ﴿يَوْمَ يُنفَخُ فِي الصُّورِ فَتَأْتُونَ أَفْوَاجًا﴾ أى: يكون ذلك يوم أن يُنفخ فى الصور نفخة القيام من القبور فتحضرون جماعات للحساب والجزاء.

والصور كهيئة البوق .. والملك الذى ينفخ فيه هو إسرافيل.

* ﴿وَفُتِحَتِ السَّمَاءُ فَكَانَتْ أَبْوَابًا﴾ أى: تشققت السماء من كل جانب، حتى كان فيها صدوع وفتوح كالأبواب فى الجدران؛ لنزول الملائكة.

* ﴿وَسُيِّرَتِ الْجِبَالُ فَكَانَتْ سَرَابًا﴾ أى: ونُسفت الجبال، وقُلعت من أماكنها، حتى أصبح يُخيَّل إلى الناظر أنها شىء وليست بشىء، كالسراب يظنُّه

الرائي ماءً وليس بماء.

* ﴿إِنَّ جَهَنَّمَ كَانَتْ مِرْصَادًا﴾ أي: إن جهنم تنتظر وتترقب نُزلاءها الكفار، كما يترصد الإنسان، ويترقب عدوه؛ ليأخذه على حين غِرَّةٍ، وهى مترقبة ومتطلعة لمن يمرُّ عليها من الكفار الفجار؛ لتلتقطهم إليها.

* ﴿لِلطَّاغِينَ مَآبًا﴾ أى: هى مرجع ومأوى ومنزل للطغاة المجرمين.

* ﴿لَابِثِينَ فِيهَا أَحْقَابًا﴾ أى: ماكثين فى النار دهورًا متتابعة، لا نهاية لها، وهى لا تنقطع، كلما مضى حقب جاء حقب؛ لأن أحقاب الآخرة لا نهاية لها.

* ﴿لَا يَذُوقُونَ فِيهَا بَرْدًا وَلَا شَرَابًا﴾ أى: لا يذوقون فى جهنم برودةً تخفف عنهم حرَّ النار، ولا شرابًا يُسكّن عطشهم فيها.

* ﴿إِلَّا حَمِيمًا وَغَسَّاقًا﴾ أى: لا يجدون ما يشربونه

إلا ماءً حاراً بالغًا الغاية في الحرارة، وغساقا أي: صديداً يسيل من جلود أهل النار.

* ﴿جَزَاءً وِفَاقًا﴾ أي: عاقبهم الله بذلك جزاءً موافقًا لأعمالهم السيئة.

فإنهم أنكروا البعث وكفروا بالله وحاربوا رسول الله ﷺ فكان هذا جزاءً عادلاً من الله (جل وعلا) لهؤلاء المشركين.

* ﴿إِنَّهُمْ كَانُوا لَا يَرْجُونَ حِسَابًا﴾ أي: لم يكونوا يتوقعون الحساب والجزاء، ولا يؤمنون بلقاء الله، فجازاهم الله بذلك الجزاء العادل.

* ﴿وَكَذَّبُوا بِآيَاتِنَا كِذَّابًا﴾ أي: وكانوا يكذبون بآيات الله الدالة على البعث وبالآيات القرآنية تكذيبًا شديدًا.

* ﴿وَكُلَّ شَيْءٍ أَحْصَيْنَاهُ كِتَابًا﴾ أي: وكل ما فعلوه من جرائم وآثام ضبطناه في كتاب؛ لنجازيهم عليه.

* ﴿فَذُوقُوا فَلَن نَّزِيدَكُمْ إِلَّا عَذَابًا﴾ أى: فذوقوا -يا معشر الكفار- فلن نزيدكم على استغاثتكم إلا عذابًا فوق عذابكم.

قال المفسرون: ليس فى القرآن على أهل النار آية هى أشد من هذه الآية، كلما استغاثوا بنوع من العذاب أُغيثوا بأشد منه.

* ولما ذكر الله تعالى أحوال الأشقياء أهل النار ذكر بعدها أحوال السعداء الأبرار أهل الجنة فقال تعالى: ﴿إِنَّ لِلْمُتَّقِينَ مَفَازًا﴾ أى: إن للمؤمنين الأبرار الذين أطاعوا ربهم فى الدنيا، موضع ظفر وفوز بجنات النعيم، وخلاص من عذاب الجحيم.

* ﴿حَدَائِقَ وَأَعْنَابًا﴾ أى: بساتين ناضرة فيها من جميع الأشجار والأزهار، وفيها كروم الأعناب الطيبة المتنوعة، من كل ما تشتهيه النفوس.

* ﴿وَكَوَاعِبَ أَتْرَابًا﴾ أي: ونساءٌ عذارى، وهنَّ في سنٍ واحدة.

* ﴿وَكَأْسًا دِهَاقًا﴾ أي: وكأسًا من الخمر ممتلئةً صافية.

* ﴿لَا يَسْمَعُونَ فِيهَا لَغْوًا وَلَا كِذَّابًا﴾ أي: لا يسمعون في الجنة كلامًا فارغًا لا فائدة فيه، ولا كذبًا من القول؛ لأن الجنة دار السلام، وكل ما فيها سالمٌ من الباطل والنقص.

* ﴿جَزَاءً مِّن رَّبِّكَ عَطَاءً حِسَابًا﴾ أي: جازاهم الله بذلك الثواب العظيم، تفضلاً منه، وإحسانًا كافيًا على حسب أعمالهم.

* ﴿رَّبِّ السَّمَاوَاتِ وَالْأَرْضِ وَمَا بَيْنَهُمَا الرَّحْمَٰنِ﴾ أي: هذا الجزاء صادرٌ من الرحمن الذي شملت رحمته كل شيء.

* ﴿لَا يَمْلِكُونَ مِنْهُ خِطَابًا﴾ أي: لا يقدر أحدٌ أن يخاطبه في دفع بلاء، أو رفع عذاب في ذلك اليوم، هيبة وإجلالاً.

* ﴿يَوْمَ يَقُومُ الرُّوحُ وَالْمَلَائِكَةُ صَفًّا﴾ أي: في ذلك اليوم الرهيب يقف جبريل والملائكة مُصطفين خاشعين؛ فالروح هو جبريل عليه السلام.

* ﴿لَّا يَتَكَلَّمُونَ إِلَّا مَنْ أَذِنَ لَهُ الرَّحْمَٰنُ وَقَالَ صَوَابًا﴾ أي: لا يتكلم أحد منهم إلا من أذن الله له بالكلام والشفاعة، ونطق بالصواب.

* ﴿ذَٰلِكَ الْيَوْمُ الْحَقُّ﴾ أي: ذلك هو اليوم الكائن الواقع لا محالة.

* ﴿فَمَن شَاءَ اتَّخَذَ إِلَىٰ رَبِّهِ مَآبًا﴾ أي: فمن شاء أن يسلك إلى ربه مرجعًا كريمًا بالإيمان والعمل الصالح فليفعل.

* ﴿إِنَّا أَنذَرْنَاكُمْ عَذَابًا قَرِيبًا﴾ أى: إنا حذرناكم وخوفناكم يا معشر قريش عذابًا قريبًا وقوعه هو عذاب الآخرة، سماه قريبًا لأن كل ما هو آتٍ قريب.

* ﴿يَوْمَ يَنظُرُ الْمَرْءُ مَا قَدَّمَتْ يَدَاهُ﴾ أى: يوم يرى كل إنسان ما قدم من خير أو شر مُثبتًا فى صحيفته.

* ﴿وَيَقُولُ الْكَافِرُ يَا لَيْتَنِي كُنتُ تُرَابًا﴾ أى: ويتمنى الكافر لو أنه لم يُخلق ولم يُكلَّف، ويقول: يا ليتنى كنت ترابًا حتى لا أُحاسَب ولا أعاقَب.

* يقول الصحابى الجليل أبو هريرة رضي الله عنه:

إن الله يحشر الخلق كلهم، كل دابة، وطائر، وإنسان، ويقول للبهائم والطير: كونوا ترابًا، فعند ذلك يقول الكافر: ياليتنى كنت ترابًا(1).

وفى الآيات الكريمة بيان لشدة موقف العرض يوم القيامة، وتمنى الكفار الهلاك والبوار عند رؤية العذاب.

---

(1) أخرجه الطبرى (٣٠/١٧) فى تفسيره بسند صحيح، وهو فى الدر المنثور (٦/ ٣١٠).

سورة النازعات

بِسْمِ اللَّهِ الرَّحْمَٰنِ الرَّحِيمِ ﴿ وَالنَّازِعَاتِ غَرْقًا (١) وَالنَّاشِطَاتِ نَشْطًا
(٢) وَالسَّابِحَاتِ سَبْحًا (٣) فَالسَّابِقَاتِ سَبْقًا (٤) فَالْمُدَبِّرَاتِ
أَمْرًا (٥) يَوْمَ تَرْجُفُ الرَّاجِفَةُ (٦) تَتْبَعُهَا الرَّادِفَةُ (٧) قُلُوبٌ يَوْمَئِذٍ
وَاجِفَةٌ (٨) أَبْصَارُهَا خَاشِعَةٌ (٩) يَقُولُونَ أَئِنَّا لَمَرْدُودُونَ فِي
الْحَافِرَةِ (١٠) أَءِذَا كُنَّا عِظَامًا نَّخِرَةً (١١) قَالُوا تِلْكَ إِذًا كَرَّةٌ خَاسِرَةٌ
(١٢) فَإِنَّمَا هِيَ زَجْرَةٌ وَاحِدَةٌ (١٣) فَإِذَا هُم بِالسَّاهِرَةِ ﴾.

[النازعات: ١-١٤]

بدأت هذه السورة الكريمة بقسم من الله (جل وعلا) بملائكته الكرام الذين ينزعون أرواح الكافرين نزعًا مؤلمًا وبالملائكة الذين ينزعون أرواح المؤمنين برفق ورحمة وسهولة.

ويوضح ذلك النبى ﷺ حيث يقول: «إن العبد المؤمن إذا كان فى انقطاع من الدنيا، وإقبال من الآخرة، نزل إليه ملائكة بيض الوجوه، ثم يجيء ملك الموت حتى يجلس عند رأسه، ويقول: أيتها النفس الطيبة المطمئنة، اخرجى إلى مغفرة من الله ورضوان، فتخرج روحه تسيل كما تسيل القطرة من فِىِّ السقاء(١) وإن العبد الكافر أو الفاجر إذا كان فى انقطاع من الدنيا، وإقبال من الآخرة، نزل إليه من السماء ملائكة سود الوجوه، ثم يجيء ملك الموت حتى يجلس عند رأسه، فيقول: أيتها النفس الخبيثة، اخرجى إلى سخط من الله وغضب، فتفرق الروح فى جسده، فينتزعها كما ينتزع السفود(٢)، الكثير الشُّعب من الصوف المبلول، فتقطع معها العروق والعصب»(٣).

(١) أي: من فم قربة الماء.

(٢) السُّفود: حديدة ذات شُعَب مُعقفة، يشوى عليها اللحم.

(٣) حديثٌ صحيح: أخرجه أبو داود (٤٧٥٣)، وأحمد (٤/ ٢٨٧)، والطيالسى (٧٥٣)، والحاكم (١/ ٣٧)، وصححه وأقره الذهبى.

ثم أقسم الله بملائكته الكرام السابقين، والمُدبرين لأمور الخلائق، والسابحين فى الكون، . . . فالقسم بخمسة أصناف من الملائكة مما يؤكد أهمية المُقسَم عليه، وهو البعث والحساب.

فجواب القسم حُذف، وتقديره: لتُبعثن أيها الناس، ولتُحاسبن، وذلك يوم القيامة.

* ثم ذكر الله (جل وعلا) النفختين: النفخة الأولى التى يتزلزل ويتحرك لها كل شىء، والنفخة الثانية.

فالأولى: تُميت كل شىء بإذن الله تعالى، وأما الثانية: فتُحيى كل شىء بإذن الله.

وكان النبى ﷺ يُذكِّر أصحابه بالنفختين.

فيروى أُبى بن كعب ؓ أنه سمع رسول الله ﷺ يقول: «**يا أيها الناس اذكروا الله، يا أيها الناس اذكروا الله، يا أيها الناس اذكروا الله، جاءت الراجفة**

تتبعها الرادفة، جاء الموت بما فيه، جاء الموت بما فيه»(١) .

* والآن هيا بنا لنتعايش بقلوبنا مع تفسير سورة النازعات:

* ﴿ وَالنَّازِعَاتِ غَرْقًا ﴾ أقسم الله تعالى بالملائكة التى تنزع أرواح الكفار نزعًا بالغًا أقصى الغاية فى الشدة .

* ﴿ وَالنَّاشِطَاتِ نَشْطًا ﴾ وأقسم بالملائكة التى تنزع أرواح المؤمنين بسهولة ويسر، وتسلُّها سلاًّ رفيقًا .

* ﴿ وَالسَّابِحَاتِ سَبْحًا ﴾ أى: وأقسم بالملائكة التى تنزل بأمر الله ووحيه من السماء، كالذى يسبح فى الماء، مسرعين لتنفيذ أمر الله .

* ﴿ فَالسَّابِقَاتِ سَبْقًا ﴾ أى: الملائكة التى تبادر لأمر الله، وتسبق الشياطين فى إيصال الوحى إلى رسل الله، لئلا تسرقه الشياطين، أو تعرفه وتطلع عليه قبل نزوله من السماء .

---

(١) رواه أحمد والترمذى والحاكم بإسناد حسن .

* ﴿فَالْمُدَبِّرَاتِ أَمْرًا﴾ أي: الملائكة تدبر شؤون الكون بأمره تعالى، في الرياح، والأمطار، والأرزاق والأعمار، وغير ذلك من شؤون الدنيا.

ثم يُبين الله تعالى ما يحدث للكفار يوم القيامة، فقلوبهم يومئذ خائفة وجلة، وأبصارهم منكسرة ذليلة من هول ما ترى، وكان هؤلاء المكذبون بالبعث إذا قيل لهم إنكم مبعوثون من بعد الموت يقولون: أئنا لمبعوثون خلقًا جديدًا؟! أنحيا بعد موتنا، ونُبعث من مكاننا هذا؟!

* ﴿يَوْمَ تَرْجُفُ الرَّاجِفَةُ﴾ أي: يوم ينفخ في الصور النفخة الأولى التي يرتجف ويتزلزل لها كل شيء.

* ﴿تَتْبَعُهَا الرَّادِفَةُ﴾ تتبعها النفخة الثانية، وهي نفخة القيام من القبور.

* ﴿قُلُوبٌ يَوْمَئِذٍ وَاجِفَةٌ﴾ أي: قلوب الكفار في ذلك اليوم خائفة وجلة مضطربة.

* ﴿أَبْصَارُهَا خَاشِعَةٌ﴾ أي: أبصار أصحابها ذليلة حقيرة؛ مما عاينت من الأهوال.

* ﴿يَقُولُونَ أَئِنَّا لَمَرْدُودُونَ فِي الْحَافِرَةِ﴾ أي: يقولون فى الدنيا استهزاءً واستبعادًا للبعث أنُردُّ بعد الموت فنصير أحياء بعد فنائنا، ونرجع كما كنا أول مرة.

* ﴿أَءِذَا كُنَّا عِظَامًا نَّخِرَةً﴾ أي: هل إذا صرنا عظامًا بالية متفتتة سنُرد ونُبعث من جديد؟

* ﴿قَالُوا تِلْكَ إِذًا كَرَّةٌ خَاسِرَةٌ﴾ أي: إن كان البعث حقًّا، وبُعثنا بعد موتنا؛ فسوف نكون من الخاسرين؛ لأننا من أهل النار.

* ﴿فَإِنَّمَا هِيَ زَجْرَةٌ وَاحِدَةٌ﴾ أي: فإنما هى صيحة واحدة، يُنفخ فيها فى الصور للقيام من القبور.

* ﴿فَإِذَا هُم بِالسَّاهِرَةِ﴾ أي: فإذا الخلائق جميعًا على وجه الأرض بعدما كانوا فى بطنها.

• صورة مُجملة من قصة موسى (عليه السلام) مع فرعون:

قال تعالى: ﴿هَلْ أَتَاكَ حَدِيثُ مُوسَىٰ (١٥) إِذْ نَادَاهُ رَبُّهُ
بِالْوَادِ الْمُقَدَّسِ طُوًى (١٦) اذْهَبْ إِلَىٰ فِرْعَوْنَ إِنَّهُ طَغَىٰ (١٧) فَقُلْ
هَل لَّكَ إِلَىٰ أَن تَزَكَّىٰ (١٨) وَأَهْدِيَكَ إِلَىٰ رَبِّكَ فَتَخْشَىٰ (١٩) فَأَرَاهُ
الْآيَةَ الْكُبْرَىٰ (٢٠) فَكَذَّبَ وَعَصَىٰ (٢١) ثُمَّ أَدْبَرَ يَسْعَىٰ (٢٢) فَحَشَرَ
فَنَادَىٰ (٢٣) فَقَالَ أَنَا رَبُّكُمُ الْأَعْلَىٰ (٢٤) فَأَخَذَهُ اللَّهُ نَكَالَ الْآخِرَةِ
وَالْأُولَىٰ (٢٥) إِنَّ فِي ذَٰلِكَ لَعِبْرَةً لِّمَن يَخْشَىٰ (٢٦) أَأَنتُمْ أَشَدُّ خَلْقًا
أَمِ السَّمَاءُ بَنَاهَا (٢٧) رَفَعَ سَمْكَهَا فَسَوَّاهَا (٢٨) وَأَغْطَشَ لَيْلَهَا
وَأَخْرَجَ ضُحَاهَا (٢٩) وَالْأَرْضَ بَعْدَ ذَٰلِكَ دَحَاهَا (٣٠) أَخْرَجَ مِنْهَا
مَاءَهَا وَمَرْعَاهَا (٣١) وَالْجِبَالَ أَرْسَاهَا (٣٢) مَتَاعًا لَّكُمْ وَلِأَنْعَامِكُمْ
(٣٣) فَإِذَا جَاءَتِ الطَّامَّةُ الْكُبْرَىٰ (٣٤) يَوْمَ يَتَذَكَّرُ الْإِنسَانُ مَا سَعَىٰ
(٣٥) وَبُرِّزَتِ الْجَحِيمُ لِمَن يَرَىٰ (٣٦) فَأَمَّا مَن طَغَىٰ (٣٧) وَآثَرَ
الْحَيَاةَ الدُّنْيَا (٣٨) فَإِنَّ الْجَحِيمَ هِيَ الْمَأْوَىٰ (٣٩) وَأَمَّا مَنْ خَافَ

مَقَامَ رَبِّهِ وَنَهَى النَّفْسَ عَنِ الْهَوَىٰ ﴿٤٠﴾ فَإِنَّ الْجَنَّةَ هِيَ الْمَأْوَىٰ ﴿٤١﴾
يَسْأَلُونَكَ عَنِ السَّاعَةِ أَيَّانَ مُرْسَاهَا ﴿٤٢﴾ فِيمَ أَنتَ مِن ذِكْرَاهَا ﴿٤٣﴾
إِلَىٰ رَبِّكَ مُنتَهَاهَا ﴿٤٤﴾ إِنَّمَا أَنتَ مُنذِرُ مَن يَخْشَاهَا ﴿٤٥﴾ كَأَنَّهُمْ يَوْمَ
يَرَوْنَهَا لَمْ يَلْبَثُوا إِلَّا عَشِيَّةً أَوْ ضُحَاهَا ﴾ [النازعات: ١٥-٤٦].

* ﴿هَلْ أَتَاكَ حَدِيثُ مُوسَىٰ﴾ وهذا أسلوب تشويق وترغيب لسماع القصة.

أي: هل سمعت يا محمد بخبر نبي الله موسى (عليه السلام).

* ﴿إِذْ نَادَاهُ رَبُّهُ بِالْوَادِ الْمُقَدَّسِ طُوًى﴾ أي: حين ناجاه ربه بالوادى المطهر المبارك المُسمَّى بوادى طُوى.. وهو الوادى الذى كلم الله فيه موسى (عليه السلام) وهو فى أسفل جبل طور سيناء.

* ﴿اذْهَبْ إِلَىٰ فِرْعَوْنَ إِنَّهُ طَغَىٰ﴾ أي: قلنا له: اذهب إلى فرعون الطاغية الجبار الذى جاوز الحدَّ فى الظلم والطغيان.

* ﴿فَقُلْ هَل لَّكَ إِلَىٰ أَن تَزَكَّىٰ﴾ أى: هل لك رغبةٌ وميلٌ إلى أن تُسلم؛ فتطهر من الشرك والذنوب والآثام.

* ﴿وَأَهْدِيَكَ إِلَىٰ رَبِّكَ فَتَخْشَىٰ﴾ أى: وأرشدك إلى معرفة ربك وطاعته؛ فتتقيه وتخشاه.

* ﴿فَأَرَاهُ الْآيَةَ الْكُبْرَىٰ﴾ أى: فذهب موسى عليه السلام إليه ودعاه وكلَّمه، فلما امتنع عن الإيمان، أراه المعجزة الكبرى، وهى أن تصير العصا حية تسعى.

* ﴿فَكَذَّبَ وَعَصَىٰ﴾ أى: فكذب فرعون نبى الله موسى عليه السلام، وعصى أمر الله بعد ظهور تلك المعجزة الباهرة.

* ﴿ثُمَّ أَدْبَرَ يَسْعَىٰ﴾ أى: ولَّى مُدبرًا مُعرضًا عن الإيمان، يُسرع ويجتهد فى العصيان والمعارضة.

* ﴿فَحَشَرَ فَنَادَىٰ﴾ أى: فجمع السحرة والجنود والأتباع، ووقف خطيبًا فى الناس.

* ﴿فَقَالَ أَنَا رَبُّكُمُ الأَعْلَىٰ﴾ أى: فقال لهم بصوتٍ عالٍ: أنا ربكم المعبود العظيم الذى لا ربَّ فوقى.

* ﴿فَأَخَذَهُ اللَّهُ نَكَالَ الآخِرَةِ وَالأُولَىٰ﴾ أى: فأهلكه الله عقوبة له على مقالته الأخيرة: ﴿أَنَا رَبُّكُمُ الأَعْلَىٰ﴾ ومقالته الأولى وهى قوله: ﴿مَا عَلِمْتُ لَكُم مِّنْ إِلَٰهٍ غَيْرِى﴾(١).

* ﴿إِنَّ فِى ذَٰلِكَ لَعِبْرَةً لِّمَن يَخْشَىٰ﴾ أى: إن فيما ذُكر من قصة فرعون وطغيانه، وما حلَّ به من العذاب والنكال؛ لعظة واعتبارًا لمن يخاف الله عز وجل، ويخشى عقابه.

وفى قصة فرعون الطاغية، وإهلاك الله له عظة وتذكرة لمن يخاف عقاب الله تعالى.

* وبعد أن ذكر الله حديث موسى عليه السلام تسلية

(١) سورة القصص: الآية: (٣٨).

لقلب النبي ﷺ عرض لنا بعض الدلائل والبراهين على قدرته وعظمته، والتي بها يدلل على قدرته على البعث بعد الموت.

* ﴿أَأَنتُمْ أَشَدُّ خَلْقًا أَمِ السَّمَاءُ﴾ أي: هل أنتم -يا معشر المشركين- أشقُّ وأصعب خلقًا، أم خلق السماء العظيمة البديعة؟ فإن من رفع السماء على عظمتها، هينٌ عليه خلقكم وإحياؤكم بعد مماتكم، فكيف تنكرون البعث؟

* ﴿بَنَاهَا﴾ أي: رفعها عالية فوقكم محكمة البناء، بلا عمد ولا أوتاد.

* ﴿رَفَعَ سَمْكَهَا فَسَوَّاهَا﴾ أي: رفع جرمها، وأعلى سقفها فوقكم، فجعلها مستوية لا تفاوت فيها ولا شقوق ولا فطور.

* ﴿وَأَغْطَشَ لَيْلَهَا وَأَخْرَجَ ضُحَاهَا﴾ أي: جعل ليلها

مظلمًا حالكًا، ونهارها مشرقًا مضيئًا.

* ﴿وَالأَرْضَ بَعْدَ ذَلِكَ دَحَاهَا﴾ أي: والأرض بعد خلق السماء بسطها ومهدها لسُكنَى أهلها.

* ﴿أَخْرَجَ مِنْهَا مَاءَهَا وَمَرْعَاهَا﴾ أي: أخرج من الأرض عيون الماء المتفجرة، وأجرى فيها الأنهار، وأنبت فيها الكلأ والمرعى مما يأكله الناس والأنعام.

* ﴿وَالْجِبَالَ أَرْسَاهَا﴾ أي: والجبال أثبتها في الأرض، وجعلها كالأوتاد؛ لتستقر وتسكن بأهلها.

* ﴿مَتَاعًا لَكُمْ وَلأَنْعَامِكُمْ﴾ أي: فعل ذلك كله منفعة للعباد وتحقيقًا لمصالحهم، ومصالح أنعامهم ومواشيهم.

فالقادر على كل تلك المخلوقات قادر على الإعادة بعد الموت، وهو على كل شيء قدير، ومن تأمل في هذه المصنوعات أدرك عظمة الخالق لها،

وآمن به، ولم يعبد معه أحدًا سواه، فهى تدل على وحدانيته سبحانه وتعالى.

ولما ذكر تعالى خلق السموات والأرض، وما أبدع فيهما من عجائب الخلق والتكوين، ليقيم الدليل على إمكان الحشر عقلاً، أخبر بعد ذلك عن وقوعه فعلاً فقال:

* ﴿فَإِذَا جَاءَتِ الطَّامَّةُ الْكُبْرَىٰ﴾ أى: فإذا جاءت القيامة، وهى الداهية العظمى، التى تعم بأهوالها كل شيء، وتعلو على سائر الدواهى.

* ﴿يَوْمَ يَتَذَكَّرُ الْإِنسَانُ مَا سَعَىٰ﴾ أى: فى ذلك اليوم يتذكر الإنسان ما عمله من خير أو شر، ويراه مدونًا فى صحيفة أعماله.

* ﴿وَبُرِّزَتِ الْجَحِيمُ لِمَن يَرَىٰ﴾ أى: أظهرت جهنم للناظرين؛ فرآها الناس عيانًا، بادية لكل ذى بصر.

* ﴿فَأَمَّا مَن طَغَىٰ﴾ أى: جاوز الحدَّ فى الكفر والعصيان.

* ﴿وَآثَرَ الْحَيَاةَ الدُّنْيَا﴾ أى: فضَّل الحياة الفانية على الآخرة الباقية، ولم يستعد لآخرته بالعمل الصالح.

* ﴿فَإِنَّ الْجَحِيمَ هِيَ الْمَأْوَىٰ﴾ أى: فإنَّ جهنم المتأججة هى منزله ومأواه، لا منزل له سواها.

* ﴿وَأَمَّا مَنْ خَافَ مَقَامَ رَبِّهِ﴾ أى: وأما من خاف عظمة ربه وجلاله، وخاف مقامه بين يدى ربه يوم الحساب؛ لعلمه ويقينه بالمبدأ والمعاد.

* ﴿وَنَهَى النَّفْسَ عَنِ الْهَوَىٰ﴾ أى: وزجر نفسه عن المعاصى والمحارم، وكفَّها عن الشهوات.

* ﴿فَإِنَّ الْجَنَّةَ هِيَ الْمَأْوَىٰ﴾ أى: فإن منزله ومصيره هى الجنة دار النعيم، ليس له منزل غيرها.

ثم تختتم السورة الكريمة بحديث عن

الساعة، فإن مشركى مكة كانوا يسألون النبى ﷺ عن الساعة استهزاء، فلم يزل النبى ﷺ يسأل عنها.

يقول طارق بن شهاب: «كان النبى ﷺ لا يزال يذكر من شأن الساعة، حتى نزلت: ﴿يَسْأَلُونَكَ عَنِ السَّاعَةِ أَيَّانَ مُرْسَاهَا﴾»(١).

* ﴿يَسْأَلُونَكَ عَنِ السَّاعَةِ أَيَّانَ مُرْسَاهَا﴾ أى: يسألك -يا محمد- هؤلاء المشركون عن القيامة: متى وقوعها وقيامُها؟

* ﴿فِيمَ أَنتَ مِن ذِكْرَاهَا﴾ أى: ليس علمها إليك حتى تذكرها لهم.

* ﴿إِلَىٰ رَبِّكَ مُنتَهَاهَا﴾ أى: إلى ربك منتهى علمها؛ لأنها من الغيوب التى استأثر الله عز وجل بها، فهو

---

(١) حديثٌ صحيح: أخرجه النسائى (٦٦٥) فى تفسيره، وابن أبى الدنيا (٧) فى الأهوال.

الذى يعلم وقتها على التعيين، لا يعلمه أحدٌ سواه.

* ﴿إِنَّمَا أَنتَ مُنذِرُ مَن يَخْشَاهَا﴾ أي: ما واجبك يا محمد إلا إنذار من يخاف القيامة، لا الإعلام بوقتها.

* ﴿كَأَنَّهُمْ يَوْمَ يَرَوْنَهَا﴾ أي: كأن هؤلاء الكفار يوم يشاهدون القيامة وما فيها من الأهوال.

* ﴿لَمْ يَلْبَثُوا إِلَّا عَشِيَّةً أَوْ ضُحَاهَا﴾ لم يلبثوا فى الدنيا إلا ساعة من نهار، بمقدار عشية أو ضحاها.

والآيات الكريمة تدعو إلى الإيمان بالله، وإيثار نعيم الآخرة على شهوات الدنيا، وتبين استعجال الكافرين ليوم القيامة سخرية منهم، وأن القيامة لا يعلم متى تكون إلا الله تعالى.

* * *

سورة عبس

بِسْمِ اللَّهِ الرَّحْمَنِ الرَّحِيمِ ﴿عَبَسَ وَتَوَلَّى (١) أَن جَاءَهُ الأَعْمَى (٢)
وَمَا يُدْرِيكَ لَعَلَّهُ يَزَّكَّى (٣) أَوْ يَذَّكَّرُ فَتَنفَعَهُ الذِّكْرَى (٤) أَمَّا مَنِ
اسْتَغْنَى (٥) فَأَنتَ لَهُ تَصَدَّى (٦) وَمَا عَلَيْكَ أَلَّا يَزَّكَّى (٧) وَأَمَّا
مَن جَاءَكَ يَسْعَى (٨) وَهُوَ يَخْشَى (٩) فَأَنتَ عَنْهُ تَلَهَّى (١٠) كَلَّا
إِنَّهَا تَذْكِرَةٌ (١١) فَمَن شَاءَ ذَكَرَهُ (١٢) فِي صُحُفٍ مُّكَرَّمَةٍ (١٣)
مَّرْفُوعَةٍ مُّطَهَّرَةٍ (١٤) بِأَيْدِي سَفَرَةٍ (١٥) كِرَامٍ بَرَرَةٍ (١٦) قُتِلَ
الإِنسَانُ مَا أَكْفَرَهُ (١٧) مِنْ أَيِّ شَيْءٍ خَلَقَهُ (١٨) مِن نُّطْفَةٍ خَلَقَهُ
فَقَدَّرَهُ (١٩) ثُمَّ السَّبِيلَ يَسَّرَهُ (٢٠) ثُمَّ أَمَاتَهُ فَأَقْبَرَهُ (٢١) ثُمَّ إِذَا شَاءَ
أَنشَرَهُ (٢٢) كَلَّا لَمَّا يَقْضِ مَا أَمَرَهُ (٢٣) فَلْيَنظُرِ الإِنسَانُ إِلَى طَعَامِهِ
(٢٤) أَنَّا صَبَبْنَا الْمَاءَ صَبًّا (٢٥) ثُمَّ شَقَقْنَا الأَرْضَ شَقًّا (٢٦) فَأَنبَتْنَا
فِيهَا حَبًّا (٢٧) وَعِنَبًا وَقَضْبًا (٢٨) وَزَيْتُونًا وَنَخْلًا (٢٩) وَحَدَائِقَ غُلْبًا

﴿٣٠﴾ وَفَاكِهَةً وَأَبًّا ﴿٣١﴾ مَتَاعًا لَكُمْ وَلِأَنْعَامِكُمْ ﴿٣٢﴾ فَإِذَا جَاءَتِ
الصَّاخَّةُ ﴿٣٣﴾ يَوْمَ يَفِرُّ الْمَرْءُ مِنْ أَخِيهِ ﴿٣٤﴾ وَأُمِّهِ وَأَبِيهِ ﴿٣٥﴾
وَصَاحِبَتِهِ وَبَنِيهِ ﴿٣٦﴾ لِكُلِّ امْرِئٍ مِنْهُمْ يَوْمَئِذٍ شَأْنٌ يُغْنِيهِ ﴿٣٧﴾ وُجُوهٌ
يَوْمَئِذٍ مُسْفِرَةٌ ﴿٣٨﴾ ضَاحِكَةٌ مُسْتَبْشِرَةٌ ﴿٣٩﴾ وَوُجُوهٌ يَوْمَئِذٍ عَلَيْهَا
غَبَرَةٌ ﴿٤٠﴾ تَرْهَقُهَا قَتَرَةٌ ﴿٤١﴾ أُولَئِكَ هُمُ الْكَفَرَةُ الْفَجَرَةُ﴾.

ولعلك يا بُنى تسألنى: ما معنى كلمة «عبس» ولماذا سُميت السورة بهذا الاسم؟

* **عبس:** أى تغير وجهه، وقَطَّب ما بين عينيه.

وسُمِّيت السورة بما افتُتحت به.

* أما مناسبة نزول تلك السورة الكريمة، فتقول أم المؤمنين عائشة رضي الله عنها:

«أنزل ﴿عَبَسَ وَتَوَلَّى﴾ فى ابن أم مكتوم الأعمى، أتى رسول الله ﷺ فجعل يقول: يا رسول الله أرشدنى، وعند رسول الله ﷺ رجلٌ من عظماء المشركين،

فجعل رسول الله ﷺ يُعرض عنه، ويُقبل على الآخر، ويقول: «أترى بما أقول بأسًا» فيقول: لا، ففى هذا أنزل ﴿عَبَسَ وَتَوَلَّىٰ﴾ وعاتب الله عز وجل رسوله ﷺ على ذلك بهذه الآيات وكان كلما قابل رسول الله ابن أم مكتوم قال له: «أهلاً بمن عاتبنى فيه ربى»[(١)].

* فتعالوا بنا لنتعايش بقلوبنا مع تفسير سورة عبس:

تبدأ هذه السورة الكريمة بعتاب رقيق من الله (جل وعلا) لحبيبه محمد ﷺ بسبب أنه أعرض عن الصحابى الجليل ابن أم مكتوم لما جاءه يومًا وهو مشغول مع بعض عظماء قريش يدعوهم للإسلام، وكان ابن أم مكتوم يقطع عليه كلامه ويقول: علمنى يا رسول الله مما علمك الله . . . وظل يكرر ذلك ولم يعلم أن النبى ﷺ مشغول مع هؤلاء القوم . . . فكره النبى ﷺ منه ذلك وأعرض عنه

(١) صحيح سنن الترمذى (٢٦٥١).

فنزلت هذه السورة تعاتب النبى ﷺ على إعراضه وعبوسه فى وجه ابن أم مكتوم.

* قال تعالى: ﴿عَبَسَ وَتَوَلَّىٰ﴾: أى أن النبى ﷺ قطَّب وجهه وأعرض بوجهه الشريف عن ابن أم مكتوم.

* ﴿أَن جَاءَهُ الْأَعْمَىٰ﴾ أى: بسبب أن جاءه عبد الله ابن أم مكتوم فقطعه عما هو مشغول به من دعوة بعض عظماء قريش.

* ﴿وَمَا يُدْرِيكَ لَعَلَّهُ يَزَّكَّىٰ﴾ أى: وما يُعلمك ويخبرك يا محمد لعل هذا الأعمى الذى عبستَ فى وجهه، يتطهر من دنس الجهل بما يتلقاه عنك من العلم والمعرفة؟!

* ﴿أَوْ يَذَّكَّرُ فَتَنفَعَهُ الذِّكْرَىٰ﴾ أى: أو يتعظ بما يسمع؛ فتنفعه موعظتك.

* ﴿أَمَّا مَنِ اسْتَغْنَىٰ﴾ أى: أما من استغنى عن الله، وعن الإيمان، بما له من الثروة والمال.

* ﴿فَأَنتَ لَهُ تَصَدَّىٰ﴾ أي: فأنت تتعرض له، وتصغي لكلامه، وتحرص على تبليغه دعوتك.

* ﴿وَمَا عَلَيْكَ أَلَّا يَزَّكَّىٰ﴾ أي: ليس عليك من حرج ولا يضرك شيء إذا لم يؤمن هذا الكافر المستغني بماله وجاهه فأنت لست مطالبًا بهدايته .. إنما عليك البلاغ.

* ﴿وَأَمَّا مَن جَاءَكَ يَسْعَىٰ﴾ أي: وأمَّا من جاءك يسرع ويمشي في طلب العلم لله، ويحرص على طلب الخير.

* ﴿وَهُوَ يَخْشَىٰ﴾ أي: وهو يخاف الله تعالى، ويتقي محارمه.

* ﴿فَأَنتَ عَنْهُ تَلَهَّىٰ﴾ أي: تتشاغل عنه، وتتلهى بالانصراف عنه إلى رؤساء الكفر والضلال.

* ﴿كَلَّا إِنَّهَا تَذْكِرَةٌ﴾ أي: لا تفعل بعد اليوم مثل ذلك، فهذه الآيات موعظة وتبصرة للخلق، يجب أن يتعظ بها ويعمل بموجبها العقلاء.

* ﴿فَمَن شَاءَ ذَكَرَهُ﴾ أي: فمن شاء من عباد الله اتعظ بالقرآن، واستفاد من إرشاداته وتوجيهاته. قال المفسرون: كان ﷺ بعد هذا العتاب، لا يعبس فى وجه فقير قط، ولا يتصدى لغنى أبدًا، وكان الفقراء فى مجلسه أمراء، وكان إذا دخل عليه ابن أم مكتوم يبسط له رداءه ويقول: «مرحبًا بمن عاتبنى فيه ربى».

* ﴿فِى صُحُفٍ مُّكَرَّمَةٍ﴾ أي: هذا القرآن فى صحف مكرمة عند الله.

* ﴿مَّرْفُوعَةٍ مُّطَهَّرَةٍ﴾ أي: عالية القدر والمكانة، مُنزهة عن أيدى الشياطين، وعن كل دنس ونقص.

* ﴿بِأَيْدِى سَفَرَةٍ﴾ أي: بأيدى الملائكة الكرام الذين جعلهم الله سفراء بينه وبين رسله.

* ﴿كِرَامٍ﴾ أي: مُكرمين معظمين عند الله أتقياء صُلحاء.

* ﴿بَرَرَةٍ﴾ مطيعون لربهم صادقون له فى كل أعمالهم.

* ﴿قُتِلَ الإِنسَانُ مَا أَكْفَرَهُ﴾ وهنا يذكر الله (جل وعلا) قُبح الكفر والكافرين الذين يكفرون بالله ويجحدون نِعَمه التى لا تُعد ولا تُحصى... فهم يستحقون الطرد من رحمة الله بسبب كفرهم ولذا يقول الحق (جل وعلا):

* ﴿قُتِلَ الإِنسَانُ مَا أَكْفَرَهُ﴾ أى: لُعن الكافر وطُرد من رحمة الله ما أشد كفره بالله مع كثرة إحسان ربه إليه... فما الذى دعاه لأن يكفر بالله (جل وعلا).

* ﴿مِنْ أَيِّ شَيْءٍ خَلَقَهُ﴾ أى: هل يدرى هذا الكافر من أى شىء خلقه الله حتى يتكبر على ربه (جل وعلا)؟... ثم وضَّح ذلك فقال:

* ﴿مِن نُّطْفَةٍ خَلَقَهُ فَقَدَّرَهُ﴾ أى: من ماءٍ مَهين بدأ خلقه فقدَّره فى بطن أمه أطوارًا... من نطفة ثم

من علقة إلى أن تم خلقه . . . وقدر أجله ورزقه وعلمه وشقي أو سعيد.

* ﴿ثُمَّ السَّبِيلَ يَسَّرَهُ﴾ أي: ثم سهَّل له طريقي الخير والضلال، أو سهل له طريق الخروج من بطن أمه.

* ﴿ثُمَّ أَمَاتَهُ فَأَقْبَرَهُ﴾ أي: ثم أماته وجعل له قبرًا يُوارَى فيه إكرامًا له، ولم يجعله مُلقًّى للسباع والوحوش والطيور.

* ﴿ثُمَّ إِذَا شَاءَ أَنشَرَهُ﴾ أي: ثم حين يشاء الله إحياءه، يحييه بعد موته للبعث والحساب والجزاء.

* ﴿كَلَّا لَمَّا يَقْضِ مَا أَمَرَهُ﴾ أي: ليرتدع وينزجر هذا الكافر عن تكبره وتجبره، فإنه لم يؤد ما فُرض عليه، ولم يفعل ما كلفه به ربه من الإيمان والطاعة . . . ولما ذكر خلق الإنسان ذكر بعده رزقه، ليعتبر بما أغدق الله عليه من أنواع النعم، فيشكر ربه ويطيعه فقال:

* ﴿فَلْيَنظُرِ الْإِنسَانُ إِلَىٰ طَعَامِهِ﴾ أى: فلينظر هذا الإنسان الجاحد نظر تفكر واعتبار، إلى أمر حياته، كيف خلقه بقدرته، ويسَّره برحمته، وكيف هيأ له أسباب المعاش، وخلق له الطعام الذى به قوام حياته؟! ثم فصَّل ذلك فقال:

* ﴿أَنَّا صَبَبْنَا الْمَاءَ صَبًّا﴾ أى: أنَّا بقدرتنا أنزلنا الماء من السحاب على الأرض إنزالاً.

* ﴿ثُمَّ شَقَقْنَا الْأَرْضَ شَقًّا﴾ أى: شققنا الأرض بخروج النبات منها شقًّا بديعًا.

* ﴿فَأَنبَتْنَا فِيهَا حَبًّا (٢٧) وَعِنَبًا وَقَضْبًا﴾ أى: فأخرجنا بذلك الماء أنواع الحبوب والنباتات حبًّا يقتات الناس به ويدخرونه، وعنبًا شهيًّا لذيذًا للإنسان، وعلفًا لدابته أيضًا.

* ﴿وَزَيْتُونًا وَنَخْلًا﴾ أى: وأخرجنا كذلك أشجار

الزيتون والنخيل، يخرج منها الزيت والرُّطَب والتمر.

* ﴿وَحَدَائِقَ غُلْبًا﴾ أى: وبساتين كثيرة الأشجار، مُلتفة الأغصان.

* ﴿وَفَاكِهَةً وَأَبًّا﴾ أى: وأنواع الفواكه والثمار، والفاكهة: ما يَتَفَكَّهُ فيه الإنسان من تين وعنب وخوخ ورمان.

والأبُّ: ما تأكله البهائم والأنعام.

* ﴿مَتَاعًا لَّكُمْ وَلِأَنْعَامِكُمْ﴾ أى: أخرجنا ذلك وأنبتناه؛ ليكون منفعةً ومعاشًا لكم أيها الناس، ولأنعامكم.

* فما أعظم نعم الله علينا... إن نعم الله لا تُعد ولا تُحصى ولكن أكثر الناس لا يشكرون الله على نعمه ولذا قال تعالى: ﴿وَقَلِيلٌ مِّنْ عِبَادِيَ الشَّكُورُ﴾ (١).

* ولما ذكر الله تعالى هذه الحياة الدنيا ونعمه التى أنعمها على عباده أراد أن يُذكرهم بأنهم لا بد أن

---

(١) سورة سبأ: الآية: (١٣).

يتزودوا من تلك النعم للدار الآخرة ويستعدوا ليوم القيامة فقال تعالى:

* ﴿فَإِذَا جَاءَتِ الصَّاخَّةُ﴾ أى: فإذا جاءت صيحة القيامة التى تصخُّ الآذان حتى تكاد تصمُّها.

* ﴿يَوْمَ يَفِرُّ الْمَرْءُ مِنْ أَخِيهِ (٣٤) وَأُمِّهِ وَأَبِيهِ (٣٥) وَصَاحِبَتِهِ وَبَنِيهِ﴾ أى: فى ذلك اليوم الرهيب يهرب الإنسان من أحبابه، من أخيه، وأمه، وأبيه، وزوجته، وأولاده؛ لاشتغاله بنفسه.

* ﴿لِكُلِّ امْرِئٍ مِنْهُمْ يَوْمَئِذٍ شَأْنٌ يُغْنِيهِ﴾ أى: لكل إنسان منهم فى ذلك اليوم العصيب، أحوالٌ تشغله عن أحوال غيره؛ فإنه لا يفكر فى شىء سوى مصلحته، ونجاة نفسه.

* ﴿وُجُوهٌ يَوْمَئِذٍ مُسْفِرَةٌ﴾ أى: وجوهٌ فى ذلك اليوم مضيئة مشرقة من البهجة والسرور،

* ﴿ضَاحِكَةٌ مُّسْتَبْشِرَةٌ﴾ أي: فَرِحَةٌ مسرورةٌ بما رأته من كرامة الله ورضوانه، مستبشرة بذلك النعيم الدائم.

* ﴿ووُجُوهٌ يومئذٍ عليها غبرةٌ﴾ أي: ووجوه في ذلك اليوم عليها غبارٌ ودخان.

* ﴿تَرْهَقُهَا قَتَرَةٌ﴾ أي: تغشاها وتعلوها ظلمةٌ وسواد.

* ﴿أولَئِكَ هُمُ الْكَفَرَةُ الْفَجَرَةُ﴾ أي: أولئك الموصوفون بسواد الوجوه، هم الجامعون بين الكفر والفجور، جمع الله تعالى إلى سواد وجوههم الغبرة كما جمعوا الكفر إلى الفجور[(١)].

* * *

(١) صفوة التفاسير / للصابوني (٣/ ٥٢٠-٥٢٢) بتصرف.

سورة التكوير

بِسْمِ اللَّهِ الرَّحْمَٰنِ الرَّحِيمِ ﴿ إِذَا الشَّمْسُ كُوِّرَتْ (١) وَإِذَا النُّجُومُ
انكَدَرَتْ (٢) وَإِذَا الْجِبَالُ سُيِّرَتْ (٣) وَإِذَا الْعِشَارُ عُطِّلَتْ (٤)
وَإِذَا الْوُحُوشُ حُشِرَتْ (٥) وَإِذَا الْبِحَارُ سُجِّرَتْ (٦) وَإِذَا النُّفُوسُ
زُوِّجَتْ (٧) وَإِذَا الْمَوْءُودَةُ سُئِلَتْ (٨) بِأَيِّ ذَنبٍ قُتِلَتْ (٩) وَإِذَا
الصُّحُفُ نُشِرَتْ (١٠) وَإِذَا السَّمَاءُ كُشِطَتْ (١١) وَإِذَا الْجَحِيمُ
سُعِّرَتْ (١٢) وَإِذَا الْجَنَّةُ أُزْلِفَتْ (١٣) عَلِمَتْ نَفْسٌ مَّا أَحْضَرَتْ (١٤)
فَلَا أُقْسِمُ بِالْخُنَّسِ (١٥) الْجَوَارِ الْكُنَّسِ (١٦) وَاللَّيْلِ إِذَا عَسْعَسَ
(١٧) وَالصُّبْحِ إِذَا تَنَفَّسَ (١٨) إِنَّهُ لَقَوْلُ رَسُولٍ كَرِيمٍ (١٩) ذِي قُوَّةٍ
عِندَ ذِي الْعَرْشِ مَكِينٍ (٢٠) مُّطَاعٍ ثَمَّ أَمِينٍ (٢١) وَمَا صَاحِبُكُم
بِمَجْنُونٍ (٢٢) وَلَقَدْ رَآهُ بِالْأُفُقِ الْمُبِينِ (٢٣) وَمَا هُوَ عَلَى الْغَيْبِ
بِضَنِينٍ (٢٤) وَمَا هُوَ بِقَوْلِ شَيْطَانٍ رَّجِيمٍ (٢٥) فَأَيْنَ تَذْهَبُونَ (٢٦)

إنْ هُوَ إلاَّ ذِكْرٌ لِّلْعَالَمِينَ (٢٧) لِمَن شَاءَ مِنكُمْ أَن يَسْتَقِيمَ (٢٨) وَمَا تَشَاءُونَ إلاَّ أَن يَشَاءَ اللَّهُ رَبُّ الْعَالَمِينَ ﴾ .

* ابتدأت السورة الكريمة ببيان القيامة وما يصاحبها من انقلاب كونى هائل، يشمل الشمس، والنجوم، والجبال، والبحار، والأرض، والسماء، والأنعام، والوحوش، كما يشمل البشر، ويهز الكون هزًا عنيفًا طويلاً، ينثر فيه كل ما فى الوجود، ولا يبقى شىء إلا وقد تبدَّل وتغيَّر من هول ما يحدث فى ذلك اليوم الرهيب(١) .

* ولذلك قال رسول الله ﷺ : «من سره أن ينظر إلى القيامة، كأنه رأى عين فليقرأ: ﴿ إِذَا الشَّمْسُ كُوِّرَتْ ﴾ و﴿ إِذَا السَّمَاءُ انفَطَرَتْ ﴾ و﴿ إِذَا السَّمَاءُ انشَقَّتْ ﴾»(٢) .

(١) صفوة التفاسير (٣/ ٥٢٣) .

(٢) رواه أحمد والترمذى وصححه الشيخ الألبانى فى صحيح الجامع (٦٢٩٣) .

* والآن هيا بنا لنتعايش بقلوبنا مع تفسير سورة التكوير:

* ﴿إِذَا الشَّمْسُ كُوِّرَتْ﴾ أي: إذا جُمع بعضها إلى بعض ثم لُفَّت ورُمي بها وذهب ضوؤها.

* ﴿وَإِذَا النُّجُومُ انكَدَرَتْ﴾ أي: وإذا النجوم تناثرت وتساقطت وتهاوت.

* ﴿وَإِذَا الْجِبَالُ سُيِّرَتْ﴾ أي: وإذا الجبال حُرِّكت من أماكنها وقُلعت من الأرض وسُيِّرت في الهواء حتى صارت كالهباء.

* ﴿وَإِذَا الْعِشَارُ عُطِّلَتْ﴾ أي: وإذا النُّوق الحوامل (جمع ناقة وهي أنثى الجمل).

* ﴿عُطِّلَتْ﴾ أي: أُهملت وعطَّلها أهلها وتركوها بلا راعٍ لاشتغالهم بأنفسهم من شدة هول يوم القيامة.

* ﴿وَإِذَا الْوُحُوشُ حُشِرَتْ﴾ أي: وإذا الوحوش جُمعت من أوكارها مذهولة من شدة الفزع ليُقتص لبعضها من

بعض ثم يقال لها: كونى ترابًا فتموت وتكون ترابًا.

* ﴿وَإِذَا الْبِحَارُ سُجِّرَتْ﴾ أى: وإذا البحار اشتعلت وتأججت نارًا وصارت نيرانًا تلتهب.

* ﴿وَإِذَا النُّفُوسُ زُوِّجَتْ﴾ أى: وإذا النفوس قُرنت بأشباهها ... فقُرن الفاجر مع الفاجر فى النار وقُرن الصالح مع الصالح فى الجنة.

وقيل: قُرنت الأرواح بأجسادها.

* ﴿وَإِذَا الْمَوْءُودَةُ سُئِلَتْ ﴿٨﴾ بِأَيِّ ذَنبٍ قُتِلَتْ﴾ أى: وإذا البنت التى كان بعض العرب فى الجاهلية يدفنها حيَّةً من كراهته لها، أو غَيرته عليها، سُئلت توبيخًا لقاتلها: ما هو ذنبها حتى قُتلت؟!

* ﴿وَإِذَا الصُّحُفُ نُشِرَتْ﴾ أى: وإذا صُحف الأعمال فُرقت بين أصحابها وفُتحت وبُسطت عند الحساب بعد أن كانت مطوية.

والمراد هنا صُحف الأعمال التي سجلت فيها الملائكة ما فعل أهلها من خيرٍ أو شرٍّ.

* ﴿وَإِذَا السَّمَاءُ كُشِطَتْ﴾ أي: وإذا السماء نُزعت وأزيلت من مكانها كما يُنزع الغطاء عن الشيء وكما يُنزع الجلد عن الشاة.

* ﴿وَإِذَا الْجَحِيمُ سُعِّرَتْ﴾ أي: وإذا نار جهنم أُوقِدَت لأعداء الله تعالى.

* ﴿وَإِذَا الْجَنَّةُ أُزْلِفَتْ﴾ أي: وإذا الجنة قُرِّبَتْ وأُدْنِيَت من المتقين.

* ﴿عَلِمَتْ نَفْسٌ مَا أَحْضَرَتْ﴾ أي: علمت كلُّ نفس ما أحضرت من خيرٍ أو شر، . . . والمعنى إذا حدثت تلك الأمور العجيبة الغريبة، علمت حينئذٍ كل نفس ما قدمته من صالح أو طالح من كتابها الذي أخذته.

* ﴿فَلَا أُقْسِمُ بِالْخُنَّسِ﴾ أي: فأقسم قسمًا مؤكدًا بالخُنَّس

وهى النجوم المضيئة التى تختفى بالنهار وتظهر بالليل.

* ﴿الْجَوَارِ الْكُنَّسِ﴾ أي: التى تجرى فى أفلاكها مع الشمس والقمر ثم تستتر وقت غروبها كما تستتر الظباء في مغاراتها.

* ﴿وَاللَّيْلِ إِذَا عَسْعَسَ﴾ أى: وأقسم بالليل إذا أقبل بظلامه حتى غطَّى الكون.

* ﴿وَالصُّبْحِ إِذَا تَنَفَّسَ﴾ أى: وبالصبح إذا أضاء وتبلَّج، واتَّسع ضياؤه حتى صار نهاراً واضحاً.

* ﴿إِنَّهُ لَقَوْلُ رَسُولٍ كَرِيمٍ﴾ أى: هذا هو المُقسَم عليه، إن هذا القرآن الكريم، لكلام الله المنزَّل بواسطة ملك كريم على الله هو جبريل عليه السلام.

* ﴿ذِى قُوَّةٍ عِندَ ذِى الْعَرْشِ مَكِينٍ﴾ أى: شديد القوة، صاحب مكانة رفيعة، ومنزلة سامية عند الله جل وعلا.

* ﴿مُطَاعٍ ثَمَّ أَمِينٍ﴾ أى: مطاع هناك فى الملأ الأعلى، تطيعه الملائكة الأبرار، مؤتمن على الوحى

الذى ينزل به على الأنبياء.

* ﴿وَمَا صَاحِبُكُم بِمَجْنُونٍ﴾ أى: أقسم تعالى على أن القرآن نزل به جبريل الأمين، وأن محمداً ﷺ ليس بمجنون كما يزعم أهل مكة، فنفى تعالى عنه الجنون، وكون القرآن من عند نفسه.

* ﴿وَلَقَدْ رَآهُ بِالْأُفُقِ الْمُبِينِ﴾ أى: وأقسم لقد رأى محمدٌ ﷺ جبريل عليه السلام فى صورته الملكية التى خلقه الله عليها بجهة الأفق الأعلى الواضح من ناحية المشرق حيث تطلع الشمس، . . . رأى جبريل عليه السلام على كرسى بين السماء والأرض، فى صورته له ستمائة جناح قد سدَّ ما بين المشرق والمغرب.

* ثم نفى الله عن نبيه محمد ﷺ كتمان شىء من الوحى فقال تعالى:

* ﴿وَمَا هُوَ عَلَى الْغَيْبِ بِضَنِينٍ﴾ أى: وما محمد ﷺ على الوحى ببخيل يقصر فى تبليغه وتعليمه،

بل يبلغ رسالة ربه بكل أمانة وصدق.

* ﴿وَمَا هُوَ بِقَوْلِ شَيْطَانٍ رَّجِيمٍ﴾ أي: وما هذا القرآن بقول شيطان ملعون كما يقول المشركون.

* ﴿فَأَيْنَ تَذْهَبُونَ﴾ أي: فأي طريق تسلكون في تكذيبكم للقرآن واتهامكم له بالسحر والكهانة والشعر مع وضوح آياته وسطوع براهينه... وهذا كله كما تقول لمن ترك الطريق المستقيم: هذا الطريق واضح فأين تذهب؟

* ﴿إِنْ هُوَ إِلَّا ذِكْرٌ لِّلْعَالَمِينَ﴾ أي: ما هذا القرآن إلا موعظة، وتذكرة للخلق أجمعين.

* ﴿لِمَن شَاءَ مِنكُمْ أَن يَسْتَقِيمَ﴾ أي: لمن شاء منكم أن يتبع الحق، ويستقيم على شريعة الله.

* ﴿وَمَا تَشَاءُونَ إِلَّا أَن يَشَاءَ اللَّهُ رَبُّ الْعَالَمِينَ﴾ أي: وما تقدرون على شيء إلا بتوفيق الله ولطفه؛ فاطلبوا من الله التوفيق إلى أفضل طريق.

* * *

سورة الانفطار

بسم الله الرحمن الرحيم ﴿ إِذَا السَّمَاءُ انفَطَرَتْ (١) وَإِذَا الْكَوَاكِبُ
انتَثَرَتْ (٢) وَإِذَا الْبِحَارُ فُجِّرَتْ (٣) وَإِذَا الْقُبُورُ بُعْثِرَتْ (٤)
عَلِمَتْ نَفْسٌ مَّا قَدَّمَتْ وَأَخَّرَتْ (٥) يَا أَيُّهَا الإِنسَانُ مَا غَرَّكَ بِرَبِّكَ
الْكَرِيمِ (٦) الَّذِي خَلَقَكَ فَسَوَّاكَ فَعَدَلَكَ (٧) فِي أَيِّ صُورَةٍ مَّا
شَاءَ رَكَّبَكَ (٨) كَلاَّ بَلْ تُكَذِّبُونَ بِالدِّينِ (٩) وَإِنَّ عَلَيْكُمْ لَحَافِظِينَ
(١٠) كِرَامًا كَاتِبِينَ (١١) يَعْلَمُونَ مَا تَفْعَلُونَ (١٢) إِنَّ الأَبْرَارَ لَفِي نَعِيمٍ
(١٣) وَإِنَّ الْفُجَّارَ لَفِي جَحِيمٍ (١٤) يَصْلَوْنَهَا يَوْمَ الدِّينِ (١٥) وَمَا هُمْ
عَنْهَا بِغَائِبِينَ (١٦) وَمَا أَدْرَاكَ مَا يَوْمُ الدِّينِ (١٧) ثُمَّ مَا أَدْرَاكَ مَا يَوْمُ
الدِّينِ (١٨) يَوْمَ لاَ تَمْلِكُ نَفْسٌ لِّنَفْسٍ شَيْئًا وَالأَمْرُ يَوْمَئِذٍ لِّلَّهِ ﴾ .

لا بد أن نعلم أن الإنسان مهما طال عمره فلا بد أن يرجع إلى ربه (جل وعلا) ليحاسبه على كل ما قدم

من خيرٍ أو شرٍّ . . . ومن هنا كان لا بد أن نتذكر دائمًا يوم القيامة حتى لا تتعلق قلوبنا بالحياة الدنيا .

* وها هى سورة الانفطار تُذكرنا بهذا اليوم العظيم .

* ابتدأت السورة الكريمة ببيان مشاهد الانقلاب الذى يحدث فى الكون، من انفطار السماء، وانتثار الكواكب، وتفجير البحار، وبعثرة القبور، وما يعقب ذلك من الحساب والجزاء : ﴿إِذَا السَّمَاءُ انفَطَرَتْ ﴿١﴾ وَإِذَا الْكَوَاكِبُ انتَثَرَتْ ﴿٢﴾ وَإِذَا الْبِحَارُ فُجِّرَتْ ﴿٣﴾ وَإِذَا الْقُبُورُ بُعْثِرَتْ ﴿٤﴾ عَلِمَتْ نَفْسٌ مَّا قَدَّمَتْ وَأَخَّرَتْ﴾ .

* ثم تحدثت عن جحود الإنسان وكفرانه لنعم ربه، وهو يتلقى فيوض النعمة منه جل وعلا، ولكنه لا يعرف للنعمة حقها، ولا يعرف لربه قدره، ولا يشكر على الفضل والنعمة والكرامة ﴿يَا أَيُّهَا الْإِنسَانُ مَا غَرَّكَ بِرَبِّكَ الْكَرِيمِ ﴿٦﴾ الَّذِي خَلَقَكَ فَسَوَّاكَ فَعَدَلَكَ ﴿٧﴾ فِي أَيِّ

صُورَةٍ مَّا شَاءَ رَكَّبَكَ ﴾ ؟!

* ثم ذكرت علَّة هذا الجحود والإنكار، ووضحت أن الله تعالى وكَّل بكل إنسان ملائكة يُسجلون عليه أعماله، ويتعقبون أفعاله ﴿ كَلاَّ بَلْ تُكَذِّبُونَ بِالدِّينِ ⑨ وَإِنَّ عَلَيْكُمْ لَحَافِظِينَ ⑩ كِرَامًا كَاتِبِينَ ⑪ يَعْلَمُونَ مَا تَفْعَلُونَ ﴾.

* وذكرت السورة انقسام الناس في الآخرة إلى قسمين: أبرار، وفجار، وبيَّنت مآل كل من الفريقين ﴿ إِنَّ الأَبْرَارَ لَفِي نَعِيمٍ ⑬ وَإِنَّ الْفُجَّارَ لَفِي جَحِيمٍ ⑭ يَصْلَوْنَهَا يَوْمَ الدِّينِ... ﴾ الآيات.

* وختمت السورة الكريمة بتصوير ضخامة يوم القيامة وهوله، وتجرد النفوس يومئذ من كل حول وقوة، وتفرُّد الله جل وعلا بالحكم والسلطان ﴿ وَمَا أَدْرَاكَ مَا يَوْمُ الدِّينِ ⑰ ثُمَّ مَا أَدْرَاكَ مَا يَوْمُ الدِّينِ ⑱ يَوْمَ لا تَمْلِكُ نَفْسٌ لِّنَفْسٍ شَيْئًا وَالأَمْرُ يَوْمَئِذٍ لِّلَّهِ ﴾[1].

(١) صفوة التفاسير (٣/ ٥٢٧).

* فهيا بنا لنتعايش بقلوبنا مع تفسير سورة الانفطار:

* ﴿إِذَا السَّمَاءُ انفَطَرَتْ﴾ أي: إذا السماء انشقت بأمر ربها (جل وعلا) لنزول الملائكة.

* ﴿وَإِذَا الْكَوَاكِبُ انتَثَرَتْ﴾ أي: وإذا النجوم تساقطت وتناثرت وزالت بالكلية من أماكنها وبروجها.

* ﴿وَإِذَا الْبِحَارُ فُجِّرَتْ﴾ أي: وإذا البحار فُجِّرت بعضها فى بعض فصارت بحرًا واحدًا واختلط ماؤها العذب بمائها المالح.

* ﴿وَإِذَا الْقُبُورُ بُعْثِرَتْ﴾ أي: وإذا القبور قُلِّب ترابها وأخرج ما فيها من الموتى وصار كل ما فى باطنها ظاهرًا على وجهها.

* ﴿عَلِمَتْ نَفْسٌ مَّا قَدَّمَتْ وَأَخَّرَتْ﴾ هذا هو الجواب... أى: أنه فى هذه اللحظة تعلم كل نفس ما قدمت من خير أو شرٍّ وما قدمت من عمل

صالحٍ أو طالحٍ.

* وهنا تنتقل الآيات نقلة أخرى لتذكير الإنسان الغافل بما أمامه من أهوال وشدائد يوم القيامة . . ، ولذا قال تعالى:

* ﴿يَا أَيُّهَا الْإِنسَانُ مَا غَرَّكَ بِرَبِّكَ الْكَرِيمِ﴾ أى: أىُّ شىء خدعك، حتى عصيت الله وتجرأت على مخالفة أمره، مع إحسانه إليك وعطفه عليك؟ وهذا توبيخ وعتاب كأنه قال: كيف قابلت إحسان ربِّك بالعصيان، ورأفته بك بالتمرد والطغيان.

* ﴿الَّذِي خَلَقَكَ فَسَوَّاكَ فَعَدَلَكَ﴾ أى: الذى أوجدك من العدم، فجعلك سويًّا سالم الأعضاء، تسمع وتعقل وتُبصر، وجعلك معتدل القامة، منتصبًا فى أحسن الهيئات والأشكال.

* ﴿فِي أَيِّ صُورَةٍ مَّا شَاءَ رَكَّبَكَ﴾ أى: ركَّبك فى

الصورة الجميلة التى شاءها هو واختارها لك ولم يجعل صورتك على هيئة الدواب . . . وهذا كقوله تعالى : ﴿ لَقَدْ خَلَقْنَا الإنسَانَ فِي أَحْسَنِ تَقْوِيمٍ ﴾ .

* ﴿ كَلاَّ بَلْ تُكَذِّبُونَ بِالدِّينِ ﴾ أى : وهنا يوبخ الله المشركين على تكذيبهم بيوم الدين وكأنه يقول لهم : ارتدعوا يا أهل مكة وإياكم أن تغتروا بحلم الله .

فالله يعلم أن الذى يحملكم على مواجهة كرمه بالمعاصى والذنوب تكذيبٌ فى قلوبكم بالمعاد والجزاء والحساب .

* ﴿ وَإِنَّ عَلَيْكُمْ لَحَافِظِينَ ﴾ أى : إن عليكم ملائكة حفظة يضبطون أعمالكم ويراقبون تصرفاتكم .

* ﴿ كِرَامًا كَاتِبِينَ ﴾ أى : كرامًا على الله يكتبون أقوالكم وأعمالكم .

* ﴿ يَعْلَمُونَ مَا تَفْعَلُونَ ﴾ أى : أن هؤلاء الملائكة يعلمون كل ما يصدر منكم من خير أو شرٍّ

ويسجلونه في صحائف أعمالكم ليجازيكم الله بها يوم القيامة.

* ثم ذكر الله (عز وجل) انقسام الناس جميعًا يوم القيامة إلى أبرار وفُجَّار وذكر مصير كل فريق فقال تعالى:

* ﴿إِنَّ الْأَبْرَارَ لَفِي نَعِيمٍ﴾ أي: إن المؤمنين الذين اتقوا ربهم في الدنيا، لفي بهجة وسرور لا يوصف، يتنعَّمون في رياض الجنة بما لا عينٌ رأت، ولا أذن سمعت، ولا خطر على قلب بشر، وهم مُخلدون في الجنة.

* ﴿وَإِنَّ الْفُجَّارَ لَفِي جَحِيمٍ﴾ أي: وإن الكفرة الفجار، الذين عصوا ربهم في الدنيا، لفي نار مُحرقة، وعذاب دائم مقيم في دار الجحيم.

* ﴿يَصْلَوْنَهَا يَوْمَ الدِّينِ﴾ أي: يدخلونها ويقاسون حرَّها يوم الجزاء الذي كانوا يكذبون به.

* ﴿ وَمَا هُمْ عَنْهَا بِغَائِبِينَ ﴾ أى : وليسوا بغائبين عن جهنم، بعيدين عنها لا يرونها، بل هى أمامهم يصلون ويذوقون سعيرها، ولا يخرجون منها أبداً.

* ﴿ وَمَا أَدْرَاكَ مَا يَوْمُ الدِّينِ ﴾ أى : ما أعلمك ما هو يوم الدين؟ وأىُّ شىء هو فى شدته وهوله؟

* ﴿ ثُمَّ مَا أَدْرَاكَ مَا يَوْمُ الدِّينِ ﴾ أى : إن يوم الجزاء من شدته بحيث لا يدرى أحدٌ مقدار هوله وعظمته، فهو فوق الوصف والبيان.

* ﴿ يَوْمَ لَا تَمْلِكُ نَفْسٌ لِنَفْسٍ شَيْئًا ﴾ أى : هو ذلك اليوم الرهيب الذى لا يستطيع أحدٌ أن ينفع أحداً بشىء من الأشياء، ولا أن يدفع عنه ضراً.

* ﴿ وَالْأَمْرُ يَوْمَئِذٍ لِلَّهِ ﴾ أى : والأمر فى ذلك اليوم لله وحده، لا ينازعه فيه أحدٌ.

* * *

سورة المطففين

بسم الله الرحمن الرحيم ﴿ ويل للمطففين (١) الذين إذا اكتالوا
على الناس يستوفون (٢) وإذا كالوهم أو وزنوهم يخسرون (٣)
ألا يظن أولئك أنهم مبعوثون (٤) ليوم عظيم (٥) يوم يقوم الناس
لرب العالمين (٦) كلا إن كتاب الفجار لفي سجين (٧) وما
أدراك ما سجين (٨) كتاب مرقوم (٩) ويل يومئذ للمكذبين (١٠)
الذين يكذبون بيوم الدين (١١) وما يكذب به إلا كل معتد أثيم
(١٢) إذا تتلى عليه آياتنا قال أساطير الأولين (١٣) كلا بل ران على
قلوبهم ما كانوا يكسبون (١٤) كلا إنهم عن ربهم يومئذ
لمحجوبون (١٥) ثم إنهم لصالوا الجحيم (١٦) ثم يقال هذا الذى
كنتم به تكذبون (١٧) كلا إن كتاب الأبرار لفي عليين (١٨) وما
أدراك ما عليون (١٩) كتاب مرقوم (٢٠) يشهده المقربون (٢١) إن

الأَبْرَارَ لَفِي نَعِيمٍ (٢٢) عَلَى الأَرَائِكِ يَنظُرُونَ (٢٣) تَعْرِفُ فِي
وُجُوهِهِمْ نَضْرَةَ النَّعِيمِ (٢٤) يُسْقَوْنَ مِن رَّحِيقٍ مَّخْتُومٍ (٢٥) خِتَامُهُ
مِسْكٌ وَفِي ذَلِكَ فَلْيَتَنَافَسِ الْمُتَنَافِسُونَ (٢٦) وَمِزَاجُهُ مِن تَسْنِيمٍ
(٢٧) عَيْنًا يَشْرَبُ بِهَا الْمُقَرَّبُونَ (٢٨) إِنَّ الَّذِينَ أَجْرَمُوا كَانُوا مِنَ
الَّذِينَ آمَنُوا يَضْحَكُونَ (٢٩) وَإِذَا مَرُّوا بِهِمْ يَتَغَامَزُونَ (٣٠) وَإِذَا
انقَلَبُوا إِلَى أَهْلِهِمُ انقَلَبُوا فَكِهِينَ (٣١) وَإِذَا رَأَوْهُمْ قَالُوا إِنَّ هَؤُلاءِ
لَضَالُّونَ (٣٢) وَمَا أُرْسِلُوا عَلَيْهِمْ حَافِظِينَ (٣٣) فَالْيَوْمَ الَّذِينَ آمَنُوا
مِنَ الْكُفَّارِ يَضْحَكُونَ (٣٤) عَلَى الأَرَائِكِ يَنظُرُونَ (٣٥) هَلْ ثُوِّبَ
الْكُفَّارُ مَا كَانُوا يَفْعَلُونَ ﴾.

* حبايبي الحلوين:

لعلكم تسألون عن معنى المطففين وعن سبب تسمية هذه السورة الكريمة بهذا الاسم.

والجواب: أن المطففين هم الذين ينقصون المكيال والميزان ويبخسون الناس حقوقهم ويخدعونهم.

وأما عن سبب تسمية هذه السورة بهذا الاسم فهو أن الله (عز وجل) افتتحها بقوله: ﴿وَيْلٌ لِّلْمُطَفِّفِينَ﴾.

* بدأت السورة الكريمة بإعلان الحرب على المطففين الذين يخادعون الناس فى الكيل والميزان ولا يخافون من آخرتهم فقد نسوا ذلك اليوم الذى سيقفون فيه بين يدى الحق (جل وعلا) ليحاسبهم على أعمالهم ﴿أَلَا يَظُنُّ أُولَٰئِكَ أَنَّهُم مَّبْعُوثُونَ (٤) لِيَوْمٍ عَظِيمٍ (٥) يَوْمَ يَقُومُ النَّاسُ لِرَبِّ الْعَالَمِينَ﴾.

* ثم تحدثت السورة عن الأشقياء الفجار ووضحت جزاءهم يوم القيامة عندما يُساقون إلى نار جهنم مع الوعيد والزجر والتهديد ﴿كَلَّا إِنَّ كِتَابَ الْفُجَّارِ لَفِي سِجِّينٍ (٧) وَمَا أَدْرَاكَ مَا سِجِّينٌ (٨) كِتَابٌ مَّرْقُومٌ (٩) وَيْلٌ يَوْمَئِذٍ لِّلْمُكَذِّبِينَ﴾.

* ثم تعرضت لتلك الصفحة المشرقة للأبرار المتقين وما لهم من النعيم المقيم فى جنات النعيم

﴿إِنَّ الْأَبْرَارَ لَفِي نَعِيمٍ (٢٢) عَلَى الْأَرَائِكِ يَنْظُرُونَ (٢٣) تَعْرِفُ فِي وُجُوهِهِمْ نَضْرَةَ النَّعِيمِ (٢٤) يُسْقَوْنَ مِنْ رَحِيقٍ مَخْتُومٍ (٢٥) خِتَامُهُ مِسْكٌ وَفِي ذَلِكَ فَلْيَتَنَافَسِ الْمُتَنَافِسُونَ﴾.

* ثم خُتمت هذه السورة الكريمة بمواقف المجرمين وسخريتهم من المؤمنين وكيف كان عقابهم في الآخرة ﴿إِنَّ الَّذِينَ أَجْرَمُوا كَانُوا مِنَ الَّذِينَ آمَنُوا يَضْحَكُونَ (٢٩) وَإِذَا مَرُّوا بِهِمْ يَتَغَامَزُونَ (٣٠) وَإِذَا انْقَلَبُوا إِلَى أَهْلِهِمُ انْقَلَبُوا فَكِهِينَ (٣١) وَإِذَا رَأَوْهُمْ قَالُوا إِنَّ هَؤُلَاءِ لَضَالُّونَ (٣٢) وَمَا أُرْسِلُوا عَلَيْهِمْ حَافِظِينَ (٣٣) فَالْيَوْمَ الَّذِينَ آمَنُوا مِنَ الْكُفَّارِ يَضْحَكُونَ (٣٤) عَلَى الْأَرَائِكِ يَنْظُرُونَ (٣٥) هَلْ ثُوِّبَ الْكُفَّارُ مَا كَانُوا يَفْعَلُونَ﴾.

• سبب النزول:

عن ابن عباس رضي الله عنهما قال: لما قَدِمَ النبيُّ المدينة كانوا من أخبث الناس كيلاً فأنزل الله سبحانه وتعالى: ﴿وَيْلٌ لِلْمُطَفِّفِينَ﴾ فأحسنوا الكيل بعد ذلك[1].

(١) إسناده حسن: «صحيح سنن ابن ماجه» (١٨٢٢).

* فتعالوا بنا لنتعايش بقلوبنا مع تفسير سورة المطففين:

* ﴿وَيْلٌ لِّلْمُطَفِّفِينَ﴾ أي: هلاك وعذاب ودمار... أو هو واد في جهنم اسمه ويل... فهذا العذاب والهلاك لهؤلاء المطففين الذين ينقصون المكيال والميزان ولا يعطون الناس حقوقهم بل يأخذون حقوقهم كاملة من الناس.

* ﴿الَّذِينَ إِذَا اكْتَالُوا عَلَى النَّاسِ يَسْتَوْفُونَ﴾ أي: أنهم إذا اشتروا من الناس بالكيل والميزان فإنهم يأخذون حقهم وافيًا كاملاً لأنفسهم.

* ﴿وَإِذَا كَالُوهُمْ أَو وَّزَنُوهُمْ يُخْسِرُونَ﴾ أي: وإذا أعطوا الناس بالكيل والميزان فإنهم ينقصون الكيل والوزن... فهم يأخذون من الناس بالزيادة ويبيعون لهم بالنقصان.

* قال المفسرون: نزلت هذه الآيات في رجل اسمه «أبو جهينة» كان له صاعان يأخذ بأحدهما ويُعطي

بالآخر . . . فكان يأخذ بالزيادة ويعطى بالنقصان .

ونحن نعلم أن الله (عز وجل) قد أهلك قوم شعيب بسبب كفرهم وكذلك بسبب بخسهم المكيال والميزان .

ولقد حذر النبى ﷺ من تطفيف الكيل والميزان فقال : «... **ولا طففوا الكيل إلا مُنعوا النبات وأُخذوا بالسنين**» .

ولذلك زجر الله هؤلاء المطففين قائلاً لهم :

* ﴿**أَلَا يَظُنُّ أُولَٰئِكَ أَنَّهُم مَّبْعُوثُونَ ④ لِيَوْمٍ عَظِيمٍ**﴾ أى : ألا يعلم أولئك المطففون أنهم سيُبعثون ليوم شديد الهول، كثير الفزع وهو يوم القيامة الذى يحاسبهم الله فيه على أعمالهم .

* ﴿**يَوْمَ يَقُومُ النَّاسُ لِرَبِّ الْعَالَمِينَ**﴾ أى : يوم يقفون فى المحشر حُفاةً عُراةً، خاشعين خاضعين لرب العالمين .

* ﴿كَلاَّ إِنَّ كِتَابَ الْفُجَّارِ لَفِي سِجِّينٍ﴾ أي: إن كتاب أعمال هؤلاء الفجار الأشقياء في مكان ضيق في أسفل سافلين فلا يظهر بل يكون في ذلك الموضع كالمسجون وهذا دليل على خُبث أعمالهم.

* ﴿وَمَا أَدْرَاكَ مَا سِجِّينٌ﴾ أي: هل تعلم ما هو سِجِّين؟ والاستفهام هنا للتعظيم والتهويل.

* ﴿كِتَابٌ مَّرْقُومٌ﴾ أي: هو كتاب واضح الكتابة مكتوب وموضَّح بعلامة كالرَّقْم في الثوب لا يُنسى ولا يُمحى قد أُثبتت فيه أعمالهم الشريرة.

* ﴿وَيْلٌ يَوْمَئِذٍ لِّلْمُكَذِّبِينَ﴾ أي: هلاك ودمار وعذاب للمكذبين ... ثم وضح حالهم فقال:

* ﴿الَّذِينَ يُكَذِّبُونَ بِيَوْمِ الدِّينِ﴾ أي: الذين يكذبون بيوم الحساب والجزاء ولا يصدقون بوقوعه أبدًا.

* ﴿وَمَا يُكَذِّبُ بِهِ إِلاَّ كُلُّ مُعْتَدٍ أَثِيمٍ﴾ أي: وما يكذب

بيوم الحساب والجزاء إلا كلٌّ متجاوز الحد فى الكفر والضلال، مبالغ فى العصيان والطغيان، كثير الآثام.

* ﴿إِذَا تُتْلَىٰ عَلَيْهِ آيَاتُنَا قَالَ أَسَاطِيرُ الْأَوَّلِينَ﴾ أى: إذا تُليت عليه آيات القرآن الناطقة بحصول البعث والجزاء، قال عنها: هذه حكايات وخرافات.

* ﴿كَلَّا﴾ ردْع وزجْرٌ، أى: ليس القرآن أساطير الأولين.

* ﴿بَلْ رَانَ عَلَىٰ قُلُوبِهِم مَّا كَانُوا يَكْسِبُونَ﴾ أى: بل غَطَّى على قلوبهم ما كسبوا من الذنوب، فطمس بصائرهم فصاروا لا يعرفون الرّشد من الغى"[1].

وروى الترمذى عن أبى هريرة عن النبى ﷺ قال: «إن العبد إذا أخطأ خطيئة نُكتت فى قلبه نُكتة سوداء[2]، فإذا نزع[3] واستغفر وتاب صقُل قلبه؛ وإن عاد

(١) صفوة التفاسير (٣/ ٥٣٣).
(٢) النكتة: العلامة.
(٣) نزع: أقلع عن الذنب.

زيد فيها حتى تعلو قلبه، وهو الران الذى ذكر الله ﴿كَلَّا بَلْ رَانَ عَلَىٰ قُلُوبِهِم مَّا كَانُوا يَكْسِبُونَ﴾»(١). فالرَّان هو الذنب على الذنب حتى يسودّ القلب.

* ﴿كَلَّا إِنَّهُمْ عَن رَّبِّهِمْ يَوْمَئِذٍ لَّمَحْجُوبُونَ﴾ أى: أنهم كما حجبوا قلوبهم عن الحق وأعرضوا عنه فإن الله يحجب أبصارهم عن التلذذ برؤيته (جل وعلا).

* ﴿ثُمَّ إِنَّهُمْ لَصَالُوا الْجَحِيمِ﴾ أى: أنهم مع حجابهم عن رؤية الله (جل وعلا) فإنهم أيضًا سيدخلون الجحيم ويذوقون من العذاب ألوانًا.

* ﴿ثُمَّ يُقَالُ هَٰذَا الَّذِي كُنتُم بِهِ تُكَذِّبُونَ﴾ أى: ثم تقول لهم خزنة جهنم على وجه التقريع والتوبيخ: هذا العذاب الذى كنتم تكذبون به فى الدنيا، ولا تصدقون أنه واقع حين أخبركم به القرآن.

فهذه ثلاثة أنواع من العذاب: عذاب الجحيم، وعذاب

(١) إسناده حسن: صحيح سنن الترمذى (٢٦٥٤).

اللوم والتوبيخ، وعذاب الحجاب عن رب العالمين.

* وبعد الحديث عن حال الفجار ذكر الله تعالى نعيم الأبرار فقال:

* ﴿كَلاَّ إِنَّ كِتَابَ الأَبْرَارِ لَفِي عِلِّيِّينَ﴾ أي: لا يستوى الفجار والأبرار... فكتاب الفجار في سجين وكتاب الأبرار في عليين وهو مكان عالٍ مشرَّف في أعلى الجنة.

* ﴿وَمَا أَدْرَاكَ مَا عِلِّيُّونَ﴾ أي: وما أعلمك ما هو عليون؟

* ﴿كِتَابٌ مَّرْقُومٌ﴾ أي: كتابُ الأبرار كتابٌ مكتوب فيه أعمالهم، وهو في عليين في أعلى درجات الجنة.

* ﴿يَشْهَدُهُ الْمُقَرَّبُونَ﴾ أي: يشهده المقربون من الملائكة.

قال المفسرون: إن روح المؤمن إذا قُبضت صُعد

بها إلى السماء، وفُتحت لها أبواب السماء، وتلقتها الملائكةُ بالبشرى، ثم يخرجون معها حتى ينتهوا إلى العرش، فيخرج لهم رق فيُكتب فيه ويُختم عليه بالنجاة من الحساب والعذاب ويشهده المقربون.

* ﴿إِنَّ الأَبْرَارَ لَفِي نَعِيمٍ﴾ أي: إن أهل الصدق والطاعة والإخلاص في جنات النعيم يتنعمون فيها بكل ما أعده الله لهم في الجنة.

* ﴿عَلَى الأَرَائِكِ يَنظُرُونَ﴾ أي: هم على السُّرر المزينة بفاخر الثياب والستور، ينظرون إلى ما أعدَّ الله لهم من أنواع الكرامة والنعيم في الجنة.

* ﴿تَعْرِفُ فِي وُجُوهِهِمْ نَضْرَةَ النَّعِيمِ﴾ أي: إذا رأيتهم تعرف أنهم أهل نعمة؛ لما ترى في وجوههم من النور والبياض والحسن، ومن بهجة السرور ورونقه.

* ﴿يُسْقَوْنَ مِن رَّحِيقٍ مَّخْتُومٍ﴾ أي: يُسقون من خمرٍ

في الجنة، بيضاء طيبة صافية، لم تكدّرها الأيدي.

* ﴿خِتَامُهُ مِسْكٌ﴾ أي: آخر الشراب تفوح منه رائحة المسك.

* ﴿وَفِي ذَٰلِكَ فَلْيَتَنَافَسِ الْمُتَنَافِسُونَ﴾ أي: لأجل هذا النعيم والشراب الهنيء، فليرغب بالمبادرة إلى طاعة الله، وليتسابق المتسابقون.

* ﴿وَمِزَاجُهُ مِن تَسْنِيمٍ﴾ أي: أنه يُمزج ذلك الرحيق من عين أخرى غالية رفيعة هي أشرف شراب أهل الجنة يقال له: تسنيم ... يشرب من تلك العين الصافية الأبرار المقربون.

* ﴿عَيْنًا يَشْرَبُ بِهَا الْمُقَرَّبُونَ﴾ أي: أن تلك العين العالية التي تُسمى تسنيم يشرب منها المقربون صرفًا دون أن تُخلط بأي ماءٍ آخر ... أما الأبرار فيُمزج الرحيق الذي يشربون منه بالتسنيم ... فدلّ ذلك

على أن درجة المقربين فوق درجة الأبرار.

* ولما ذكر الله تعالى حال الأبرار ونعيمهم ذكر بعد ذلك حال الفجار ومصيرهم تسلية للمؤمنين وتثبيتًا لقلوبهم فقال تعالى: ﴿إِنَّ الَّذِينَ أَجْرَمُوا كَانُوا مِنَ الَّذِينَ آمَنُوا يَضْحَكُونَ﴾.

أى: أن المجرمين الذين من طبيعتهم الإجرام وارتكاب الآثام، كانوا فى الدنيا يضحكون من المؤمنين استهزاءً بهم. نزلت هذه الآية فى صناديد قريش كأبى جهل وغيره، مرَّ بهم على بن أبى طالب وجماعة من المؤمنين فضحكوا منهم واستخفوا بهم.

* ﴿وَإِذَا مَرُّوا بِهِمْ يَتَغَامَزُونَ﴾ أى: وإذا مرَّ هؤلاء المؤمنون بالكفار، غمز بعضهم بعضًا بأعينهم سخرية واستهزاءً بهم... قال المفسرون: كان المشركون إذا مرَّ بهم أصحاب رسول الله، تغامزوا بأعينهم عليهم

احتقارًا لهم وازدراءً يقولون: جاءكم ملوك الدنيا، يسخرون منهم لإيمانهم واستمساكهم بالدين.

* ﴿وإذا انقلبوا إلى أهلهم انقلبوا فكهين﴾ أي: وإذا انصرف المشركون وعادوا إلى منازلهم وأهليهم رجعوا متلذذين بسخريتهم من المؤمنين واستخفافهم بهم.

* ﴿وإذا رأوهم قالوا إن هؤلاء لضالون﴾ أي: وإذا رأى الكفار المؤمنين قالوا: إن هؤلاء لضالون ... وذلك لأنهم على غير دينهم قد تمسكوا بأيمانهم.

* ﴿وما أرسلوا عليهم حافظين﴾ أي: وما أرسل الكفار حافظين على المؤمنين، يحفظون أعمالهم ويشهدون برشدهم أو ضلالهم.

* ﴿فاليوم الذين آمنوا من الكفار يضحكون﴾ أي: ففى هذا اليوم - يوم القيامة - يضحك المؤمنون من الكفار، كما ضحك الكفار منهم فى الدنيا، جزاءً وفاقًا.

* ﴿عَلَى الْأَرَائِكِ يَنظُرُونَ﴾ أي: والمؤمنون على أسِرَّة الدُّرِّ والياقوت، ينظرون إلى الكفار ويضحكون منهم.

قال القرطبي: يقال لأهل النار وهم في النار اخرجوا، فتُفتح لهم أبواب النار، فإذا رأوها قد فُتحت أقبلوا إليها يريدون الخروج، والمؤمنون ينظرون إليهم على الأرائك، فإذا انتهوا إلى أبوابها أُغلقت دونهم، فيضحك منهم المؤمنون[1].

* ﴿هَلْ ثُوِّبَ الْكُفَّارُ مَا كَانُوا يَفْعَلُونَ﴾ أي: هل جوزي الكفار في الآخرة بما كانوا يفعلونه بالمؤمنين من السُّخرية والاستهزاء؟ والجواب: نعم.

* * *

(١) تفسير القرطبي (١٩/ ٢٦٨).

سورة الانشقاق

بسم الله الرحمن الرحيم ﴿إِذَا السَّمَاءُ انشَقَّتْ ﴿١﴾ وَأَذِنَتْ لِرَبِّهَا
وَحُقَّتْ ﴿٢﴾ وَإِذَا الْأَرْضُ مُدَّتْ ﴿٣﴾ وَأَلْقَتْ مَا فِيهَا وَتَخَلَّتْ ﴿٤﴾
وَأَذِنَتْ لِرَبِّهَا وَحُقَّتْ ﴿٥﴾ يَا أَيُّهَا الْإِنسَانُ إِنَّكَ كَادِحٌ إِلَىٰ رَبِّكَ
كَدْحًا فَمُلَاقِيهِ ﴿٦﴾ فَأَمَّا مَنْ أُوتِيَ كِتَابَهُ بِيَمِينِهِ ﴿٧﴾ فَسَوْفَ يُحَاسَبُ
حِسَابًا يَسِيرًا ﴿٨﴾ وَيَنقَلِبُ إِلَىٰ أَهْلِهِ مَسْرُورًا ﴿٩﴾ وَأَمَّا مَنْ أُوتِيَ
كِتَابَهُ وَرَاءَ ظَهْرِهِ ﴿١٠﴾ فَسَوْفَ يَدْعُو ثُبُورًا ﴿١١﴾ وَيَصْلَىٰ سَعِيرًا ﴿١٢﴾
إِنَّهُ كَانَ فِي أَهْلِهِ مَسْرُورًا ﴿١٣﴾ إِنَّهُ ظَنَّ أَن لَّن يَحُورَ ﴿١٤﴾ بَلَىٰ إِنَّ رَبَّهُ
كَانَ بِهِ بَصِيرًا ﴿١٥﴾ فَلَا أُقْسِمُ بِالشَّفَقِ ﴿١٦﴾ وَاللَّيْلِ وَمَا وَسَقَ ﴿١٧﴾
وَالْقَمَرِ إِذَا اتَّسَقَ ﴿١٨﴾ لَتَرْكَبُنَّ طَبَقًا عَن طَبَقٍ ﴿١٩﴾ فَمَا لَهُمْ لَا يُؤْمِنُونَ
﴿٢٠﴾ وَإِذَا قُرِئَ عَلَيْهِمُ الْقُرْآنُ لَا يَسْجُدُونَ ﴿٢١﴾ بَلِ الَّذِينَ كَفَرُوا
يُكَذِّبُونَ ﴿٢٢﴾ وَاللَّهُ أَعْلَمُ بِمَا يُوعُونَ ﴿٢٣﴾ فَبَشِّرْهُم بِعَذَابٍ أَلِيمٍ ﴿٢٤﴾

إلاَّ الَّذِينَ آمَنُوا وَعَمِلُوا الصَّالِحَاتِ لَهُمْ أَجْرٌ غَيْرُ مَمْنُونٍ ﴾ .

* ابتدأت السورة الكريمة بذكر بعض مشاهد الآخرة، وصوَّرت الانقلاب الذى يحدث فى الكون عند قيام الساعة ﴿ إِذَا السَّمَاءُ انشَقَّتْ (١) وَأَذِنَتْ لِرَبِّهَا وَحُقَّتْ (٢) وَإِذَا الأَرْضُ مُدَّتْ (٣) وَأَلْقَتْ مَا فِيهَا وَتَخَلَّتْ (٤) وَأَذِنَتْ لِرَبِّهَا وَحُقَّتْ ﴾ .

* ثم تحدثت عن خلق الإنسان الذى يكدّ ويتعب فى تحصيل أسباب رزقه ومعاشه، ليقدِّم لآخرته ما يشتهى من صالح أو طالح، ومن خير أو شر، ثم هناك الجزاء العادل ﴿ يَا أَيُّهَا الإِنسَانُ إِنَّكَ كَادِحٌ إِلَىٰ رَبِّكَ كَدْحًا فَمُلاقِيهِ (٦) فَأَمَّا مَنْ أُوتِيَ كِتَابَهُ بِيَمِينِهِ (٧) فَسَوْفَ يُحَاسَبُ حِسَابًا يَسِيرًا ﴾ الآيات .

* ثم تناولت موقف المشركين من هذا القرآن العظيم، وأقسمت بأنهم سيلقون الأهوال والشدائد،

ويركبون الأخطار والأهوال فى ذلك اليوم العصيب الذى لا ينفع فيه مال ولا ولد ﴿ فَلا أُقْسِمُ بِالشَّفَقِ (16) وَاللَّيْلِ وَمَا وَسَقَ (17) وَالْقَمَرِ إِذَا اتَّسَقَ (18) لَتَرْكَبُنَّ طَبَقًا عَن طَبَقٍ ﴾ الآيات.

* وختمت السورة الكريمة بتوبيخ المشركين على عدم إيمانهم بالله، مع وضوح آياته وسطوع براهينه، وبشرتهم بالعذاب الأليم فى دار الجحيم ﴿ فَمَا لَهُمْ لا يُؤْمِنُونَ (20) وَإِذَا قُرِئَ عَلَيْهِمُ الْقُرْآنُ لا يَسْجُدُونَ (21) بَلِ الَّذِينَ كَفَرُوا يُكَذِّبُونَ (22) وَاللَّهُ أَعْلَمُ بِمَا يُوعُونَ (23) فَبَشِّرْهُم بِعَذَابٍ أَلِيمٍ (24) إِلاَّ الَّذِينَ آمَنُوا وَعَمِلُوا الصَّالِحَاتِ لَهُمْ أَجْرٌ غَيْرُ مَمْنُونٍ ﴾ (1).

• من فضائل السورة الكريمة:

من فضائل تلك السورة الكريمة أن النبى ﷺ كان يقرأ بها، ويسجد فى موضع السجود فيها.

(1) صفوة التفاسير (٣/٥٣٦).

يقول أبو سلمة بن عبد الرحمن: صليت مع أبي هريرة صلاة العتمة[1]، فقرأ:

﴿إِذَا السَّمَاءُ انشَقَّتْ﴾ فسجد فيها، فقلت له: ما هذه السجدة؟ فقال: سجدت بها خلف أبي القاسم ﷺ فلا أزال أسجد بها حتى ألقاه[2].

*** فتعالوا بنا لنتعايش بقلوبنا مع تفسير سورة الانشقاق:**

* ﴿إِذَا السَّمَاءُ انشَقَّتْ﴾ أي: إذا السماء تشققت وتصدعت وكانت أبوابًا إيذانًا بخراب الكون كله... وهذا المشهد يصور ما يحدث بين يدي الساعة من كوارث وأهوال.

* ﴿وَأَذِنَتْ لِرَبِّهَا وَحُقَّتْ﴾ أي: استمعت لأمر ربها وأطاعت أمره فيما أمرها به من الانشقاق يوم

(١) صلاة العتمة: صلاة العشاء، وتسمى العتمة نسبة إلى ظلام الليل.

(٢) **حديث صحيح:** أخرجه مسلم (٥٧٨)، والنسائي (٩٦٠) في تفسيره.

القيامة . . . وحُق لها أن تسمع وتطيع وأن تنشق من أهوال يوم القيامة.

* ﴿وَإِذَا الْأَرْضُ مُدَّتْ﴾ أى: وإذا الأرض ازداد اتساعها بإزالة جبالها فصارت مستوية لا بناء فيها ولا جبال.

* ﴿وَأَلْقَتْ مَا فِيهَا وَتَخَلَّتْ﴾ أى: وألقت ما فى جوفها من الأموات والكنوز والمعادن وتخلت عنهم.

* ﴿وَأَذِنَتْ لِرَبِّهَا وَحُقَّتْ﴾ أى: واستمعت لأمر ربها وأطاعته فى إلقاء ما فى جوفها من الأموات والكنوز والمعادن . . . وحُق لها أن تسمع وتطيع.

* ﴿يَا أَيُّهَا الْإِنسَانُ إِنَّكَ كَادِحٌ إِلَىٰ رَبِّكَ كَدْحًا فَمُلَاقِيهِ﴾ أى: إنك ساعٍ إلى الله، وعامل بأوامره ونواهيه، ومتقرب إليه إما بالخير وإما بالشر، ثم تلاقى الله يوم القيامة؛ فيجازيك على عملك، بالفضل على

الخير، وبالعقوبة على الشر.

* ثم ذكر الله (جل وعلا) انقسام الناس يوم القيامة إلى سعداء وأشقياء ... فمنهم من يأخذ كتابه بيمينه ومنهم من يأخذ كتابه بشماله ولذا قال تعالى:

* ﴿ فَأَمَّا مَنْ أُوتِيَ كِتَابَهُ بِيَمِينِهِ ﴾ أي: فأما من أعطى كتاب أعماله بيمينه ... وهذه علامة أهل السعادة.

* ﴿ فَسَوْفَ يُحَاسَبُ حِسَابًا يَسِيرًا ﴾ أي: فسوف يحاسَب حسابًا سهلاً يسيرًا فيجازيه الله على حسناته ويتجاوز عن سيئاته ... وهذا هو العرض.

* ﴿ وَيَنقَلِبُ إِلَىٰ أَهْلِهِ مَسْرُورًا ﴾ أي: ويرجع إلى أهله وهو فى قمة السرور والسعادة بما أعطاه الله من الفضل والكرامة.

* ﴿ وَأَمَّا مَنْ أُوتِيَ كِتَابَهُ وَرَاءَ ظَهْرِهِ ﴾ أي: وأما من

أعطى كتاب أعماله بشماله من وراء ظهره ... وهذه علامة الشقاوة.

* ﴿فَسَوْفَ يَدْعُو ثُبُورًا﴾ أي: فسوف يدعو بالويل والثبور ويتمنى الموت والهلاك.

* ﴿وَيَصْلَىٰ سَعِيرًا﴾ أي: وسوف يدخل نارًا مستعرة ويُحرق بالنار تحريقًا.

* ﴿إِنَّهُ كَانَ فِي أَهْلِهِ مَسْرُورًا﴾ أي: لأنه كان في الدنيا مسرورًا مع أهله بالمعاصي، غافلاً لاهيًا، لا يفكر في العواقب، ولا تخطر بباله الآخرة.

* ﴿إِنَّهُ ظَنَّ أَن لَّن يَحُورَ﴾ أي: إنه ظنَّ أنه لن يرجع إلى ربه، ولن يحييه الله بعد موته للحساب والجزاء؛ فلذلك كفر وفجر.

* ﴿بَلَىٰ إِنَّ رَبَّهُ كَانَ بِهِ بَصِيرًا﴾ أي: بلى، سيعيده الله بعد موته، ويجازيه على أعماله كلها خيرها وشرِّها؛

فإنه تعالى مُطلع على العباد، لا تخفى عليه خافية من شؤونهم.

* ﴿فَلا أُقْسِمُ بِالشَّفَقِ﴾ أي: فأقسم قسمًا مؤكدًا بحُمرة الأفق بعد غروب الشمس.

* ﴿وَاللَّيْلِ وَمَا وَسَقَ﴾ أي: وبالليل وما جمع وضمَّ إليه، وما لفَّ في ظلمته من الناس والدواب والهوام.

قال المفسرون: الليل يسكن فيه كل الخلق، ويجمع ما كان منتشرًا في النهار من الخلق والدواب والأنعام، فكلٌّ يأوي إلى مكانه وسربه، ولهذا امتن تعالى على العباد بقوله: ﴿وَجَعَلَ اللَّيْلَ سَكَنًا﴾ (١) فإذا جاء النهار انتشروا، وإذا جاء الليل أوى كل شيء إلى مأواه.

---

(١) سورة الأنعام: الآية: (٩٦).

* ﴿والقمر إذا اتسق﴾ أي: وأقسم بالقمر إذا اجتمع واستوى وتكامل ضوؤه ونوره وصار بدرًا ساطعًا مضيئًا.

* ﴿لتركبن طبقا عن طبق﴾ هذا جواب القسم... أي: لتلاقُنَّ يا معشر الناس أهوالاً وشدائد في الآخرة... ولتركبن أحوالاً بعد أحوال فهي طبقات في الشدة بعضها أرفع من بعض.

* ﴿فما لهم لا يؤمنون﴾ أي: فما لهؤلاء المشركين لا يؤمنون بالله، ولا يصدقون بالبعث بعد الموت، بعد وضوح الدلائل على وقوعه؟!

* ﴿وإذا قرئ عليهم القرآن لا يسجدون﴾ أي: وإذا سمعوا آيات القرآن، لم يخضعوا ولم يسجدوا للرحمن.

* ﴿بل الذين كفروا يكذبون﴾ أي: بل طبيعة هؤلاء

الكفـار التكذيب والعـناد والجحـود؛ ولذلك لا يخضعون عند تلاوته.

* ﴿وَاللَّهُ أَعْلَمُ بِمَا يُوعُونَ﴾ أى: والله أعلم بما يجمعـون فى صدورهم من الكفر، وما يـخفونه من التكذيب.

* ﴿فَبَشِّرْهُم بِعَذَابٍ أَلِيمٍ﴾ أى: فبشرهم على كفرهم وضلالهم بعذاب مؤلم موجع.

* ﴿إِلاَّ الَّذِينَ آمَنُوا وَعَمِلُوا الصَّالِحَاتِ﴾ أى: لكن الذى صدَّقوا الله ورسوله، وجمعوا بين الإيمان وصالح الأعمال.

* ﴿لَهُمْ أَجْرٌ غَيْرُ مَمْنُونٍ﴾ أى: لهم ثوابٌ فى الآخرة غيرُ منقوصٍ ولا مقطوعٍ، بل هو دائمٌ مستمرٌ.

* * *

سورة البروج

بِسْمِ اللَّهِ الرَّحْمَٰنِ الرَّحِيمِ ﴿ وَالسَّمَاءِ ذَاتِ الْبُرُوجِ (١) وَالْيَوْمِ
الْمَوْعُودِ (٢) وَشَاهِدٍ وَمَشْهُودٍ (٣) قُتِلَ أَصْحَابُ الْأُخْدُودِ (٤)
النَّارِ ذَاتِ الْوَقُودِ (٥) إِذْ هُمْ عَلَيْهَا قُعُودٌ (٦) وَهُمْ عَلَىٰ مَا يَفْعَلُونَ
بِالْمُؤْمِنِينَ شُهُودٌ (٧) وَمَا نَقَمُوا مِنْهُمْ إِلَّا أَن يُؤْمِنُوا بِاللَّهِ الْعَزِيزِ
الْحَمِيدِ (٨) الَّذِي لَهُ مُلْكُ السَّمَاوَاتِ وَالْأَرْضِ وَاللَّهُ عَلَىٰ كُلِّ شَيْءٍ
شَهِيدٌ (٩) إِنَّ الَّذِينَ فَتَنُوا الْمُؤْمِنِينَ وَالْمُؤْمِنَاتِ ثُمَّ لَمْ يَتُوبُوا فَلَهُمْ
عَذَابُ جَهَنَّمَ وَلَهُمْ عَذَابُ الْحَرِيقِ (١٠) إِنَّ الَّذِينَ آمَنُوا وَعَمِلُوا
الصَّالِحَاتِ لَهُمْ جَنَّاتٌ تَجْرِي مِن تَحْتِهَا الْأَنْهَارُ ذَٰلِكَ الْفَوْزُ الْكَبِيرُ
(١١) إِنَّ بَطْشَ رَبِّكَ لَشَدِيدٌ (١٢) إِنَّهُ هُوَ يُبْدِئُ وَيُعِيدُ (١٣) وَهُوَ
الْغَفُورُ الْوَدُودُ (١٤) ذُو الْعَرْشِ الْمَجِيدُ (١٥) فَعَّالٌ لِّمَا يُرِيدُ (١٦) هَلْ
أَتَاكَ حَدِيثُ الْجُنُودِ (١٧) فِرْعَوْنَ وَثَمُودَ (١٨) بَلِ الَّذِينَ كَفَرُوا فِي

تَكْذِيبٍ ﴿١٩﴾ وَاللَّهُ مِن وَرَائِهِم مُّحِيطٌ ﴿٢٠﴾ بَلْ هُوَ قُرْآنٌ مَّجِيدٌ ﴿٢١﴾ فِي لَوْحٍ مَّحْفُوظٍ﴾ .

* لما ازداد أذى المشركين لأصحاب النبى ﷺ أراد الحق (جل وعلا) أن يُصبرهم على أذى هؤلاء المشركين وأن يثبت قلوبهم على الإيمان والتوحيد فأنزل هذه السورة ليحكى لهم قصة أمة آمنت بالله فعذب المشركون كل من آمن منهم بالله وقتلوهم حرقًا بالنار.

وجاءت هذه القصة بالتفصيل على لسان رسول الله ﷺ .

قال ﷺ : «كان ملكٌ فيمن كان قبلكم، وكان له ساحر، فلما كبر قال الساحر للملك: إنى قد كبرت فابعث إلىَّ غلامًا أعلمه السحر فبعث إليه غلامًا يعلمه وكان فى طريقه إذا سلك راهب[1] فقعد إليه وسمع

(١) راهب: هو المتعبد من النصارى.

كلامه فأعجبه، وكان إذا أتى الساحر مرَّ بالراهب وقعد إليه، فإذا أتى الساحر ضربه، فشكا ذلك إلى الراهب، فقال له: إذا خشيت الساحر فقل: حبسني (١) أهلي، وإذا خشيت أهلك فقل: حبسني الساحر.

فبينما هو على ذلك إذ أتى على دابة عظيمة قد حبست الناس فقال:

اليوم أعلم: الساحر أفضل أم الراهب أفضل؟

فأخذ حجراً فقال: اللهم إن كان أمر الراهب أحب إليك من أمر الساحر، فاقتل هذه الدابة حتى يمضي الناس، فرماها فقتلها، ومضى الناس، فأتى الراهب فأخبره.

فقال له الراهب: أي بُنيَّ، أنت اليوم أفضل مني قد بلغ من أمرك ما أرى، وإنك ستُبتلى، فإن ابتُليت فلا تَدُلَّ عليَّ.

---

(١) حبسني أي: منعني.

وكان الغلام يبرئ الأكمه[1] والأبرص[2] ويداوى الناس من سائر الأدواء[3]، فسمع جليسٌ للملك كان قد عمى، فأتاه بهدايا كثيرة، فقال: ما ههنا لك أجمع إن أنت شفيتنى.

فقال الغلام: إنى لا أشفى أحداً، وإنما يشفى الله تعالى، فإن آمنت بالله تعالى دعوت الله عز وجل فشفاك، فآمن بالله تعالى فشفاه الله تعالى، فأتى الملك فجلس إليه كما كان يجلس.

فقال له الملك: من ردَّ عليك بصرك؟ قال: ربى.

قال: أوَ لك ربٌّ غيرى؟ قال: ربى وربك الله، ...

فأخذه فلم يزل يُعذبه حتى دَلَّ على الغلام، فجيء بالغلام، فقال له الملك:

---

(١) الاكمه: هو الذى وُلد أعمى.

(٢) الأبرص: هو صاحب المرض الجلدى الذى يصيب لون الجلد بالبياض.

(٣) الأدواء: جمع داء، أى: الأمراض والأسقام.

أي بُني، قد بلغ من سحرك ما تبرئ الأكمه، والأبرص، وتفعل وتفعل؟ فقال: إني لا أشفي أحدًا إنما يشفي الله تعالى.

فأخذه الملك فلم يزل يعذبه حتى دلَّ على الراهب، فجيء بالراهب فقيل له: ارجع عن دينك، فأبَى، فدعا بالمنشار فوضع المنشار في مفرق رأسه[1] فشقَّه حتى وقع شِقَّاهُ، ثم جيء بالغلام فقيل له:

ارجع عن دينك. فأبى فدفعه إلى نفر من أصحابه وقال: اذهبوا به إلى جبل كذا وكذا، فاصعدوا به الجبل، فإذا بلغتم ذروته، فإن رجع عن دينه، وإلا فاطرحوه.

فذهبوا به فصعدوا به الجبل فقال: اللهم اكفنيهم بما شئت فرجف بهم الجبل، فسقطوا وجاء يمشي إلى الملك.

فقال له الملك: ما فعل أصحابك؟ فقال: كفانيهم الله تعالى.

(١) مفرق رأسه: أي في مكان فرق شعره.

فدفعه إلى نفر من أصحابه فقال: اذهبوا به، فاحملوه في قُرقور[1] وتوسطوا به البحر، فإن رجع عن دينه، وإلا فاقذفوه.

فذهبوا به فقال: اللهم اكفنيهم بما شئت، فانكفأت بهم السفينة فغرقوا، وجاء يمشي إلى الملك، فقال له الملك: ما فعل أصحابك؟ فقال: كفانيهم الله تعالى.

فقال الغلام للملك: إنك لست بقاتلي حتى تفعل ما آمرك به. قال: وما هو؟

قال: تجمع الناس في صعيد واحد وتصلبني على جذع[2]، ثم خذ سهمًا من كنانتي، ثم ضع السهم في كبد القوس[3] ثم قل: بسم الله رب الغلام ثم ارمني، فإنك إذا فعلت ذلك قتلتني.

---

(١) القرقور: السفينة العظيمة الطويلة، والجمع: قراقير.

(٢) جذع: أي على عود من أعواد النخل، والجمع: جذوع.

(٣) كبد القوس أي: وسطه، فكبد القوس مقبضها عند الرمي.

فجمع الناس فى صعيد واحد، وصلبه على جذع، ثم أخذ سهمًا من كنانته، ثم وضع السهم فى كبد القوس، ثم قال: بسم الله رب الغلام، ثم رماه فوقع السهم فى صدغه (١)، فوضع يده فى صدغه فمات.

فقال الناس: آمنا برب الغلام فقيل للملك: أرأيت ما كنت تحذر فقد والله نزل بك، قد آمن الناس كلهم.

فأمر الملك بالأخدود بأفواه السكك (٢) فَخُدَّتْ (٣) وأضرمت (٤) فيها النيران وقال: من يرجع عن دينه فدعوه، ومن لم يرجع عن دينه فأقحموه (٥) فيها.

وكانوا يتنازعون، ويتدافعون حتى جاءت امرأة بابن لها تُرضعه فكأنها تقاعست (٦) أن تقع فى النيران، فقال لها

(١) صدغه: هو ما بين العين إلى شحمة الأذن.
(٢) السكك: جمع سكة، يعنى: أبواب الطرق.
(٣) فَخُدَّت أى: شُقت.
(٤) أضرمت: أشعلت.
(٥) أقحموه أى: ألقوه كرهًا.
(٦) تقاعست أى: تراجعت وترددت.

الصبى: يا أماه، اصبرى فإنك على الحق»[1].

* * *

* فتعالوا بنا لنتعايش بأرواحنا مع تفسير سورة البروج:

* ﴿وَالسَّمَاءِ ذَاتِ الْبُرُوجِ﴾ أى: أقسم بالسماء البديعة ذات المنازل الرفيعة، التى تنزلها الكواكب أثناء سيرها.

* ﴿وَالْيَوْمِ الْمَوْعُودِ﴾ أى: وأقسم باليوم الموعود وهو يوم القيامة، الذى وعد الله به الخلائق.

* ﴿وَشَاهِدٍ وَمَشْهُودٍ﴾ أى: وأقسم بمحمد والأنبياء الذين يشهدون على أممهم يوم القيامة، وبجميع الأمم والخلائق الذين يجتمعون فى أرض المحشر للحساب كقوله تعالى: ﴿فَكَيْفَ إِذَا جِئْنَا مِن كُلِّ أُمَّةٍ بِشَهِيدٍ وَجِئْنَا بِكَ

(١) حديث صحيح: أخرجه أحمد (٦/ ١٧)، ومسلم (٣٠٠٥)، والترمذى (٣٣٤٠)، والنسائى (٦٨١) فى تفسيره.

عَلَىٰ هَؤُلَاءِ شَهِيدًا﴾ وقيل: الشاهد هذه الأمة، والمشهود سائر الأمم ودليله: ﴿لِتَكُونُوا شُهَدَاءَ عَلَى النَّاسِ وَيَكُونَ الرَّسُولُ عَلَيْكُمْ شَهِيدًا﴾[1].

* ﴿قُتِلَ أَصْحَابُ الْأُخْدُودِ﴾: هذا هو جواب القسم، أي: قاتَل الله ولعن أصحاب الأخدود، الذين شقوا الأرض طولاً، وجعلوها كالخنادق، وأضرموا فيها النار؛ ليحرقوا بها المؤمنين.

* ﴿النَّارِ ذَاتِ الْوَقُودِ﴾ أي: النار العظيمة المتأججة، ذات الحطب واللهب، التي أضرمها الكفار في تلك الأخاديد لإحراق المؤمنين.

* ﴿إِذْ هُمْ عَلَيْهَا قُعُودٌ﴾ أي: حين جلس الكفار حول النار فرحين بإحراق المؤمنين فيها... والغرض هنا تخويف كفار قريش فقد كانوا يعذبون من أسلم من قومهم ليرجعوا عن الإسلام.

---

(١) سورة البقرة: الآية: (١٤٣).

* ﴿وَهُمْ عَلَىٰ مَا يَفْعَلُونَ بِالْمُؤْمِنِينَ شُهُودٌ﴾ أى: أن الكفار كانوا يشهدون تعذيب المؤمنين فى النار ويتشفَّون فيهم... فقد كانوا يعرضون الكفر على المؤمنين فمن رفض ألقوه فى النار.

* ﴿وَمَا نَقَمُوا مِنْهُمْ إِلَّا أَن يُؤْمِنُوا بِاللَّهِ الْعَزِيزِ الْحَمِيدِ﴾ أى: وما كان للمؤمنين ذنب ولا انتقم الكفار منهم؛ إلا لأن المؤمنين آمنوا بالله العزيز الحميد وحده، ولم يشركوا فى عبادته أحدًا، ولم يخافوا من أحد غيره.

* ﴿الَّذِي لَهُ مُلْكُ السَّمَاوَاتِ وَالْأَرْضِ﴾ أى: وكلٌّ مَنْ فيهما يحقُّ عليه عبادته والخشوع له.

* ﴿وَاللَّهُ عَلَىٰ كُلِّ شَيْءٍ شَهِيدٌ﴾ أى: هو تعالى مطَّلع على أعمال عباده، لا تخفى عليه خافية من شؤونهم، وفيه وعدٌ للمؤمنين، يعنى: أن الله يراكم وسوف يُدخلكم الجنة.

ووعيدٌ للمجرمين أى: أن الله يراكم، وسيعاقبكم عليه بالنار فى الآخرة.

أى: والله على فعل هؤلاء الكفار من أصحاب الأخدود بالمؤمنين الذين فتنوهم شاهد وعلى غير ذلك من أفعالهم وأفعال جميع خلقه، وهو مجازيهم جزاءهم.

* ﴿**إِنَّ الَّذِينَ فَتَنُوا الْمُؤْمِنِينَ وَالْمُؤْمِنَاتِ**﴾ أى: إن الذين عذبوا المؤمنين والمؤمنات وأحرقوهم فى النار ليفتنوهم عن دينهم.

* ﴿**ثُمَّ لَمْ يَتُوبُوا**﴾ أى: ثم لم يرجعوا عن كفرهم وظلمهم وطغيانهم.

* ﴿**فَلَهُمْ عَذَابُ جَهَنَّمَ وَلَهُمْ عَذَابُ الْحَرِيقِ**﴾ أى: فلهم عذاب شديد فى جهنم جزاءً على كفرهم ولهم العذاب المحرق لأجسادهم لإحراقهم للمؤمنين.

* ﴿إِنَّ الَّذِينَ آمَنُوا وَعَمِلُوا الصَّالِحَاتِ﴾ أي: إن الذين جمعوا بين الإيمان الصادق والعمل الصالح.

* ﴿لَهُمْ جَنَّاتٌ تَجْرِي مِن تَحْتِهَا الأَنْهَارُ﴾ أي: لهم البساتين والحدائق المثمرة التى تجرى من تحت قصورها أنهار الجنة وهى أنهار الماء والخمر واللبن والعسل.

* ﴿ذَلِكَ الْفَوْزُ الْكَبِيرُ﴾ أي: ذلك هو الفوز العظيم الذى لا فوز بعده.

* ثم أخبر الله (جل وعلا) عن بطشه وانتقامه الشديد من أعداء رسله وأوليائه فقال:

* ﴿إِنَّ بَطْشَ رَبِّكَ لَشَدِيدٌ﴾ أي: إن أخذه وانتقامه من أعدائه بالغ الغاية فى الشدة والقوة.

* ﴿إِنَّهُ هُوَ يُبْدِئُ وَيُعِيدُ﴾ أي: إنه هو الخالق القادر على أن يخلق الخلق من العدم ثم يُميتهم ثم يُحييهم

مرة أخرى بعد موتهم للبعث والحساب يوم القيامة.

* ﴿وَهُوَ الْغَفُورُ الْوَدُودُ﴾ أي: وهو الغفور الذى يغفر ذنب من تاب من عباده... وهو الودود الذى يحب أولياءه ويتودد إليهم وهو الغنى عنهم.

* ﴿ذُو الْعَرْشِ﴾ أي: وهو صاحب العرش العظيم.

* ﴿الْمَجِيدُ﴾ أي: وهو سبحانه وتعالى المجيد المتصف بجميع صفات الجلال والكمال العالى على جميع الخلائق.

* ﴿فَعَّالٌ لِمَا يُرِيدُ﴾ أي: يفعل ما يشاء ويحكم ما يريد لا يمتنع عليه شيء يريده.

* ﴿هَلْ أَتَاكَ حَدِيثُ الْجُنُودِ﴾ استفهامٌ للتشويق أي: هل بلغك يا محمد خبر الجموع الكافرة، الذين تجنَّدوا لحرب الرسل والأنبياء؟ هل بلغك ما أحلَّ الله

بهم من البأس، وما أنزل عليهم من النقمة والعذاب؟ ثم بيَّن تعالى من هم فقال:

* ﴿فِرْعَوْنَ وَثَمُودَ﴾ أى: هم فرعون وثمود الذين كذبوا رسلهم فأهلكهم الله بذنوبهم.

* ﴿بَلِ الَّذِينَ كَفَرُوا فِي تَكْذِيبٍ﴾ أى: ومع كل هذا لم يعتبر كفار قريش بما حَلَّ بالأمم الكافرة بل هم مستمرون فى التكذيب. . . فهم أشد كفرًا وطغيانًا.

* ﴿وَاللَّهُ مِن وَرَائِهِم مُّحِيطٌ﴾ أى: إن الله قادرٌ عليهم فهم لا يُعجزونه؛ لأنهم فى قبضته وتحت سلطانه.

* ﴿بَلْ هُوَ قُرْآنٌ مَّجِيدٌ﴾ أى: بل هذا الذى كذبوا به، كتابٌ عظيم شريف، كثير الخير والعلم.

* ﴿فِي لَوْحٍ مَّحْفُوظٍ﴾ أى: هو فى اللوح المحفوظ الذى فى السماء، محفوظ من الزيادة والنقص، والتحريف والتبديل.

سورة الطارق

بسم الله الرحمن الرحيم ﴿ والسماء والطارق (1) ① وما أدراك
ما الطارق ② النجم الثاقب (2) ③ إن كل نفس لما عليها
حافظ (3) ④ فلينظر الإنسان مم خلق ⑤ خلق من ماء
دافق (4) ⑥ يخرج من بين الصلب (5) والترائب (6) ⑦ إنه
على رجعه لقادر ⑧ يوم تبلى (7) السرائر (8) ⑨ فما له من
قوة ولا ناصر ⑩ والسماء ذات الرجع (9) ⑪ والأرض ذات

(1) الطارق: نجم يظهر بالليل ويختفي بالنهار.
(2) الثاقب: المضيء المنير.
(3) حافظ: هم الحفظة من الملائكة يحفظون على العباد أقوالهم وأعمالهم.
(4) دافق: متدفق مندفع بشدة.
(5) الصُّلب: الظهر.
(6) الترائب: هي عظام الصدر والنحر من المرأة أو موضع القلادة من الصدر.
(7) تُبلى: تُختبر وتُمتحن.
(8) السرائر: هو كل ما استسره الإنسان من خير أو شر.
(9) ذات الرجع: ذات المطر.

الصَّدْعِ(1) ﴿١٢﴾ إِنَّهُ لَقَوْلٌ فَصْلٌ ﴿١٣﴾ وَمَا هُوَ بِالْهَزْلِ(2) ﴿١٤﴾
إِنَّهُمْ يَكِيدُونَ(3) كَيْدًا ﴿١٥﴾ وَأَكِيدُ كَيْدًا ﴿١٦﴾ فَمَهِّلِ(4)
الْكَافِرِينَ أَمْهِلْهُمْ رُوَيْدًا(5) ﴾.

* فتعالوا بنا لنتعايش بقلوبنا مع تفسير سورة الطارق:

* ﴿وَالسَّمَاءِ وَالطَّارِقِ﴾ أى: أقسم بالسماء ونجومها المضيئة التى تظهر بالليل وتختفى بالنهار.

* ﴿وَمَا أَدْرَاكَ مَا الطَّارِقُ﴾ أى: وما أعلمك يا محمد بهذا النجم؟ ثم فسَّر ذلك بقوله:

* ﴿النَّجْمُ الثَّاقِبُ﴾ أى: النجم المنير المضىء الذى يثقب الظلام بضيائه.

---

(1) ذات الصدع أى: تصدع وتنشق عن النبات والأشجار والأنهار.
(2) الهزل: المزاح أو اللغو.
(3) يكيدون: يدبرون ويمكرون.
(4) فمهِّل: أعطهم مهلة ولا تستعجل.
(5) رويدًا: قليلاً.

* ﴿إن كلُّ نفسٍ لَمَا عليها حافظٌ﴾ هذا جواب القسم أى: ما من نفس إلا عليها حافظ من الملائكة، يحفظ عملها، ويحصى عليها ما تكسب من خير وشر.

قال ابن كثير: أى كل نفس عليها من الله حافظ يحرسها من الآفات.

* ﴿فلْيَنظرِ الإنسانُ مِمَّ خُلِق﴾ أى: فلينظر الإنسان فى أول نشأته نظرة تفكُّر واعتبار... وفى هذا تنبيه للإنسان على ضعف أصله الذى خُلق منه وإرشاد له إلى الاعتراف بالمعاد؛ لأن من قدر على بداية الخلق قادر على إعادتهم مرة أخرى.

* ﴿خُلق من ماءٍ دافق﴾ أى: خُلق من المنى المتدفق الذى ينصبّ بقوة وشدة.

* ﴿يخرُجُ من بيْنِ الصُّلْبِ والتَّرائبِ﴾ أى: يخرج هذا الماء من بين الصلب فى الرجل وعظام الصدر فى المرأة.

* ﴿إِنَّهُ عَلَىٰ رَجْعِهِ لَقَادِرٌ﴾ أى: إن الله (جل وعلا) الذى خلق الخلق جميعًا قادرٌ على إعادتهم بعد موتهم.

* ﴿يَوْمَ تُبْلَى السَّرَائِرُ﴾ أى: يوم تُمتحن القلوب وتُختبر ويظهر ما كان فى تلك القلوب من خير أو شرٍّ.

* ﴿فَمَا لَهُ مِن قُوَّةٍ وَلَا نَاصِرٍ﴾ أى: فليس للإنسان فى ذلك الوقت قوة؛ فيدفع عن نفسه العذاب، ولا ناصر غيره، ينصره ويجيره ويدفع عنه.

* ﴿وَالسَّمَاءِ ذَاتِ الرَّجْعِ﴾ أى: أقسم بالسماء ذات المطر، الذى يرجع على العباد حينًا بعد حين.

* ﴿وَالْأَرْضِ ذَاتِ الصَّدْعِ﴾ أى: وأقسم بالأرض التى تتصدع وتنشق؛ فيخرج منها النبات، والأشجار، والأزهار.

* ﴿إِنَّهُ لَقَوْلٌ فَصْلٌ﴾ أى: إن هذا القرآن قولٌ فاصلٌ بين الحق والباطل، قد بلغ الغاية فى بيانه وتشريعه وإعجازه.

* ﴿ وَمَا هُوَ بِالْهَزْلِ ﴾ أي: ليس فيه شيء من اللهو، والباطل، والعبث، بل هو جِدٌّ كلُّه؛ لأنه كلام أحكم الحاكمين.

* ﴿ إِنَّهُمْ يَكِيدُونَ كَيْدًا ﴾ أي: إن هؤلاء المشركين يسعون بالشر لإطفاء نور الله وإبطال شريعة محمد ﷺ.

* ﴿ وَأَكِيدُ كَيْدًا ﴾ أي: وأجازيهم على كيدهم بالإمهال ثم النكال، حيث آخذهم أخذ عزيز مقتدر.

* ﴿ فَمَهِّلِ الْكَافِرِينَ أَمْهِلْهُمْ رُوَيْدًا ﴾ أي: لا تستعجل في هلاكهم والانتقام منهم، وأمهلهم قليلاً؛ فسوف ترى ما أصنع بهم[1].

* * *

(١) بتصرف من (صفوة التفاسير).

سورة الأعلى

بسم الله الرحمن الرحيم ﴿ سبح اسم ربك الأعلى (١) الذى خلق
فسوى (٢) والذى قدر فهدى[1] (٣) والذى أخرج المرعى[2]
(٤) فجعله غثاء[3] أحوى[4] (٥) سنقرئك فلا تنسى (٦) إلا
ما شاء الله إنه يعلم الجهر وما يخفى (٧) ونيسرك لليسرى[5]
(٨) فذكر إن نفعت الذكرى (٩) سيذكر من يخشى[6] (١٠)
ويتجنبها الأشقى (١١) الذى يصلى النار الكبرى (١٢) ثم لا

(١) ﴿ قدر فهدى ﴾ أي: قدّر قدراً، وأرشد الخلائق إليه.

(٢) ﴿ المرعى ﴾ أي: النبات، والعشب الأخضر.

(٣) ﴿ غثاء ﴾ الغثاء: هو ما يقذف به السيل على جوانب الوادى من الحشيش والنبات، وغيرهما، ويقال لها إذا تحطمت ويبست: غثاء.

(٤) ﴿ أحوى ﴾ أي: اسودّ بعد الخضرة، وذلك أن العشب إذا يبس بعد الجفاف اسود.

(٥) ﴿ لليسرى ﴾ اليسرى: عمل الخير.

(٦) ﴿ يخشى ﴾ أي: يتقى الله ويخافه.

يَمُوتُ فِيهَا وَلا يَحْيَىٰ ﴿١٣﴾ قَدْ أَفْلَحَ مَن تَزَكَّىٰ(١) ﴿١٤﴾ وَذَكَرَ اسْمَ
رَبِّهِ فَصَلَّىٰ ﴿١٥﴾ بَلْ تُؤْثِرُونَ الْحَيَاةَ الدُّنْيَا ﴿١٦﴾ وَالآخِرَةُ خَيْرٌ
وَأَبْقَىٰ ﴿١٧﴾ إِنَّ هَٰذَا لَفِي الصُّحُفِ الأُولَىٰ ﴿١٨﴾ صُحُفِ إِبْرَاهِيمَ
وَمُوسَىٰ ﴾.

* فتعالوا بنا لنتعايش بقلوبنا مع تفسير سورة الأعلى:

* ﴿ سَبِّحِ اسْمَ رَبِّكَ الأَعْلَى ﴾ أي: نزِّه يا محمد ربك الأعلى عن صفات النقص وعما يقوله الظالمون مما لا يليق به من النقائص والقبائح.

* ﴿ الَّذِي خَلَقَ فَسَوَّىٰ ﴾ أي: الذي خلق جميع المخلوقات فأتقن خلقها وأبدع صنعها في أحسن وأجمل الأشكال وأحسن الهيئات.

* ﴿ وَالَّذِي قَدَّرَ فَهَدَىٰ ﴾ أي: الذي قدَّر في كل شيء

---

(١) ﴿ تزكّى ﴾: تطهر من الشرك، وقال: لا إله إلا الله.

خواصه ومزاياه وهدى الناس جميعًا لكيفية الانتفاع بما فى تلك الأشياء... ولو تأملنا لما فى النباتات والجمادات والمعادن من منافع، وكيف أن الله هدى الإنسان للانتفاع بكل ما فى الأرض من الكنوز وما على ظهرها من النباتات والحيوانات وغيرها فاستطاع أن يصنع الأدوية والعقاقير النافعة، واستطاع أن يصنع وسائل المواصلات والملابس والمبانى، وغيرها مما يعود عليه نفعها.

* ﴿وَالَّذِى أَخْرَجَ الْمَرْعَىٰ﴾ أى: أنبت كل ما تحتاج إليه الدواب من الحشائش والنباتات والأعشاب.

* ﴿فَجَعَلَهُ غُثَاءً أَحْوَىٰ﴾ أى: جعله بعد الخُضرة أسود باليًا بعد أن كان ناضرًا... على الرغم من أنه أصبح باليًا يابسًا إلا أنه يصبح فى هذا الوقت طعامًا جيدًا لكثير من الحيوانات.

* ﴿سَنُقْرِئُكَ فَلَا تَنسَىٰ﴾ أي: سنُقرئك يا محمد هذا القرآن العظيم الذى ستسعد به البشرية كلها فتحفظه فى صدرك ولا تنساه أبدًا.

* ﴿إِلَّا مَا شَاءَ اللَّهُ﴾ أي: لكن ما أراد الله نسخه فإنك تنساه وفى هذه الآية معجزة له عليه الصلاة والسلام؛ لأنه كان أُميًا لا يقرأ ولا يكتب، وكان مع ذلك لا ينسى ما أقرأه جبريل عليه السلام، وكونه يحفظ هذا الكتاب العظيم من غير دراسة ولا تكرار ولا ينساه أبدًا، من أعظم البراهين على صدق نبوته ﷺ.

* ﴿إِنَّهُ يَعْلَمُ الْجَهْرَ وَمَا يَخْفَىٰ﴾ أي: أنه سبحانه وتعالى هو الذى يعلم بكل ما يجهر به العباد وبكل ما يخفونه من الأقوال والأعمال فلا يخفى عليه شيء فى الأرض ولا فى السماء.

* ﴿ وَنُيَسِّرُكَ لِلْيُسْرَىٰ ﴾ أي: سوف نيسر لك كل أمرٍ عسير في دنياك وكذلك سوف نُيسر لك هذا الدين بأن نوفقك لتلك الشريعة السمحة البالغة في اليُسر فهي من أيسر وأسهل الشرائع السماوية... وهي شريعة الإسلام.

* ﴿ فَذَكِّرْ إِن نَّفَعَتِ الذِّكْرَىٰ ﴾ أي: فذكِّر بهذا القرآن حيث تنفع الموعظة والتذكرة.

* ﴿ سَيَذَّكَّرُ مَن يَخْشَىٰ ﴾ أي: سينتفع بهذه الذكرى والموعظة صاحب القلب الحي الذي يخاف الله ويخشاه.

* ﴿ وَيَتَجَنَّبُهَا الْأَشْقَى ﴾ أي: وسوف يرفض ويبتعد عن قبول هذه الذكرى والموعظة الكافر الشقي المبالغ في الشقاوة.

* ﴿ الَّذِي يَصْلَى النَّارَ الْكُبْرَىٰ ﴾ أي: الذي سيدخل نار

جهنم المستعرة الشديدة الالتهاب والتى هى أشد من نار الدنيا سبعين مرة.

* ﴿ثُمَّ لا يَمُوتُ فِيهَا وَلا يَحْيَىٰ﴾ أى: رغم كل هذا العذاب فى النار، فإنه مع ذلك لا يموت فيستريح من هذا العذاب ولا يحيا الحياة الطيبة الكريمة بل هو خالد مخلَّد فى العذاب والشقاء.

* ﴿قَدْ أَفْلَحَ مَن تَزَكَّىٰ﴾ أى: قد فاز من طهَّر نفسه وقلبه بالإيمان والتوحيد وأخلص العمل لله (جل وعلا) واتَّبع رسول الله ﷺ.

* ﴿وَذَكَرَ اسْمَ رَبِّهِ فَصَلَّىٰ﴾ أى: ذكر عظمة ربه وجلاله فصلَّى الصلوات الخمس خشوعًا وامتثالاً لأمر ربه (جل وعلا).

* ﴿بَلْ تُؤْثِرُونَ الْحَيَاةَ الدُّنْيَا﴾ أى: بل تفضلون أيها الناس تلك الحياة الفانية على الآخرة الباقية فتشتغلون

من أجلها وتنسون الآخرة التي هي الحياة الحقيقية الباقية.

* ﴿وَالْآخِرَةُ خَيْرٌ وَأَبْقَىٰ﴾ أي: والحال أن الآخرة خير وأبقى من الدنيا وذلك لأن الدنيا مهما طالت فهي قصيرة فانية، وأما الآخرة فهي الباقية فكيف ينشغل الإنسان العاقل بالفانية عن الباقية؟!

* ﴿إِنَّ هَٰذَا لَفِي الصُّحُفِ الْأُولَىٰ (١٨) صُحُفِ إِبْرَاهِيمَ وَمُوسَىٰ﴾ أي: إن هذه المواعظ المذكورة في هذه السورة، مثبتة في الصحف القديمة المُنزَّلة على إبراهيم وموسى عليهما السلام، فهي مما توافقت فيه الشرائع وسطَّرته الكتب السماوية، كما سطَّره هذا الكتاب المجيد.

* * *

سورة الغاشية

بسم الله الرحمن الرحيم ﴿ هَلْ أَتَاكَ حَدِيثُ الْغَاشِيَةِ [1] ﴿١﴾ وُجُوهٌ
يَوْمَئِذٍ خَاشِعَةٌ [2] ﴿٢﴾ عَامِلَةٌ نَّاصِبَةٌ [3] ﴿٣﴾ تَصْلَىٰ نَارًا حَامِيَةً ﴿٤﴾
تُسْقَىٰ مِنْ عَيْنٍ آنِيَةٍ [4] ﴿٥﴾ لَّيْسَ لَهُمْ طَعَامٌ إِلَّا مِن ضَرِيعٍ [5] ﴿٦﴾ لَّا
يُسْمِنُ وَلَا يُغْنِي مِن جُوعٍ ﴿٧﴾ وُجُوهٌ يَوْمَئِذٍ نَّاعِمَةٌ ﴿٨﴾ لِّسَعْيِهَا رَاضِيَةٌ
﴿٩﴾ فِي جَنَّةٍ عَالِيَةٍ ﴿١٠﴾ لَّا تَسْمَعُ فِيهَا لَاغِيَةً [6] ﴿١١﴾ فِيهَا عَيْنٌ جَارِيَةٌ
﴿١٢﴾ فِيهَا سُرُرٌ مَّرْفُوعَةٌ ﴿١٣﴾ وَأَكْوَابٌ مَّوْضُوعَةٌ ﴿١٤﴾ وَنَمَارِقُ [7]

---

(١) ﴿الْغَاشِيَةِ﴾: من أسماء القيامة.
(٢) ﴿خَاشِعَةٌ﴾ يعني: ذليلة.
(٣) ﴿نَّاصِبَةٌ﴾ أي: متعبة، من النَّصَب، وهو التعب.
(٤) ﴿آنِيَةٍ﴾ أي: متناهية في الحرارة، والآني: الذي قد انتهى حرُّه.
(٥) ﴿ضَرِيعٍ﴾ هو نبت ذو شوك، وهو أخبث الطعام وأشنعه.
(٦) ﴿لَاغِيَةً﴾ أي: لغواً وباطلاً.
(٧) ﴿وَنَمَارِقُ﴾ وسائد، والمفرد: نمرقة بمعنى وسادة صغيرة.

مَصْفُوفَةٌ (١٥) وَزَرَابِيُّ(١) مَبْثُوثَةٌ(٢) (١٦) أَفَلا يَنظُرُونَ إِلَى الإِبِلِ
كَيْفَ خُلِقَتْ (١٧) وَإِلَى السَّمَاءِ كَيْفَ رُفِعَتْ (١٨) وَإِلَى الْجِبَالِ
كَيْفَ نُصِبَتْ (١٩) وَإِلَى الأَرْضِ كَيْفَ سُطِحَتْ (٢٠) فَذَكِّرْ إِنَّمَا
أَنتَ مُذَكِّرٌ (٢١) لَّسْتَ عَلَيْهِم بِمُصَيْطِرٍ(٣) (٢٢) إِلاَّ مَن تَوَلَّى وَكَفَرَ
(٢٣) فَيُعَذِّبُهُ اللَّهُ الْعَذَابَ الأَكْبَرَ (٢٤) إِنَّ إِلَيْنَا إِيَابَهُمْ(٤) (٢٥) ثُمَّ
إِنَّ عَلَيْنَا حِسَابَهُمْ﴾.

نحن نعلم أن يوم القيامة يوم عظيم ولذلك جاء ذكره كثيرًا فى كتاب الله وفى سُنة رسول الله ﷺ حتى يستعد الناس بالعمل الصالح لهذا اليوم الذى يقفون فيه بين يدى الله (جل وعلا).

ولذلك تناولت سورة الغاشية القيامة وأحوالها وأهوالها فذكرت الكافر وما يلقاه من العناء والشقاء

(١) ﴿وزرابيُّ﴾ أى: البُسط العريضة، التى لها خمل رقيق.
(٢) ﴿مبثوثة﴾ أى: متفرقة فى المجالس.
(٣) ﴿بمصيطر﴾ أى: بمسلط.
(٤) ﴿إيابهم﴾: رجوعهم.

والبلاء... وذكرت المؤمن وما يلقاه من السعادة والهناء.

ثم ذكرت الأدلة والبراهين على وحدانية الله (جل وعلا) وقدراته الباهرة حتى يؤمن الكافر ويزداد أهل الإيمان إيمانًا وثباتًا.

* **فتعالوا بنا لنتعايش بقلوبنا مع تفسير سورة الغاشية:**

* ﴿هَلْ أَتَاكَ حَدِيثُ الْغَاشِيَةِ﴾ أى: هل جاءك يا محمد خبر الداهية العظيمة التى تغشى الناس بشدائدها وأهوالها.. وهى القيامة؟

* ﴿وُجُوهٌ يَوْمَئِذٍ خَاشِعَةٌ﴾ أى: أن وجوه الكفار يوم القيامة ذليلة خاضعة مهينة؛ لأن أصحابها كفروا بالله (جل وعلا).

* ﴿عَامِلَةٌ نَّاصِبَةٌ﴾ أى: دائبة العمل فيما يُتعبها

ويُشقيها فى النار... وذلك لأن هؤلاء كانوا يُتعبون أنفسهم فى الدنيا فى معصية الله (جل وعلا) فيكون الجزاء أنهم كما أتعبوا أنفسهم فى الكفر والمعاصى فإنهم يتعبون فى النار بسبب جرّ الأغلال والسلاسل والصعود والهبوط فى دركات النار.

* ﴿تَصْلَىٰ نَارًا حَامِيَةً﴾ أى: تدخل نارًا شديدة الحر مشتعلة.

* ﴿تُسْقَىٰ مِنْ عَيْنٍ آنِيَةٍ﴾ أى: تُسقى من عين متناهية الحرارة قد وصل حرها وغليانها درجة النهاية.

* ﴿لَّيْسَ لَهُمْ طَعَامٌ إِلَّا مِن ضَرِيعٍ﴾ أى: ليس لأهل النار طعام إلا الضريع وهو نبتٌ ذو شوك تسميه قريش «الشبرق» وهو أخبث طعام وأبشعه وهو سُمٌّ قاتل... ذكر تعالى هنا أن طعامهم الضريع ﴿لَّيْسَ لَهُمْ طَعَامٌ إِلَّا مِن ضَرِيعٍ﴾ وقال فى الحاقة: ﴿وَلَا طَعَامٌ إِلَّا مِنْ

غِسْلِين﴾ ولا تنافى بينهما؛ لأن العقاب ألوان، والمعذَّبون أنواع، فمنهم من يكون طعامه الزقوم، ومنهم من يكون طعامه الضريع، ومنهم من يكون طعامه الغسلين، وهكذا يتنوع العذاب.

* ﴿لَا يُسْمِنُ وَلَا يُغْنِي مِن جُوعٍ﴾ أى: أن هذا الضريع لا يجعل البدن سمينًا أو قويًّا ولا يدفع الجوع عمَّن يأكله.

وقد روى أنه يُسلَّط عليهم الجوع بحيث يضطرهم إلى أكل الضريع، فإذا أكلوه يُسلَّط عليهم العطش فيضطرهم إلى شرب الحميم، فيشوى وجوههم ويقطع أمعاءهم ﴿وَسُقُوا مَاءً حَمِيمًا فَقَطَّعَ أَمْعَاءَهُمْ﴾(١)..

ولما ذكر حال الأشقياء أهل النار، أتبعه بذكر حال السعداء أهل الجنة فقال:

---

(١) سورة محمد: الآية: (١٥).

* ﴿وُجُوهٌ يَوْمَئِذٍ نَّاعِمَةٌ﴾ أى: أن وجوه المؤمنين الصالحين تكون يوم القيامة ناعمة ناضرة جميلة يظهر عليها أثر النعيم والسعادة والسرور كما قال تعالى: ﴿تَعْرِفُ فِي وُجُوهِهِمْ نَضْرَةَ النَّعِيمِ﴾(١).

* ﴿لِسَعْيِهَا رَاضِيَةٌ﴾ أى: أنها لعملها الذى عملته فى الدنيا وطاعتها لله (جل وعلا) راضية مطمئنة لأن هذا العمل أورثها الفردوس الأعلى.

* ﴿فِي جَنَّةٍ عَالِيَةٍ﴾ أى: فى جنة مرتفعة القدر والمكان، فيها حدائق وبساتين لا تخطر على قلب بشر.

* ﴿لَا تَسْمَعُ فِيهَا لَاغِيَةً﴾ أى: لا تسمع فى الجنة كذبًا أو بهتانًا أو شتمًا أو سبًا ولا أذى ولا باطلاً ولا لغوًا؛ لأن أهل الجنة لا يتكلمون إلا بالحكمة.

---

(١) سورة المطففين: الآية: (٢٤).

* ﴿فِيهَا عَيْنٌ جَارِيَةٌ﴾ أى: فيها عيون تجرى على وجه أرض الجنة بالماء السلسبيل لا تنقطع أبدًا.

* ﴿فِيهَا سُرُرٌ مَّرْفُوعَةٌ﴾ أى: فى الجنة أَسِرَّة مرتفعة مُكللة بالذهب والفضة والياقوت واللؤلؤ.

* ﴿وَأَكْوَابٌ مَّوْضُوعَةٌ﴾ أى: وفى الجنة أيضًا أكواب موضوعة على حافات العيون مُعدَّة لشرابهم لا تحتاج إلى من يملؤها.

* ﴿وَنَمَارِقُ مَصْفُوفَةٌ﴾ أى: وفى الجنة أيضًا وسائد - مخدات - مصفوفة واحدة إلى جنب أختها ليستندوا عليها.

* ﴿وَزَرَابِيُّ مَبْثُوثَةٌ﴾ أى: وفيها بُسُط عريضة ورقيقة جدًا مبسوطة ومتفرقة فى كل مجالسهم فى أنحاء الجنة.

* ثم ذكر الله (عز وجل) الدلائل والبراهين

الدالة على قدرته ووحدانيته فقال:

* ﴿أَفَلا يَنظُرُونَ إِلَى الإِبِلِ كَيْفَ خُلِقَتْ﴾ أي: أفلا ينظر هؤلاء الناس نظرة تفكر واعتبار، إلى الإبل - الجِمال - كيف خلقها الله خلقًا عجيبًا بديعًا يدل على قدرة خالقها؟! في الآية حض على النظر في خلقتها، لما فيها من العجائب في قوتها، وانقيادها مع ذلك لكل ضعيف، وصبرها على العطش، وكثرة المنافع التي فيها، من الركوب والحمل عليها، وأكل لحومها، وشرب ألبانها وغير ذلك.

* ﴿وَإِلَى السَّمَاءِ كَيْفَ رُفِعَتْ﴾ أي: وينظرون إلى تلك السماء البديعة المُحكمة كيف رفع الله بناءها بغير عَمَدٍ ولا دعائم.

* ﴿وَإِلَى الْجِبَالِ كَيْفَ نُصِبَتْ﴾ أي: وإلى الجبال الكبيرة الشاهقة كيف نُصبت على الأرض بقوة حتى

أصبحت ثابتة لا تتحرك ولا تتزلزل.

* ﴿وَإِلَى الْأَرْضِ كَيْفَ سُطِحَتْ﴾ أي: وإلى الأرض التي يعيشون عليها كيف بُسطت ومُهدت للناس جميعًا حتى أصبحت صالحة لاستقرار المخلوقات عليها والانتفاع بما فيها.

* ولما ذكر الله (عز وجل) دلائل التوحيد ولم يعتبر بذلك الكفار أمر نبيه ﷺ بأن يعظهم ويذكرهم فقال:

* ﴿فَذَكِّرْ إِنَّمَا أَنتَ مُذَكِّرٌ﴾ أي: فاحرص يا محمد على أن تعظهم وتخوفهم وتُذكرهم بنعمتي عليهم، وتُذكرهم بالدار الآخرة ولا تهتم؛ لأنهم لا ينظرون ولا يتفكرون ولا يتعظون فإنما عليك أن تعظهم وتُذكرهم.

* ﴿لَّسْتَ عَلَيْهِم بِمُسَيْطِرٍ﴾ أي: أنك لست بمتسلط

عليهم ولا قاهر لهم حتى تُجبرهم على الإيمان والتوحيد.

* ﴿إلاَّ مَن تَوَلَّىٰ وَكَفَرَ﴾ أي: لكن من أعرض عن الوعظ والتذكير، وكفر بالله العلي القدير.

* ﴿فَيُعَذِّبُهُ اللَّهُ الْعَذَابَ الأَكْبَرَ﴾ أي: فيعذبه الله بنار جهنم الدائم عذابها.

* ﴿إنَّ إلَيْنَا إيَابَهُمْ﴾ أي: إلينا رجوعهم بعد الموت بالبعث.

* ﴿ثُمَّ إنَّ عَلَيْنَا حِسَابَهُمْ﴾ أي: ثم إن علينا وحدنا حسابهم وجزاءهم.

* * *

سورة الفجر

بِسْمِ اللَّهِ الرَّحْمَنِ الرَّحِيمِ ﴿وَالْفَجْرِ (١) وَلَيَالٍ عَشْرٍ[1] (٢)
وَالشَّفْعِ[2] وَالْوَتْرِ[3] (٣) وَاللَّيْلِ إِذَا يَسْرِ[4] (٤) هَلْ فِي ذَلِكَ
قَسَمٌ لِذِي حِجْرٍ[5] (٥) أَلَمْ تَرَ كَيْفَ فَعَلَ رَبُّكَ بِعَادٍ (٦) إِرَمَ ذَاتِ
الْعِمَادِ (٧) الَّتِي لَمْ يُخْلَقْ مِثْلُهَا فِي الْبِلَادِ (٨) وَثَمُودَ الَّذِينَ
جَابُوا[6] الصَّخْرَ بِالْوَادِ (٩) وَفِرْعَوْنَ ذِي الْأَوْتَادِ[7] (١٠) الَّذِينَ

---

(١) ﴿لَيَالٍ عَشْرٍ﴾: هي العشر الأولى من ذي الحجة.

(٢) ﴿وَالشَّفْعِ﴾: الاثنان، والمراد يوم النحر، يعني: يوم الأضحى، وهو العاشر من ذي الحجة.

(٣) ﴿وَالْوَتْرِ﴾: الفرد، والمراد يوم عرفة، وهو التاسع من ذي الحجة.

(٤) ﴿يَسْرِ﴾ أي: يمضي ويذهب.

(٥) ﴿لِذِي حِجْرٍ﴾ أي: لذي عقل، وسمى العقل حِجرًا؛ لأنه يحجر صاحبه أي: يمنعه عما لا يحل، ولا ينبغي.

(٦) ﴿جَابُوا﴾ أي: قطعوا.

(٧) ﴿ذِي الْأَوْتَادِ﴾ أي: صاحب الأوتاد، وسُمِّي بذلك؛ لأنه كان يعذب الناس بالأوتاد.

طَغَوْا (١) فِي الْبِلَادِ ﴿١١﴾ فَأَكْثَرُوا فِيهَا الْفَسَادَ ﴿١٢﴾ فَصَبَّ عَلَيْهِمْ
رَبُّكَ سَوْطَ (٢) عَذَابٍ ﴿١٣﴾ إِنَّ رَبَّكَ لَبِالْمِرْصَادِ (٣) ﴿١٤﴾ فَأَمَّا
الْإِنسَانُ إِذَا مَا ابْتَلَاهُ (٤) رَبُّهُ فَأَكْرَمَهُ وَنَعَّمَهُ فَيَقُولُ رَبِّي أَكْرَمَنِ ﴿١٥﴾
وَأَمَّا إِذَا مَا ابْتَلَاهُ فَقَدَرَ (٥) عَلَيْهِ رِزْقَهُ فَيَقُولُ رَبِّي أَهَانَنِ ﴿١٦﴾ كَلَّا بَل
لَّا تُكْرِمُونَ الْيَتِيمَ ﴿١٧﴾ وَلَا تَحَاضُّونَ عَلَىٰ طَعَامِ الْمِسْكِينِ ﴿١٨﴾
وَتَأْكُلُونَ التُّرَاثَ (٦) أَكْلًا لَّمًّا ﴿١٩﴾ وَتُحِبُّونَ الْمَالَ حُبًّا جَمًّا (٧) ﴿٢٠﴾
كَلَّا إِذَا دُكَّتِ (٨) الْأَرْضُ دَكًّا دَكًّا ﴿٢١﴾ وَجَاءَ رَبُّكَ وَالْمَلَكُ (٩) صَفًّا

---

(١) ﴿طَغَوْا﴾ أي: تمردوا وتجبروا.

(٢) ﴿سَوْطَ﴾: أنزل نصيبًا أو لونًا من العذاب.

(٣) ﴿لَبِالْمِرْصَادِ﴾: يعني: يرصد خلقه فيما يعملون ثم يجازيهم عما كانوا يعملون.

(٤) ﴿ابْتَلَاهُ﴾ أي: امتحنه.

(٥) ﴿فَقَدَرَ﴾ أي: فضيّق.

(٦) ﴿التُّرَاثَ﴾ أي: الميراث.

(٧) ﴿جَمًّا﴾ أي: كثيرًا.

(٨) ﴿دُكَّتِ﴾ الدك: الكسر، والدق، أي: زلزلت الأرض، وحركت تحريكًا بعد تحريك.

(٩) ﴿وَالْمَلَكُ﴾ أي: الملائكة.

صفًّا (٢٢) وَجِيءَ يَوْمَئِذٍ بِجَهَنَّمَ يَوْمَئِذٍ يَتَذَكَّرُ الإِنسَانُ وَأَنَّى(١) لَهُ
الذِّكْرَى (٢٣) يَقُولُ يَا لَيْتَنِي قَدَّمْتُ لِحَيَاتِي (٢٤) فَيَوْمَئِذٍ لَّا يُعَذِّبُ
عَذَابَهُ أَحَدٌ(٢) (٢٥) وَلَا يُوثِقُ(٣) وَثَاقَهُ أَحَدٌ (٢٦) يَا أَيَّتُهَا النَّفْسُ
الْمُطْمَئِنَّةُ (٢٧) ارْجِعِي إِلَىٰ رَبِّكِ(٤) رَاضِيَةً(٥) مَّرْضِيَّةً(٦) (٢٨)
فَادْخُلِي فِي عِبَادِي (٢٩) وَادْخُلِي جَنَّتِي ﴾.

* حبايبي الحلوين:

وبعد توضيح معاني الكلمات تعالوا بنا لنتعايش بقلوبنا مع تفسير سورة الفجر:

* ﴿ وَالْفَجْرِ (١) وَلَيَالٍ عَشْرٍ (٢) وَالشَّفْعِ وَالْوَتْرِ (٣)

---

(١) ﴿ وَأَنَّى لَهُ الذِّكْرَى ﴾ أي: ومن أين له الانتفاع بالتوبة وقد فات أوانها.

(٢) ﴿ لَّا يُعَذِّبُ عَذَابَهُ أَحَدٌ ﴾ أي: لا يعذب أحدٌ عذاباً مثل عذاب الله في الشدة.

(٣) ﴿ لَا يُوثِقُ ﴾ أي: لا يقيد، والوثاق هو القيود من السلاسل والأغلال، ونحوهما.

(٤) ﴿ ارْجِعِي إِلَىٰ رَبِّكِ ﴾ أي: إلى دار كرامته.

(٥) ﴿ رَاضِيَةً ﴾: بما نلت.

(٦) ﴿ مَّرْضِيَّةً ﴾: عنده تعالى.

وَاللَّيْلِ إِذَا يَسْرِ﴾: هذه خمسة أشياء قد أقسم الله تعالى بها.

* ﴿وَالْفَجْرِ﴾ أى: أقسم بضوء الصبح عند مطاردته ظُلمة الليل.

* ﴿وَلَيَالٍ عَشْرٍ﴾ أى: أقسم بالليالى العشر المباركات من أول شهر ذى الحجة.

* ﴿وَالشَّفْعِ وَالْوَتْرِ﴾ أى: وأقسم بالشفع وهو يوم الفجر وهو يوم العاشر من شهر ذى الحجة. . . . وأقسم بالوتر وهو يوم عرفة وهو يوم التاسع من شهر ذى الحجة.

* ﴿وَاللَّيْلِ إِذَا يَسْرِ﴾ أى: وأقسم بالليل إذا ذهب.

* ﴿هَلْ فِي ذَلِكَ قَسَمٌ لِّذِي حِجْرٍ﴾ أى: هل فيما ذكر من الأشياء قسم مقنعٌ لذى صاحب عقل. . والمعنى: أنه من كان ذا عقلٍ عَلِم أن ما أقسم الله

تعالى به من هذه الأشياء فيه عجائب ودلائل على قدرة الخالق المستحق لأن يعبده الناس ويوحدوه.

* ﴿ أَلَمْ تَرَ كَيْفَ فَعَلَ رَبُّكَ بِعَادٍ ﴾ أي: ألم تعلم يا محمد ما فعل ربك بعاد قوم هود؟

* ﴿ إِرَمَ ذَاتِ الْعِمَادِ ﴾ أي: إرم ذات البناء المرتفع.

و﴿ إِرَمَ ﴾ اسم جدهم وبه سُميت القبيلة.. وكانوا يسكنون بالأحقاف بين عُمان وحضرموت.

* ﴿ الَّتِي لَمْ يُخْلَقْ مِثْلُهَا فِي الْبِلَادِ ﴾ أي: لم يخلق الله مثلهم في القوة والبطش والشدة وضخامة البنية في زمانهم.

والمقصود هنا تخويف أهل مكة بما صنع الله بعاد وقد كانوا أشد قوة وأطول أعمارًا من كفار مكة.

* ﴿ وَثَمُودَ الَّذِينَ جَابُوا الصَّخْرَ بِالْوَادِ ﴾ أي: وكذلك فعلنا بثمود الذين قطعوا صخر الجبال ونحتوا بيوتًا

بوادى القرى.

* ﴿وَفِرْعَوْنَ ذِى الأَوْتَادِ﴾ أى: وكذلك فرعون الطاغية الجبار ذو الجنود والجموع والحشود التى تشد مُلكه.

وفرعون صفة لحاكم مصر، وليس اسمًا لشخص معين، كما أن كسرى لقبٌ لكل مَن حكَم فارس، وقيصر لقبٌ لكل من حكم الروم، والنجاشى لقب لكل من حكم الحبشة وتُبع لقبٌ لكل من حكم اليمن.

* ﴿الَّذِينَ طَغَوْا فِى الْبِلادِ﴾ أى: أولئك المتجبرون عادٌ وثمود، وفرعون الذين تمردوا وعتوا عن أمر الله، وجاوزوا الحدَّ فى الظلم والطغيان.

* ﴿فَأَكْثَرُوا فِيهَا الْفَسَادَ﴾ أى: فأكثروا فى البلاد الظلم، والجور، والقتل، وسائر المعاصى والآثام.

* ﴿فَصَبَّ عَلَيْهِمْ رَبُّكَ سَوْطَ عَذَابٍ﴾ أى: فأنزل

عليهم ربُّك ألوانًا شديدة من العذاب؛ بسبب إجرامهم وطُغيانهم.

* ﴿إِنَّ رَبَّكَ لَبِالْمِرْصَادِ﴾ أى: إن ربك ليرقبُ عمل الناس ويُحصيه عليهم، ويجازيهم به، وأنه تعالى رقيبٌ على كل إنسان، وأنه لا يفوته أحدٌ من الجبابرة والكفار.

* ولما ذكر تعالى ما حلَّ بالطغاة المتجبرين، ذكر هنا طبيعة الإنسان الكافر، الذى يبطر عند الرخاء، ويقنط عند الضراء فقال:

* ﴿فَأَمَّا الإِنسَانُ إِذَا مَا ابْتَلاهُ رَبُّهُ﴾ أى: فأما الإنسان إذا ما اختبره ربه وامتحنه بالنعمة.

* ﴿فَأَكْرَمَهُ وَنَعَّمَهُ﴾ أى: أكرمه بالغنى وكثرة المال وجعله من المُنعمين المرفهين فى الدنيا بالمال والبنين والجاه والسلطان.

* ﴿فَيَقُولُ رَبِّى أَكْرَمَنِ﴾ أي: فيفرح بذلك ويظن أن هذا من إكرام الله له لأنه يستحق تلك النعم... ولم يعلم هذا المسكين أن هذا ابتلاء وامتحان واختبار.

* ﴿وَأَمَّا إِذَا مَا ابْتَلاهُ فَقَدَرَ عَلَيْهِ رِزْقَهُ فَيَقُولُ رَبِّى أَهَانَنِ﴾: وأما إذا اختبره وامتحنه ربه بالفقر وتضييق الرزق، فيقول إن ربي أهانني بتضييقه الرزق عليَّ.

* ﴿كَلاَّ﴾ أي: ليس الإكرام بالغنى، والإهانة بالفقر كما تظنون؛ إنما الغنى، والفقر، والسعة، والضيق اختبارٌ وامتحانٌ من الله عز وجل.

* ﴿بَل لاَّ تُكْرِمُونَ الْيَتِيمَ﴾ أي: بل أنتم تفعلون ما هو شرٌّ من ذلك وهو أنكم لا تكرمون اليتيم على الرغم من إكرام الله لكم بل تُهينونه وتأكلون حقه.

* ﴿وَلا تَحَاضُّونَ عَلَىٰ طَعَامِ الْمِسْكِينِ﴾ أي: ولا

يحض بعضكم بعضًا على إطعام المساكين والمحتاجين بسبب بُخلكم وحبكم الشديد للدنيا.

* ﴿ وَتَأْكُلُونَ التُّرَاثَ أَكْلاً لَّمًّا ﴾ أي: وتأكلون الميراث أكلاً شديدًا ولا تسألون إن كان ذلك حلالاً أم حرامًا... وذلك لأن العرب كانوا لا يعطون الأنثى والصغير من الميراث بل كان الميراث من نصيب الرجال فقط.

* ﴿ وَتُحِبُّونَ الْمَالَ حُبًّا جَمًّا ﴾ أي: وتحبون المال حبًا شديدًا وتحرصون كل الحرص على جمع المال وعدم إنفاقه.

* ﴿ كَلاَّ إِذَا دُكَّتِ الأَرْضُ دَكًّا دَكًّا ﴾ أي: ارتدعوا أيها الغافلون فأمامكم أهوالٌ عظيمة في ذلك اليوم العصيب الذي يفرُّ فيه المرء من أخيه وأمه وأبيه وزوجته وأولاده وذلك حين تتزلزل الأرض وتتحرك

بشدة وينهدم كل ما على ظهرها.

* ﴿وَجَاءَ رَبُّكَ وَالْمَلَكُ صَفًّا صَفًّا﴾ أي: وجاء ربك - يا محمد - لفصل القضاء بين العباد، وجاءت الملائكة صفوفًا متتابعة صفًّا بعد صف.

* ﴿وَجِيءَ يَوْمَئِذٍ بِجَهَنَّمَ﴾ أي: وأُحضرت جهنم؛ ليراها المجرمون. . . . وفي الحديث: «يُؤتى بجهنم يومئذ لها سبعون ألف زمام، مع كل زمام سبعون ألف ملك يجرونها»(١).

* ﴿يَوْمَئِذٍ يَتَذَكَّرُ الْإِنْسَانُ﴾ أي: في ذلك اليوم الرهيب، والموقف العصيب، يتذكر الإنسانُ عمله، ويندم على تفريطه وعصيانه، ويريد أن يُقلع ويتوب.

* ﴿وَأَنَّى لَهُ الذِّكْرَى﴾ أي: ومن أين يكون له

---

(١) أخرجه مسلم (٢٨٤٢).

الانتفاع بالذكرى، وقد فات أوانُها، فقد انتهت الدنيا وجاءت الآخرة؟!

* ﴿يَقُولُ يَا لَيْتَنِي قَدَّمْتُ لِحَيَاتِي﴾ أي: يقول نادمًا حين لا ينفع الندم: يا ليتنى قدمت عملاً صالحًا فى حياتى الدنيا من أجل أن ينفعنى فى الدار الآخرة وهى الحياة الباقية.

* ﴿فَيَوْمَئِذٍ لَّا يُعَذِّبُ عَذَابَهُ أَحَدٌ﴾ أى: ففى ذلك اليوم العصيب ليس هناك أحدٌ أشد عذابًا من تعذيب الله لمن كفر به ولمن عصاه.

* ﴿وَلَا يُوثِقُ وَثَاقَهُ أَحَدٌ﴾ أى: ولا يقيد أحد بالسلاسل والأغلال مثل تقييد الله تعالى للكافر الجاحد. هذا فى حق الكافرين والمجرمين، أما النفس الطيبة الزكية، التى عرفت ربها وتمسكت بدينه القويم فيُنادى عليها بهذا النداء العلوى الجميل.

* ﴿يَا أَيَّتُهَا النَّفْسُ الْمُطْمَئِنَّةُ﴾ أي: يا أيتها النفس الطاهرة الزكية المطمئنة بوعد الله التي لا يلحقها اليوم خوفٌ ولا فزع.

* ﴿ارْجِعِي إِلَىٰ رَبِّكِ رَاضِيَةً مَّرْضِيَّةً﴾ أي: راضية عن الله وعماً أكرمها به من الثواب، وقد رضى الله عنها سبحانه وتعالى.

* ﴿فَادْخُلِي فِي عِبَادِي﴾ أي: فادخلى فى زُمرة عبادى الصالحين.

* ﴿وَادْخُلِي جَنَّتِي﴾ أي: وادخلى جنتى دار الأبرار الصالحين.

* * *

سورة البلد

بِسْمِ اللَّهِ الرَّحْمَٰنِ الرَّحِيمِ ﴿ لا أُقْسِمُ بِهَذَا الْبَلَدِ (١) وَأَنتَ حِلٌّ بِهَذَا
الْبَلَدِ[1] (٢) وَوَالِدٍ وَمَا وَلَدَ[2] (٣) لَقَدْ خَلَقْنَا الإِنسَانَ فِي
كَبَدٍ[3] (٤) أَيَحْسَبُ أَن لَّن يَقْدِرَ عَلَيْهِ أَحَدٌ (٥) يَقُولُ أَهْلَكْتُ
مَالاً لُّبَدًا[4] (٦) أَيَحْسَبُ أَن لَّمْ يَرَهُ أَحَدٌ (٧) أَلَمْ نَجْعَل لَّهُ عَيْنَيْنِ
(٨) وَلِسَانًا وَشَفَتَيْنِ (٩) وَهَدَيْنَاهُ النَّجْدَيْنِ[5] (١٠) فَلا اقْتَحَمَ[6]
الْعَقَبَةَ (١١) وَمَا أَدْرَاكَ مَا الْعَقَبَةُ (١٢) فَكُّ رَقَبَةٍ[7] (١٣) أَوْ إِطْعَامٌ فِي

---

(١) ﴿وَأَنتَ حِلٌّ بِهَذَا الْبَلَدِ﴾ أي: وأنت يا محمد ساكن ومقيم بمكة المكرمة.
(٢) ﴿وَوَالِدٍ وَمَا وَلَدَ﴾ أي: أقسم بآدم (عليه السلام) وذريته.
(٣) ﴿كَبَدٍ﴾: تعب ومشقة.
(٤) ﴿لُّبَدًا﴾ أي: كثيراً مجتمعاً.
(٥) ﴿النَّجْدَيْنِ﴾: طريق الخير والشر.
(٦) ﴿اقْتَحَمَ﴾ أي: دخلها بسرعة وشدة.
(٧) ﴿فَكُّ رَقَبَةٍ﴾ عتق وتخليص عبد.

يَوْمٍ ذِي مَسْغَبَةٍ [(1)] (14) يَتِيمًا ذَا مَقْرَبَةٍ [(2)] (15) أَوْ مِسْكِينًا ذَا
مَتْرَبَةٍ [(3)] (16) ثُمَّ كَانَ مِنَ الَّذِينَ آمَنُوا وَتَوَاصَوْا [(4)] بِالصَّبْرِ
وَتَوَاصَوْا بِالْمَرْحَمَةِ (17) أُولَئِكَ أَصْحَابُ الْمَيْمَنَةِ [(5)] (18) وَالَّذِينَ
كَفَرُوا بِآيَاتِنَا هُمْ أَصْحَابُ الْمَشْأَمَةِ [(6)] (19) عَلَيْهِمْ نَارٌ
مُؤْصَدَةٌ [(7)]﴾.

* ابتدأت السورة الكريمة بالقسم بالبلد الحرام، الذى هو سكن النبى عليه الصلاة والسلام، تعظيمًا لشأنه، وتكريمًا لمقامه الرفيع عند ربه، ولفتًا لأنظار الكفار إلى أن إيذاء الرسول فى البلد الأمين من أكبر

---

(1) ﴿مسغبة﴾: مجاعة شديدة.
(2) ﴿مقربة﴾: قريب له.
(3) ﴿متربة﴾: فاقة وحاجة شديدة كالمطروح فى الطريق ليس له مأوى إلا التراب.
(4) ﴿وتواصوا﴾: أوصى بعضهم بعضًا.
(5) ﴿أصحاب الميمنة﴾: أصحاب الجنة الذين يأخذون كتبهم بأيمانهم.
(6) ﴿أصحاب المشأمة﴾: أصحاب النار الذى يأخذون كتبهم بشمائلهم.
(7) ﴿مؤصدة﴾: مغلقة.

الكبائر عند الله تعالى.

* ثم تحدثت عن بعض كفار مكة، الذين اغتروا بقوتهم، فعاندوا الحق، وكذبوا رسول الله ﷺ وأنفقوا أموالهم فى المباهاة والمفاخرة، ظنًّا منهم أن إنفاق الأموال يدفع عنهم عذاب الله، وقد ردت عليهم الآيات بالحجة القاطعة والبرهان الساطع.

* ثم تناولت أهوال القيامة وشدائدها، وما يكون بين يدى الإنسان فى الآخرة من مصاعب ومتاعب وعقبات لا يستطيع أن يقطعها ويجتازها إلا بالإيمان والعمل الصالح.

* وختمت السورة الكريمة بالتفريق بين المؤمنين والكفار فى ذلك اليوم العصيب، وبينت مآل السعداء، ومآل الأشقياء، فى دار الجزاء (١).

---

(١) صفوة التفاسير (٣/ ٥٦٠).

* فتعالوا بنا لنتعايش بقلوبنا مع تفسير سورة البلد:

فضَّل الله بعض النبيين على بعض، وبعض البلدان على البعض الآخر، ومن أفضل البلاد وأحبها إلى الله: البلد الحرام لذا بدأت السورة الكريمة بقسم من الله تعالى، فأقسم بالبلد الحرام، فدلَّ ذلك القسم على عظم قدر البلد الحرام مع حُرمتها.

* ﴿لا أُقْسِمُ بِهَذَا الْبَلَدِ﴾ أي: أقسم بهذا البلد - وهي مكة - فلقد أقسم الله (جل وعلا) بمكة التي شرَّفها بالبيت العتيق - قبلة المسلمين في كل أقطار الأرض.

* ﴿وَأَنتَ حِلٌّ بِهَذَا الْبَلَدِ﴾ أي: وأنت يا محمد ساكن ومقيم في مكة المكرمة... وكأنه تعالى عظَّم مكة من جهة أن النبي ﷺ مقيم بها.

* ﴿ووالدٍ وما ولد﴾ أى: وأقسم بآدم (عليه السلام) وذريته الصالحين.

وهنا نجد أن الله (عز وجل) أقسم بآدم وبالأنبياء والصالحين من ذريته وذلك لأن الكافر وإن كان من ذريته إلا أنه ليس له حُرمة ولا مكانة حتى يُقسم به.

* ﴿لقد خلقنا الإنسان فى كبد﴾ أى: هذا هو المُقسَم عليه... أى: لقد خلقنا الإنسان فى تعب ومشقة منذ ولادته وإلى أن يفارق هذه الحياة الدنيا... والآية فيها تسلية للرسول ﷺ عما كان يعانيه من كفار مكة.

* ثم أخبر الحق (جل وعلا) عن طبيعة الإنسان الذى يجحد قدرة الخالق (جل وعلا) والذى يكذب بالبعث والنشور.. فقال تعالى:

* ﴿أيحسب أن لن يقدر عليه أحد﴾ أى: أيظن هذا

الإنسان أنه لن يقدر عليه أحد؟. . . فالله يقدر عليه وهو غالبه وقاهره.

قال المفسرون: نزلت في «أبي الأشد بن كلدة» كان شديدًا مغترًا بقوته، وكان يُبسَط له الأديم - الجلد - فيوضع تحت قدميه، ويقول: من أزالني عنه فله كذا، فيجذبه عشرة فيتقطع قطعًا ولا تزل قدماه، ومعنى الآية: أيظن هذا القوى المارد، المستضعف للمؤمنين، أنه لن يقدر على الانتقام منه أحد؟

* ﴿يَقُولُ أَهْلَكْتُ مَالًا لُّبَدًا﴾ أي: أنه يفتخر بأنه أنفق أموالاً كثيرة على المعاصي والشهوات وأنفق أموالاً كثيرة في عداوته للنبي ﷺ.

* ﴿أَيَحْسَبُ أَن لَّمْ يَرَهُ أَحَدٌ﴾ أي: أيظن أن الله تعالى لم يره حين كان ينفق، ويظن أن أعماله تخفى على رب العباد؟

ليس الأمر كما يظن، بل إن الله رقيبٌ مطلعٌ عليه سيسأله يوم القيامة ويجازيه عليه.

* ﴿أَلَمْ نَجْعَل لَّهُ عَيْنَيْنِ﴾ أى: ألم نجعل لهذا الإنسان عينيه يبصر بهما؟

* ﴿وَلِسَانًا﴾ أى: وجعلنا له لسانًا ينطق به ويعبر عما فى ضميره ويخاطب به الناس من حوله ليقضى مصالحه فى كل مكان.

* ﴿وَشَفَتَيْنِ﴾ أى: وجعلنا له شفتين يُطبقهما على فمه ليستر بهما أسنانه وليستعين بهما على الكلام والطعام وليكونا سببًا فى جمال شكله ومنظره.

* ﴿وَهَدَيْنَاهُ النَّجْدَيْنِ﴾ أى: ووضحنا له طريقى الخير والشر، والهدى والضلال من أجل أن يسلك طريق الخير ويبتعد عن طريق الشر.

* ﴿فَلَا اقْتَحَمَ الْعَقَبَةَ﴾ أى: فهلا جاهد نفسه فى

إنفاق المال والإتيان بأعمال البر ليعبر تلك العقبة الشديدة.

وهذا مثل ضربه الله تعالى لمجاهدة النفس والهوى والشيطان ليتخطى تلك العقبات فيفوز برضى الرحمن (جل وعلا).

* ﴿وَمَا أَدْرَاكَ مَا الْعَقَبَةُ﴾ أي: وما أعلمك ما اقتحام العقبة؟

ثم فسرها بقوله: ﴿فَكُّ رَقَبَةٍ﴾ أي: عتق رقبة في سبيل الله تعالى وتخليص صاحبها من الأسر والرِّق فإن من أعتق رقبة كانت فداءً له من النار.

* ﴿أَوْ إِطْعَامٌ فِي يَوْمٍ ذِي مَسْغَبَةٍ﴾ أي: أو أن يُطعم الفقير في يومٍ عصيب فيه مجاعة شديدة... وذلك لأن إخراج المال في هذا الوقت يكون شديدًا على النفس.

* ﴿يَتِيمًا ذَا مَقْرَبَةٍ﴾ أي: أطعم في ذلك اليوم يتيمًا بينه وبينه قرابة.

* ﴿أَوْ مِسْكِينًا ذَا مَتْرَبَةٍ﴾ أو المسكين البائس الفقير المطروح في الطريق الذي ليس له بيت ولا شيء يقيه من التراب فقد لصق بالتراب من شدة فقره وضُره.

* ﴿ثُمَّ كَانَ مِنَ الَّذِينَ آمَنُوا﴾ أي: أنه فعل كل هذه الطاعات والقرابات ابتغاء مرضاة الله (جل وعلا)... وكان مع ذلك مؤمنًا صادقًا في إيمانه... وذلك لأن الله (جل وعلا) لا يقبل العمل الصالح إلا من المؤمنين الموحدين.

* ﴿وَتَوَاصَوْا بِالصَّبْرِ وَتَوَاصَوْا بِالْمَرْحَمَةِ﴾ أي: وأوصى بعضهم بعضًا بالصبر على الإيمان، وطاعة الرحمن، وبالرحمة والشفقة على الضعفاء المساكين.

* ﴿أُولَٰئِكَ أَصْحَابُ الْمَيْمَنَةِ﴾ أي: هؤلاء الموصوفون

بهـذه الصفـات الجليلة، هم أصـحـاب الجنة الذين يأخذون كتبهم بأيمانهم، ويدخلون من الباب الأيمن من الجنة.

* ﴿وَالَّذِينَ كَفَرُوا بِآيَاتِنَا هُمْ أَصْحَابُ الْمَشْأَمَةِ﴾ أي: والذين جحدوا نبوة محمد ﷺ وكذبوا بالقرآن هم أهل الشـمال - أهل النار - لأنهم يأخـذون كـتبهم بشمائلهم؟

* ﴿عَلَيْهِمْ نَارٌ مُؤْصَدَةٌ﴾ أي: عليـهم نارٌ مطبقـة مغلقة، لا يدخل فيه روحٌ ولا ريحان، ولا يخرجون منها أبد الزمان.

* * *



سورة الشمس

بسم الله الرحمن الرحيم ﴿ وَالشَّمْسِ وَضُحَاهَا[١] ﴿١﴾ وَالْقَمَرِ إِذَا
تَلاهَا[٢] ﴿٢﴾ وَالنَّهَارِ إِذَا جَلاَّهَا[٣] ﴿٣﴾ وَاللَّيْلِ إِذَا يَغْشَاهَا[٤]
﴿٤﴾ وَالسَّمَاءِ وَمَا بَنَاهَا ﴿٥﴾ وَالأَرْضِ وَمَا طَحَاهَا[٥] ﴿٦﴾ وَنَفْسٍ
وَمَا سَوَّاهَا[٦] ﴿٧﴾ فَأَلْهَمَهَا[٧] فُجُورَهَا وَتَقْوَاهَا ﴿٨﴾ قَدْ أَفْلَحَ مَن
زَكَّاهَا[٨] ﴿٩﴾ وَقَدْ خَابَ مَن دَسَّاهَا[٩] ﴿١٠﴾ كَذَّبَتْ ثَمُودُ

---

(١) ﴿ضحاها﴾ : نورها الساطع.
(٢) ﴿تلاها﴾ : تبعها.
(٣) ﴿جلاها﴾ : كشفها بنوره.
(٤) ﴿يغشاها﴾ : يغطيها.
(٥) ﴿طحاها﴾ : بسطها ومدها.
(٦) ﴿سواها﴾ : خلقها في أحسن صورة.
(٧) ﴿فألهمها﴾ : عرفها.
(٨) ﴿زكاها﴾ : طهرها من المعصية وأصلحها بالطاعة.
(٩) ﴿دساها﴾ : أهلكها وحملها على معصية الله.

يطغواها[1] ﴿١١﴾ إذ انبعث[2] أشقاها[3] ﴿١٢﴾ فقال لهم رسول الله ناقة الله وسقياها ﴿١٣﴾ فكذبوه فعقروها[4] فدمدم[5] عليهم ربهم بذنبهم فسواها ﴿١٤﴾ ولا يخاف عقباها﴾ .

* ابتدأت السورة الكريمة بالقسم بسبعة أشياء من مخلوقات الله جل وعلا، فأقسم تعالى بالشمس وضوئها الساطع، وبالقمر إذا أعقبها وهو طالع، ثم بالنهار إذا جلا ظلمة الليل بضيائه، والليل إذا غطى الكائنات بظلامه، ثم بالقادر الذى أحكم بناء السماء بلا عمد، وبالأرض التى بسطها على ماء جمد، وبالنفس البشرية التى كملها الله وزينها بالفضائل والكمالات.... أقسم بهذه الأمور على فلاح

---

(١) ﴿بطغواها﴾ أي: بطغيانها وتكبرها عن الحق.
(٢) ﴿انبعث﴾ قام مسرعًا.
(٣) ﴿أشقاها﴾ يعني: أشقى القبيلة وهو قدار بن سالف.
(٤) ﴿فعقروها﴾ أي: قتلوا الناقة.
(٥) ﴿فدمدم﴾ أطبق عليهم العذاب.

الإنسان ونجاحه إذا اتقى الله، وعلى شقاوته وخسرانه إذا طغى وتمرد.

* ثم ذكر تعالى قصة ثمود قوم صالح حين كذَّبوا رسولهم، وطغوا وبغوا فى الأرض، وعقروا الناقة التى خلقها الله تعالى من صخر أصم معجزة لرسوله صالح عليه السلام، وما كان من أمر هلاكهم الفظيع الذى بقى عبرةً لمن يعتبر، وهو نموذج لكل كافر فاجر مكذب لرسل الله.

* وقد ختمت السورة الكريمة بأنه تعالى لا يخاف عاقبة إهلاكهم وتدميرهم، لأنه ﴿لَا يُسْأَلُ عَمَّا يَفْعَلُ وَهُمْ يُسْأَلُونَ﴾[1].

* **فتعالوا بنا لنتعايش بقلوبنا مع تفسير سورة الشمس:**

* ﴿وَالشَّمْسِ وَضُحَاهَا﴾ أى: أقسم بالشمس وضوئها الساطع إذا أنار الكون وبدَّد الظلام.

(١) صفوة التفاسير (٣/ ٥٦٤، ٥٦٥).

* ﴿ وَالْقَمَرِ إِذَا تَلاهَا ﴾ أي: وأقسم بالقمر إذا سطع مُضيئًا، وتبع الشمس طالعًا بعد غروبها.

* ﴿ وَالنَّهَارِ إِذَا جَلاَّهَا ﴾ أي: وأقسم بالنهار إذا جلا ما على الأرض وأوضحه، وكشفها بنوره.

* ﴿ وَاللَّيْلِ إِذَا يَغْشَاهَا ﴾ أي: وأقسم بالليل إذا غطى الكون بظلامه.

* ﴿ وَالسَّمَاءِ وَمَا بَنَاهَا ﴾ أي: وأقسم بالقادر العظيم الذي بنى السماء، وأحكم بناءها بلا عمد.

* ﴿ وَالأَرْضِ وَمَا طَحَاهَا ﴾ أي: وأقسمُ بالأرض ومن بسطها من كل جانب، وجعلها ممدة ممهدة، صالحة لسكنى الإنسان والحيوان.

* ﴿ وَنَفْسٍ وَمَا سَوَّاهَا ﴾ أي: وأقسمُ بالنفس البشرية، وبالذي أنشأها وأبدعها.

* ﴿ فَأَلْهَمَهَا فُجُورَهَا وَتَقْوَاهَا ﴾ أي: وعرَّفها طريق

الخير وطريق الشر، وما تميز به بين الهداية والضلال.

* ﴿قَدْ أَفْلَحَ مَن زَكَّاهَا﴾ هذا هو جواب القسم أي: لقد فاز وأفلح من زكّى نفسه بطاعة الله، وطهّرها من دنس المعاصي والآثام.

* ﴿وَقَدْ خَابَ مَن دَسَّاهَا﴾ أي: وقد خسر وخاب من حقّر نفسه بالكفر والمعاصي والسيئات.

* ثم ضرب الله تعالى مثلاً لمن طغى وبغى ولم يطهر نفسه من دنس الكفر والعصيان.. فذكر (ثمود) قوم صالح عليه السلام فقال:

* ﴿كَذَّبَتْ ثَمُودُ بِطَغْوَاهَا﴾ أي: كذبت ثمود بنبيها صالحًا عليه السلام بسبب ما كانوا عليه من الكبر والطغيان.

* ﴿إِذِ انبَعَثَ أَشْقَاهَا﴾ أي: حين أسرع وانطلق

أشقى القوم - وهو قدار بن سالف - ليذبح الناقة ظلمًا وعدوانًا وعصيانًا.

* ﴿فَقَالَ لَهُمْ رَسُولُ اللَّهِ﴾ أي: فقال لهم رسول الله صالح عليه السلام.

* ﴿نَاقَةَ اللَّهِ وَسُقْيَاهَا﴾ أي: احذروا ناقة الله أن تمسوها بسوء، واحذروا أيضًا أن تمنعوها من سُقياها، أي: شربها ونصيبها من الماء.. وكانت هذه الناقة هي المعجزة التي أتى بها نبي الله صالح عليه السلام لإثبات نبوته، خرجت من صخرة بإذن الله، وكانت تسقى القبيلة كلها من لبنها.

* ﴿فَكَذَّبُوهُ﴾ يعني: كذبوا صالحًا عليه السلام في قوله لهم: لا تمسوها بسوء فيأخذكم عذاب أليم.

* ﴿فَعَقَرُوهَا﴾ أي: قتلوها.

* ﴿فَدَمْدَمَ عَلَيْهِمْ رَبُّهُم بِذَنبِهِمْ فَسَوَّاهَا﴾ أي: فأهلكهم

اللهُ، ودمَّرهم عن آخرهم بسبب إجرامهم وطغيانهم.

والمعنى: أطبق عليهم العذاب طبقًا فلم ينفلت منهم أحدٌ.

* ﴿ وَلَا يَخَافُ عُقْبَاهَا ﴾ أي: ولا يخاف تعالى عاقبة إهلاكهم وتدميرهم، وكيف يخاف من هو قاهر لا يخرج عن قهره وتصرفه مخلوق.

* * *

سورة الليل

بِسۡمِ ٱللَّهِ ٱلرَّحۡمَٰنِ ٱلرَّحِيمِ ﴿ وَاللَّيْلِ إِذَا يَغْشَىٰ (١) ۝١ وَالنَّهَارِ إِذَا
تَجَلَّىٰ (٢) ۝٢ وَمَا خَلَقَ الذَّكَرَ وَالْأُنثَىٰ ۝٣ إِنَّ سَعْيَكُمْ لَشَتَّىٰ (٣)
۝٤ فَأَمَّا مَنْ أَعْطَىٰ وَاتَّقَىٰ ۝٥ وَصَدَّقَ بِالْحُسْنَىٰ (٤) ۝٦
فَسَنُيَسِّرُهُ (٥) لِلْيُسْرَىٰ (٦) ۝٧ وَأَمَّا مَنْ بَخِلَ وَاسْتَغْنَىٰ ۝٨ وَكَذَّبَ
بِالْحُسْنَىٰ ۝٩ فَسَنُيَسِّرُهُ لِلْعُسْرَىٰ (٧) ۝١٠ وَمَا يُغْنِي عَنْهُ مَالُهُ إِذَا
تَرَدَّىٰ (٨) ۝١١ إِنَّ عَلَيْنَا لَلْهُدَىٰ ۝١٢ وَإِنَّ لَنَا لَلْآخِرَةَ وَالْأُولَىٰ ۝١٣

---

(١) ﴿يَغْشَىٰ﴾ : يعم ظلامه.
(٢) ﴿تَجَلَّىٰ﴾ : أضاء وأنار.
(٣) ﴿إِنَّ سَعْيَكُمْ لَشَتَّىٰ﴾ أي: أعمالكم مختلفة.
(٤) ﴿بِالْحُسْنَىٰ﴾ : الجنة.
(٥) ﴿فَسَنُيَسِّرُهُ﴾ أي: سنوفقه ونهيئه.
(٦) ﴿لِلْيُسْرَىٰ﴾ : لعمل الخير.
(٧) ﴿لِلْعُسْرَىٰ﴾ : لطريق الشر المؤدي للنار.
(٨) ﴿تَرَدَّىٰ﴾ : هلك ومات.

فَأَنذَرْتُكُمْ نَارًا تَلَظَّىٰ(١) ﴿١٤﴾ لا يَصْلاهَا(٢) إِلاَّ الأَشْقَى ﴿١٥﴾ الَّذِي
كَذَّبَ وَتَوَلَّىٰ ﴿١٦﴾ وَسَيُجَنَّبُهَا(٣) الأَتْقَى ﴿١٧﴾ الَّذِي يُؤْتِي مَالَهُ
يَتَزَكَّىٰ ﴿١٨﴾ وَمَا لأَحَدٍ عِندَهُ مِن نِّعْمَةٍ تُجْزَىٰ(٤) ﴿١٩﴾ إِلاَّ ابْتِغَاءَ وَجْهِ
رَبِّهِ الأَعْلَىٰ ﴿٢٠﴾ وَلَسَوْفَ يَرْضَىٰ ﴾.

* ابتدأت السورة الكريمة بالقسم بالليل إذا غشى الخليقة بظلامه، وبالنهار إذا أنار الوجود بإشراقه وضيائه، وبالخالق العظيم الذى أوجد النوعين الذكر والأنثى، أقسم على أن علم الخلائق مختلف وطريقهم متباين ﴿ وَاللَّيْلِ إِذَا يَغْشَىٰ ﴿١﴾ وَالنَّهَارِ إِذَا تَجَلَّىٰ ﴿٢﴾ وَمَا خَلَقَ الذَّكَرَ وَالأُنثَىٰ ﴿٣﴾ إِنَّ سَعْيَكُمْ لَشَتَّىٰ ﴾.

*ثم وضحت سبيل السعادة، وسبيل الشقاء، ورسمت الخط البيانى لطالب النجاة، وبيّنت أوصاف

---

(١) ﴿ تَلَظَّىٰ ﴾ تتهلب وتتوقد.

(٢) ﴿ يَصْلاهَا ﴾ يدخلها ويقاسى حرها.

(٣) ﴿ وَسَيُجَنَّبُهَا ﴾ يُبعَد عنها.

(٤) ﴿ تُجْزَىٰ ﴾ تُكافأ.

الأبرار والفجار، وأهل الجنة وأهل النار ﴿فَأَمَّا مَنْ أَعْطَىٰ وَاتَّقَىٰ (٥) وَصَدَّقَ بِالْحُسْنَىٰ (٦) فَسَنُيَسِّرُهُ لِلْيُسْرَىٰ (٧) وَأَمَّا مَن بَخِلَ وَاسْتَغْنَىٰ (٨) وَكَذَّبَ بِالْحُسْنَىٰ (٩) فَسَنُيَسِّرُهُ لِلْعُسْرَىٰ﴾.

* ثم نبهت إلى اغترار بعض الناس بأموالهم التى جمعوها، وثرواتهم التى كدسوها، وهى لا تنفعهم فى القيامة شيئًا، وذكرتهم بحكمة الله فى توضيحه لعباده طريق الهداية وطريق الضلالة ﴿وَمَا يُغْنِي عَنْهُ مَالُهُ إِذَا تَرَدَّىٰ (١١) إِنَّ عَلَيْنَا لَلْهُدَىٰ (١٢) وَإِنَّ لَنَا لَلْآخِرَةَ وَالْأُولَىٰ﴾.

* ثم حذَّرت أهل مكة من عذاب الله وانتقامه، ممن كذب بآياته ورسوله، وأنذرهم من نار حامية تتوهج من شدة حرها، لا يدخلها ولا يذوق سعيرها إلا الكافر الشقى، المعرض عن هداية الله ﴿فَأَنذَرْتُكُمْ نَارًا تَلَظَّىٰ (١٤) لَا يَصْلَاهَا إِلَّا الْأَشْقَى (١٥) الَّذِي كَذَّبَ وَتَوَلَّىٰ﴾.

* وختمت السورة بذكر نموذج للمؤمن الصالح، الذى ينفق ماله فى وجوه الخير، ليزكى نفسه ويصونها من عذاب الله، وضربت المثل بأبى بكر الصديق رضي الله عنه حين اشترى بلالاً وأعتقه فى سبيل الله ﴿ وَسَيُجَنَّبُهَا الأَتْقَى (١٧) الَّذِى يُؤْتِى مَالَهُ يَتَزَكَّىٰ (١٨) وَمَا لأَحَدٍ عِندَهُ مِن نِّعْمَةٍ تُجْزَىٰ (١٩) إِلاَّ ابْتِغَاءَ وَجْهِ رَبِّهِ الأَعْلَىٰ (٢٠) وَلَسَوْفَ يَرْضَىٰ ﴾ (١).

*** فتعالوا بنا لنتعايش بقلوبنا مع تفسير سورة الليل:**

* ﴿ وَاللَّيْلِ إِذَا يَغْشَىٰ ﴾ أى: أقسم بالليل إذا غطى الكون كله بظلمته.

* ﴿ وَالنَّهَارِ إِذَا تَجَلَّىٰ ﴾ أى: وأقسم بالنهار إذا انكشف وتجلى وأضاء العالم والكون كله.

أقسم تعالى بالليل لأنه سكنٌ لكافة الخلق، يأوى

---

(١) صفوة التفاسير (٣/ ٥٦٨).

فيه الإنسان والحيوان إلى مأواه، ويسكن عن الاضطراب والحركة، ثم أقسم بالنهار لأن فيه حركة الخلق وسعيهم إلى اكتساب الرزق . . .، والحكمة فى هذا القسم ما فى تعاقب الليل والنهار من مصالح لا تُحصى فإنه لو كان العمر كله ليلاً لتعذر المعاش، ولو كان كله نهارًا لما سكن الإنسان إلى الراحة، ولاختلَّت مصالح البشر.

* ﴿ وَمَا خَلَقَ الذَّكَرَ وَالْأُنثَىٰ ﴾ أى: وأقسم بالخالق العظيم الذى خلق النوعين: الذكر والأنثى . . فهنا يقسم الخالق (جل وعلا) بنفسه.

* ﴿ إِنَّ سَعْيَكُمْ لَشَتَّىٰ ﴾ هذا هو جواب القسم.

والمعنى: إن عملكم مختلف . . فمنكم مؤمن ومنكم كافر ومنكم مطيع ومنكم عاصٍ ومنكم تقى ومنكم شقى.

* ﴿فَأَمَّا مَنْ أَعْطَىٰ وَاتَّقَىٰ﴾ أى: فأما من أعطى من ماله وأنفق ابتغاء مرضاة الله ولم يبخل على الفقراء واليتامى والمساكين .. وهو فى نفس الوقت يتقى ربه فيكف عن محارم الله التى نهى الله عنها.

* ﴿وَصَدَّقَ بِالْحُسْنَىٰ﴾ أى: وصدق بالجنة التى أعدها الله لعباده الصالحين.

* ﴿فَسَنُيَسِّرُهُ لِلْيُسْرَىٰ﴾ أى: سنُسهِّل له عمل الخيرات ونعينه على الخصلة المؤدية لليسر وهى فعل الطاعات وترك المحرمات.

* ﴿وَأَمَّا مَن بَخِلَ وَاسْتَغْنَىٰ﴾ أى: وأما من بخل بماله ولم ينفقه فى أوجه الخير واستغنى عن ربه (جل وعلا) وعن عبادته.

* ﴿وَكَذَّبَ بِالْحُسْنَىٰ﴾ أى: وكذب بالجنة ونعيمها الذى لا يفنى أبدًا.

* ﴿فَسَنُيَسِّرُهُ لِلْعُسْرَىٰ﴾ أي: فسنهيئه للخصلة المؤدية للعسر، وهي الحياة السيئة في الدنيا والآخرة وهي طريق الشر.

قال المفسرون: سمَّى طريقة الخير يُسرى؛ لأن عاقبتها اليسر وهي دخول الجنة دار النعيم. وسمَّى طريقة الشر عُسرى؛ لأن عاقبتها العسر وهو دخول الجحيم.

* ﴿وَمَا يُغْنِي عَنْهُ مَالُهُ إِذَا تَرَدَّىٰ﴾ أي: ما يغني عنه ماله إذا سقط وتردَّى في نار جهنم .. هل ينفعه ماله في ذلك الوقت؟

* ﴿إِنَّ عَلَيْنَا لَلْهُدَىٰ﴾ أي: إن على الله (جل وعلا) أن يبين لعباده طريق الهدى من طريق الضلالة، وطريق الرشد من طريق الغي.

* ﴿وَإِنَّ لَنَا لَلْآخِرَةَ وَالْأُولَىٰ﴾ أي: إن لنا ما في الدنيا

وما فى الآخرة فمن طلبهما من غير الله فقد أخطأ الطريق.

* ﴿فَأَنذَرْتُكُمْ نَارًا تَلَظَّىٰ﴾ أى: فأنذرتكم يا أهل مكة نارًا تتوقد وتتوهج من شدة حرارتها ولهيبها.

* ﴿لَا يَصْلَاهَا إِلَّا الْأَشْقَى﴾ أى: لا يدخلها ويحترق بلهيبها إلا الأشقياء ثم فسر ذلك بقوله:

* ﴿الَّذِي كَذَّبَ وَتَوَلَّىٰ﴾ أى: الذى كذب بآيات ربه وأعرض عنها ولم يصدق بها بل كذَّب الرسل وأعرض عن الإيمان والتوحيد.

* ﴿وَسَيُجَنَّبُهَا الْأَتْقَى﴾ أى: وسيبعد عن النار وعذابها التقى النقى الذى يجتنب الشرك والمعاصى.. ثم فسَّر ذلك بقوله:

* ﴿الَّذِي يُؤْتِي مَالَهُ يَتَزَكَّىٰ﴾ أى: الذى ينفق ماله على الفقراء واليتامى والمساكين ابتغاء مرضاة الله

لِيُطهر قلبه ويُزكِّى نفسه.

* ﴿وَمَا لأَحَدٍ عِندَهُ مِن نِّعْمَةٍ تُجْزَىٰ﴾ أى: وليس لأحدٍ عنده نعمة حتى يكافئه عليها، وإنما ينفق لوجه الله، . . . قال المفسرون: نزلت الآيات فى حق أبى بكر الصديق حين اشترى بلالاً وأعتقه فى سبيل الله فقال المشركون: إنما فعل ذلك ليدٍ كانت له عنده فنزلت: ﴿إِلاَّ ابْتِغَاءَ وَجْهِ رَبِّهِ الأَعْلَىٰ﴾ أى: ليس له غاية إلا مرضاة الله ﴿وَلَسَوْفَ يَرْضَىٰ﴾ أى: ولسوف يعطيه الله فى الآخرة ما يرضيه وهو وعدٌ كريم من ربٍ رحيم.

* * *

سورة الضحى

بِسْمِ اللَّهِ الرَّحْمَنِ الرَّحِيمِ ﴿ وَالضُّحَى(1) ۝١ وَاللَّيْلِ إِذَا سَجَى(2)
۝٢ مَا وَدَّعَكَ(3) رَبُّكَ وَمَا قَلَى(4) ۝٣ وَلَلْآخِرَةُ خَيْرٌ لَكَ مِنَ
الْأُولَى ۝٤ وَلَسَوْفَ يُعْطِيكَ رَبُّكَ فَتَرْضَى ۝٥ أَلَمْ يَجِدْكَ يَتِيمًا
فَآوَى(5) ۝٦ وَوَجَدَكَ ضَالًّا فَهَدَى ۝٧ وَوَجَدَكَ عَائِلًا(6) فَأَغْنَى
۝٨ فَأَمَّا الْيَتِيمَ فَلَا تَقْهَرْ(7) ۝٩ وَأَمَّا السَّائِلَ فَلَا تَنْهَرْ(8) ۝١٠
وَأَمَّا بِنِعْمَةِ رَبِّكَ فَحَدِّثْ ﴾.

---

(1) ﴿ والضحى ﴾ صدر النهار حتى ترتفع الشمس.

(2) ﴿ سجى ﴾ الليل إذا اشتد ظلامه وغطى الكون.

(3) ﴿ ودّعك ﴾ تركك.

(4) ﴿ قلى ﴾ أي: وما أبغضك.

(5) ﴿ فآوى ﴾ أي: جعل لك مأوى تأوي إليه وضمّك إلى من يكفلك.

(6) ﴿ عائلاً ﴾ فقيراً.

(7) ﴿ فلا تقهر ﴾ فلا تسيء معاملته وتحتقره وتظلمه.

(8) ﴿ فلا تنهر ﴾ فلا تزجر وترد بغلظة.

* سورة الضحى مكية، وهى تتناول شخصية النبى الأعظم ﷺ، وما حباه الله به من الفضل والإنعام فى الدنيا والآخرة، ليشكر الله على تلك النعم الجليلة.

* ابتدأت السورة الكريمة بالقسم على جلالة قدر الرسول ﷺ وأن ربه لم يهجره ولم يبغضه كما زعم المشركون، بل هو عند الله رفيع القدر، عظيم الشأن والمكانة ﴿وَالضُّحَىٰ ۝١ وَاللَّيْلِ إِذَا سَجَىٰ ۝٢ مَا وَدَّعَكَ رَبُّكَ وَمَا قَلَىٰ ۝٣ وَلَلْآخِرَةُ خَيْرٌ لَّكَ مِنَ الْأُولَىٰ﴾.

* ثم بشرته بالعطاء الجزيل فى الآخرة، وما أعده الله تعالى لرسوله من أنواع الكرامات، ومنها الشفاعة العظمى ﴿وَلَسَوْفَ يُعْطِيكَ رَبُّكَ فَتَرْضَىٰ﴾.

* ثم ذكَّرته بما كان عليه فى الصغر، من اليُتم، والفقر، والفاقة، والضياع، فآواه ربه وأغناه،

وأحاطه بكلاءه وعنايته ﴿أَلَمْ يَجِدْكَ يَتِيمًا فَآوَى (٦) وَوَجَدَكَ ضَالًّا فَهَدَى (٧) وَوَجَدَكَ عَائِلًا فَأَغْنَى﴾.

* وختمت السورة بتوصيته ﷺ بوصايا ثلاث، مقابل تلك النعم الثلاث، ليعطف على اليتيم، ويرحم المحتاج، ويمسح دمعة البائس المسكين ﴿فَأَمَّا الْيَتِيمَ فَلَا تَقْهَرْ (٩) وَأَمَّا السَّائِلَ فَلَا تَنْهَرْ (١٠) وَأَمَّا بِنِعْمَةِ رَبِّكَ فَحَدِّثْ﴾ وهو ختمٌ يتناسق فيه جمال اللفظ مع روعة البيان(١).

• سبب النزول:

ولقد كان لنزول هذه السورة الشيء الكثير من تثبيت قلب النبي ﷺ وأصحابه وفي ذلك يروي جندب بن سفيان رضي الله عنه فيقول:

اشتكى(٢) رسول الله ﷺ فلم يقم ليلتين أو

(١) صفوة التفاسير (٣/ ٥٧١، ٥٧٢).
(٢) اشتكى: مرض.

ثلاثًا، فجاءت امرأة من قريش فقالت: يا محمد، إني لأرجو[1] أن يكون شيطانك قد تركك، لم أره قربك[2] منذ ليلتين أو ثلاث، فأنزل الله عز وجل[3]: ﴿وَالضُّحَىٰ ۝١ وَاللَّيْلِ إِذَا سَجَىٰ ۝٢ مَا وَدَّعَكَ رَبُّكَ وَمَا قَلَىٰ﴾.

* فتعالوا بنا لنتعايش بقلوبنا مع تفسير سورة الضحى:

* ﴿وَالضُّحَىٰ ۝١ وَاللَّيْلِ إِذَا سَجَىٰ﴾ أقسم الله (جل وعلا) بوقت الضحى وما جعل فيه من الضياء.. وأقسم بالليل إذا اشتد ظلامه وغطى الكون كله.

* ﴿مَا وَدَّعَكَ رَبُّكَ وَمَا قَلَىٰ﴾ هذا هو جواب القسم.

أي: ما تركك ربك يا محمد منذ اختارك ولا

---

(١) أي: أظن أن الذي كان يأتيك بالوحي هجرك.

(٢) أي: دنا منك.

(٣) حديث صحيح: أخرجه البخاري (١١٢٤)، (١١٢٥)، ومسلم (١٧٩٧).

أبغضك منذ أحبك .. وهذا ردٌّ على المشركين الذين قالوا: هجره ربه.

* ﴿ وَلَلْآخِرَةُ خَيْرٌ لَّكَ مِنَ الْأُولَىٰ ﴾ أى: وللدار الآخرة خير لك من هذه الحياة الدنيا.. لأن الدنيا فانية أما الآخرة فهى الباقية.

* ﴿ وَلَسَوْفَ يُعْطِيكَ رَبُّكَ فَتَرْضَىٰ ﴾ أى: سوف يعطيك ربك فى الدنيا والآخرة كل ما تطلب حتى ترضى.. وهذا الذى حدث.

فقد أعطاه الله تعالى فى الدنيا النصر والظفر على الأعداء وكثرة الأتباع والفتوح، وأعلى دينه، وجعل أمته خير الأمم، وأعطاه فى الآخرة الشفاعة العامة، والمقام المحمود، وغير ذلك من خيرى الدنيا والآخرة.. ثم لما وعده بهذا الوعد الجليل، ذكّره بنعمه عليه فى حال صغره ليشكر ربه فقال:

* ﴿أَلَمْ يَجِدْكَ يَتِيمًا فَآوَىٰ﴾ أى: ألم تكن يا محمد يتيمًا فى صغرك؛ فآواك الله إلى جدك عبد المطلب، وبعد وفاته آواك إلى عمك أبى طالب وضمك إليه؟

* ﴿وَوَجَدَكَ ضَالًّا فَهَدَىٰ﴾ أى: وجدك تائهًا عن معرفة الشريعة لا تدرى ما الكتاب ولا الإيمان فعلَّمك ما لم تكن تعلم وهداك إلى معرفة الشريعة والدين الحق.

* ﴿وَوَجَدَكَ عَائِلًا فَأَغْنَىٰ﴾ أى: ووجدك فقيرًا محتاجًا فأغناك عن الخلق، بما يسر لك من أسباب التجارة .. ولما عدد عليه هذه النعم الثلاث، وصَّاه بثلاث وصايا مقابلها فقال:

* ﴿فَأَمَّا الْيَتِيمَ فَلَا تَقْهَرْ﴾ أى: فأما اليتيم فلا تحتقره ولا تؤذه ولا تضره ولا تُهنه.

* ﴿وَأَمَّا السَّائِلَ فَلَا تَنْهَرْ﴾ أى: وأما السائل

المستجدى الذى يطلب مساعدة عن حاجة وفقر، فلا تزجره إذا سألك، ولا تغلظ له القول بل أعطه، أو رُدَّه ردًا جميلاً.

* ﴿وَأَمَّا بِنِعْمَةِ رَبِّكَ فَحَدِّثْ﴾ أى: حدِّث الناس بفضل الله وإنعامه عليك؛ فإن التحدث بالنعمة شكرٌ لها.

* يقول ابن عباس رضي الله عنهما؛ قال رسول الله صلى الله عليه وسلم: «سألت ربى عز وجل مسألة وودت أنى لم أكن سألته إياها، قلت: يا رب، إنه قد كان قبلى رسل، منهم من كان يحيى الموتى، ومنهم من سخرت له الريح. فقال تبارك وتعالى: ألم أجدك ضالاً فهديتك، وعائلاً فأغنيتك؟

قلت: بلى يا رب.

قال: ألم أجدك يتيمًا فآويتك؟ قلت: بلى يا رب.

فوددت أنى لم أكن سألته»[1].

(١) حديث حسنٌ: أخرجه الحاكم (٢/٥٢٦)، وصححه وأقره الذهبى والطبرانى (١٢٢٨٩)، والبيهقى (٧/٦٢، ٦٣) فى الدلائل.

سورة الشرح

بِسْمِ اللَّهِ الرَّحْمَنِ الرَّحِيمِ ﴿أَلَمْ نَشْرَحْ(١) لَكَ صَدْرَكَ ۝١
وَوَضَعْنَا(٢) عَنكَ وِزْرَكَ(٣) ۝٢ الَّذِي أَنقَضَ(٤) ظَهْرَكَ ۝٣
وَرَفَعْنَا لَكَ ذِكْرَكَ ۝٤ فَإِنَّ مَعَ الْعُسْرِ(٥) يُسْرًا ۝٥ إِنَّ مَعَ الْعُسْرِ
يُسْرًا ۝٦ فَإِذَا فَرَغْتَ(٦) فَانصَبْ(٧) ۝٧ وَإِلَىٰ رَبِّكَ
فَارْغَب(٨)﴾.

*سورة الانشراح مكية، وهي تتحدث عن مكانة

---

(١) ﴿نشرح﴾: نوسع ونلين.
(٢) ﴿وَضعنا﴾: خففنا.
(٣) ﴿وِزْرَك﴾: حملك أو ذنبك.
(٤) ﴿أنقض﴾: أثقله حتى سُمع له نقيض أو صوت.
(٥) ﴿العُسْر﴾: الشدة.
(٦) ﴿فرغت﴾: انتهيت.
(٧) ﴿فانصَبْ﴾ أي: اجتهد وأتعب بدنك في طاعة الله.
(٨) ﴿فارْغَبْ﴾ أي: فارغب إليه راجيًا ثوابه.

الرسول الجليلة، ومقامه الرفيع عند الله تعالى، وقد تناولت الحديث عن نعم الله العديدة على عبده ورسوله محمد ﷺ، وذلك بشرح صدره بالإيمان، وتنوير قلبه بالحكمة والعرفان، وتطهيره من الذنوب والأوزار، وكل ذلك بقصد التسلية لرسول الله عليه السلام عما يلقاه من أذى الفجار، وتطييب خاطره الشريف بما منحه الله من الأنوار ﴿أَلَمْ نَشْرَحْ لَكَ صَدْرَكَ (١) وَوَضَعْنَا عَنكَ وِزْرَكَ (٢) الَّذِي أَنقَضَ ظَهْرَكَ﴾.

* ثم تحدثت عن إعلاء منزلة الرسول، ورفع مقامه في الدنيا والآخرة، وقرن اسمه ﷺ باسم الله تعالى: ﴿وَرَفَعْنَا لَكَ ذِكْرَكَ﴾.

* وتناولت السورة دعوة الرسول ﷺ وهو بمكة يقاسي مع المؤمنين الشدائد والأهوال من الكفرة

المكذبين، فآنسه بقرب الفرج وقرب النصر على الأعداء ﴿فَإِنَّ مَعَ الْعُسْرِ يُسْرًا ۝ إِنَّ مَعَ الْعُسْرِ يُسْرًا﴾.

* وختمت بالتذكير للمصطفى ﷺ بواجب التفرغ لعبادة الله، بعد انتهائه من تبليغ الرسالة شكرًا لله على ما أولاه من النعم الجليلة ﴿فَإِذَا فَرَغْتَ فَانصَبْ ۝ وَإِلَىٰ رَبِّكَ فَارْغَب﴾[1].

* فتعالوا بنا لنتعايش بقلوبنا مع تفسير سورة الشرح:

* ﴿أَلَمْ نَشْرَحْ لَكَ صَدْرَكَ﴾ أي: قد شرحنا لك صدرك بالهدى والإيمان، ونور القرآن، أي: نورناه وجعلناه فسيحًا، رحيبًا، واسعًا، فلم يكن ضيقًا حرجًا.

* ﴿وَوَضَعْنَا عَنكَ وِزْرَكَ﴾ أي: خففنا عنك حملك من أعباء الرسالة والدعوة، أو قد غفرنا لك ما تقدم

(١) صفوة التفاسير (٣/ ٥٧٤، ٥٧٥).

من ذنبك.

* ﴿الَّذِي أَنقَضَ ظَهْرَكَ﴾ أي: الذى أثقل وأوهن ظهرك، وليس المراد الذنوب والمعاصى، فإن الرسل معصومون من المعاصى والذنوب.

* ﴿وَرَفَعْنَا لَكَ ذِكْرَكَ﴾ أي: رفعنا شأنك، وأعلينا مقامك فى الدنيا والآخرة، وجعلنا اسمك مقرونًا باسم الله.

قال ابن عباس: يقول له: لا ذُكرتُ إلا ذُكرتَ معى فى الأذان، والإقامة، والتشهد، ويوم الجمعة على المنابر، ويوم الفطر، ويوم الأضحى، وأيام التشريق، ويوم عرفة، وعند الجمار، وعلى الصفا والمروة، وفى خطبة النكاح، وفى مشارق الأرض ومغاربها، ولو أن رجلاً عَبَدَ الله جل ثناؤه، وصدق بالجنة والنار وكل شىء، ولم يشهد أن محمدًا رسول

الله ﷺ، لم ينتفع بشيء وكان كافرًا.

* ﴿فَإِنَّ مَعَ الْعُسْرِ يُسْرًا﴾ أي: بعد الضيق يأتي الفرج، وبعد الشدة يكون المخرج، وكأن الله تعالى يقول: إن الذي أنعم عليك بهذه النعم الجليلة، سينصرك عليهم، ويبدل لك هذا العسر بيسرٍ قريب.

* ﴿إِنَّ مَعَ الْعُسْرِ يُسْرًا﴾ في هذه الآيات بشارة للنبي ﷺ أنه كلما وجد عسرًا وصعوبة؛ فإن اليسر يقارنه ويصاحبه.

* ﴿فَإِذَا فَرَغْتَ فَانصَبْ﴾ أي: إذا تفرغت من أشغالك، ولم يبق في قلبك ما يعوقه؛ فاجتهد في العبادة والدعاء.

* ﴿وَإِلَىٰ رَبِّكَ فَارْغَبْ﴾ أي: اجعل همَّك ورغبتك ونيتك إلى ربك سبحانه وتعالى(١).

---

(١) صفوة التفاسير (٣/ ٥٧٤، ٥٧٥) بتصرف.

سورة التين

بسم الله الرحمن الرحيم ﴿ والتين والزيتون (١) وطور سينين (١)
(٢) وهذا البلد الأمين (٢) (٣) لقد خلقنا الإنسان في أحسن
تقويم (٣) (٤) ثم رددناه أسفل سافلين (٤) (٥) إلا الذين آمنوا
وعملوا الصالحات فلهم أجر غير ممنون (٥) (٦) فما يكذبك
بعد بالدين (٧) أليس الله بأحكم الحاكمين (٦) ﴾ (٨).

* ابتدأت السورة بالقسم بالبقاع المقدسة والأماكن المشرفة، التي خصها الله تعالى بإنزال الوحي فيها

---

(١) ﴿ وطور سينين ﴾ يعني: الجبل الذي كلم الله عليه موسى ﷺ وهذه إشارة إلى عهد موسى.
(٢) ﴿ البلد الأمين ﴾ يعني: مكة المكرمة، وسمى بالأمين؛ لأنه يأمن الناس فيه.
(٣) ﴿ أحسن تقويم ﴾ يعني: أعدل قامة، وأحسن صورة.
(٤) ﴿ أسفل سافلين ﴾ أي: إلى النار؛ لأن بعضها أسفل من بعض.
(٥) ﴿ غير ممنون ﴾ أي: غير منقوص: أو غير ممنون به عليك.
(٦) ﴿ بأحكم الحاكمين ﴾ أي: هو أقضى القاضين، وأعدل العادلين.

على أنبيائه ورسله وهى «بيت المقدس» و«جبل الطور» و«مكة المكرمة» على أن الله تعالى كرم الإنسان، فخلقه فى أجمل صورة، وأبدع شكله، وإذا لم يشكر نعمة ربه فسيُرد إلى أسفل دركات الجحيم: ﴿وَالتِّينِ وَالزَّيْتُونِ ① وَطُورِ سِينِينَ ② وَهَذَا الْبَلَدِ الأَمِينِ﴾.

* ووبخت الكافر على إنكاره للبعث والنشور، بعد تلك الدلائل الباهرة التى تدل على قدرة رب العالمين، فى خلقه للإنسان فى أحسن شكل، وأجمل صورة: ﴿لَقَدْ خَلَقْنَا الإِنسَانَ فِي أَحْسَنِ تَقْوِيمٍ﴾.

* وختمت ببيان عدل الله بإثابة المؤمنين، وعقاب الكافرين: ﴿فَمَا يُكَذِّبُكَ بَعْدُ بِالدِّينِ ⑦ أَلَيْسَ اللَّهُ بِأَحْكَمِ الْحَاكِمِينَ﴾؟ وفيها تقرير للجزاء، وإثبات للمعاد[1].

* **فتعالوا بنا لنتعايش بقلوبنا مع تفسير سورة التين:**

﴿وَالتِّينِ وَالزَّيْتُونِ﴾ أى: أقسم بالتين والزيتون

(١) صفوة التفاسير (٣/ ٥٧٧).

لبركتهما وعظيم منفعتهما.

والمقصود هنا: هو التين الذى نأكله والزيتون الذى نعصر منه الزيت.

* ﴿وَطُورِ سِينِينَ﴾ أى: وأقسم بجبل طور سيناء الذى كلم عليه موسى (عليه السلام).

* ﴿وَهَذَا الْبَلَدِ الأَمِينِ﴾ أى: وأقسم بالبلد الأمين مكة المكرمة التى من دخلها فإنه يأمن على نفسه وماله.

* ﴿لَقَدْ خَلَقْنَا الإِنسَانَ فِي أَحْسَنِ تَقْوِيمٍ﴾ هذا هو جواب القسم .. أى: لقد خلقنا الإنسان فى أحسن صورة وأعدل خلق متصفًا بأجمل وأكمل الصفات، من حسن الصورة، وانتصاب القامة، وتناسب الأعضاء، مزينًا بالعلم والفهم، والعقل والتمييز، والنطق والأدب.

* ﴿ثُمَّ رَدَدْنَاهُ أَسْفَلَ سَافِلِينَ﴾ أى: ثم أنزلنا درجته إلى أسفل سافلين؛ لعدم قيامه بموجب ما خلقناه له،

حيث لم يشكر نعمة خَلْقِنا له فى أحسن صورة، ولم يستعمل ما خصصناه به من المزايا فى طاعتنا؛ فلذلك سنرده إلى أسفل سافلين، وهى جهنم.

* ﴿إِلاَّ الَّذِينَ آمَنُوا وَعَمِلُوا الصَّالِحَاتِ﴾ أى: إلا المؤمنين المتقين الذين جمعوا بين الإيمان والعمل الصالح.

* ﴿فَلَهُمْ أَجْرٌ غَيْرُ مَمْنُونٍ﴾ أى: فلهم ثواب دائم غير مقطوع عنهم، وهو الجنة دار المتقين هم فيها خالدون.

* ﴿فَمَا يُكَذِّبُكَ بَعْدُ بِالدِّينِ﴾ أى: فما سبب تكذيبك أيها الإنسان، بعد هذا البيان وبعد وضوح الدلائل والبراهين؟

* ﴿أَلَيْسَ اللَّهُ بِأَحْكَمِ الْحَاكِمِينَ﴾ أى: أليس الله الذى خلق وأبدع، بأعدل العادلين حكمًا، وقضاءً، وفصلاً بين العباد؟





سورة العلق

بسم الله الرحمن الرحيم ﴿ اقرأ باسم ربك الذى خلق (١) خلق
الإنسان من علق[(١)] (٢) اقرأ وربك الأكرم[(٢)] (٣) الذى علم
بالقلم (٤) علم الإنسان ما لم يعلم (٥) كلا إن الإنسان ليطغى[(٣)]
(٦) أن رآه استغنى[(٤)] (٧) إن إلى ربك الرجعى[(٥)] (٨) أرأيت
الذى ينهى[(٦)] (٩) عبدا إذا صلى (١٠) أرأيت إن كان على الهدى
(١١) أو أمر بالتقوى (١٢) أرأيت إن كذب وتولى[(٧)] (١٣) ألم يعلم

---

(١) ﴿ علق ﴾ قطعة من الدم.
(٢) ﴿ الأكرم ﴾ الذى لا يوازيه كرم.
(٣) ﴿ ليطغى ﴾ الطغيان مجاوزة الحد.
(٤) ﴿ استغنى ﴾ رأى نفسه غنيًا.
(٥) ﴿ الرجعى ﴾ الرجوع والمصير.
(٦) ﴿ ينهى ﴾ يمنع.
(٧) ﴿ وتولى ﴾ ترك الأمر.

بِأَنَّ اللَّهَ يَرَىٰ (١٤) كَلَّا لَئِن لَّمْ يَنتَهِ لَنَسْفَعًا[١] بِالنَّاصِيَةِ[٢] (١٥)
نَاصِيَةٍ كَاذِبَةٍ خَاطِئَةٍ (١٦) فَلْيَدْعُ نَادِيَهُ[٣] (١٧) سَنَدْعُ الزَّبَانِيَةَ[٤]
(١٨) كَلَّا لَا تُطِعْهُ وَاسْجُدْ وَاقْتَرِب ﴾.

● من فضائل السورة:

من فضائل هذه السورة الكريمة: أنها أول ما نزل من القرآن الكريم، وفي ذلك تروي أم المؤمنين عائشة رضي الله عنها فتقول:

«كان أول ما بُدئ به رسول الله صلى الله عليه وسلم الرؤيا الصادقة في النوم، فكان لا يرى رؤيا إلا جاءت مثل فلق الصبح، ثم حُبب إليه الخلاء، فكان يخلو بغار حراء، فيتحنث فيه - وهو التعبد - الليالي ذوات العدد، ثم يرجع إلى خديجة، فيتزود لمثلها حتى

(١) ﴿ لَنَسْفَعًا ﴾ أي: لنأخذن.
(٢) ﴿ بِالنَّاصِيَةِ ﴾ أي: مقدم شعر الرأس.
(٣) ﴿ نَادِيَهُ ﴾ أهل مجلسه وعشيرته.
(٤) ﴿ الزَّبَانِيَةَ ﴾ ملائكة العذاب الغلاظ الشداد.

جاءه الحق، وهو فى غار حراء فجاءه الملك فقال: «﴿اقْرأْ﴾ فقال: ما أنا بقارئ قال: فأخذنى فغطنى حتى بلغ منى الجهد ثم أرسلنى فقال: ﴿اقْرأْ﴾.

قلت: ما أنا بقارئ، فأخذنى فغطنى الثانية، حتى بلغ منى الجهد، ثم أرسلنى فقال: ﴿اقْرأْ﴾ قلت: ما أنا بقارئ فأخذنى فغطنى الثالثة، ثم أرسلنى[1]، فقال: ﴿اقْرَأْ بِاسْمِ رَبِّكَ الَّذِي خَلَقَ (١) خَلَقَ الإِنسَانَ مِنْ عَلَقٍ (٢) اقْرَأْ وَرَبُّكَ الأَكْرَمُ (٣) الَّذِي عَلَّمَ بِالْقَلَمِ (٤) عَلَّمَ الإِنسَانَ مَا لَمْ يَعْلَمْ﴾».

فكانت تلك الآيات الكريمة أول ما أنزل على النبى ﷺ من القرآن الكريم.

* ابتدأت السورة ببيان فضل الله على رسوله الكريم بإنزاله هذا القرآن «المعجزة الخالدة» وتذكيره بأول النعماء وهو يتعبد ربه بغار حراء، حيث تنزل

---

(١) حديث صحيح: أخرجه البخارى (٤٩٥٣، ٤٩٥٤)، ومسلم (٢٥٣)، وغيرهما.

عليه الوحى بآيات الذكر الحكيم ﴿ اقْرَأْ بِاسْمِ رَبِّكَ الَّذِي خَلَقَ (١) خَلَقَ الإِنسَانَ مِنْ عَلَقٍ (٢) اقْرَأْ وَرَبُّكَ الأَكْرَمُ (٣) الَّذِي عَلَّمَ بِالْقَلَمِ (٤) عَلَّمَ الإِنسَانَ مَا لَمْ يَعْلَمْ ﴾.

* ثم تحدثت عن طغيان الإنسان فى هذه الحياة بالقوة والثراء، وتمرده على أوامر الله بسبب نعمة الغنى، وكان الواجب عليه أن يشكر ربه على إفضاله، لا أن يجحد النعماء، وذكَّرته بالعودة إلى ربه لينال الجزاء ﴿ كَلاَّ إِنَّ الإِنسَانَ لَيَطْغَى (٦) أَن رَّآهُ اسْتَغْنَى (٧) إِنَّ إِلَى رَبِّكَ الرُّجْعَى ﴾.

* ثم تناولت قصة «أبى جهل» فرعون هذه الأمة، الذى كان يتوعد الرسول ويتهدده، وينهاه عن الصلاة، انتصاراً للأوثان والأصنام ﴿ أَرَأَيْتَ الَّذِي يَنْهَى (٩) عَبْدًا إِذَا صَلَّى ﴾ الآيات.

* وختمت السورة بوعيد ذلك الشقى الكافر،

بأشد العقـاب إن استمر على ضلاله وطغيـانه، كما أمرت الرسول الكريم بعدم الإصـغاء إلى وعيد ذلك المجرم الأثيم: ﴿ كَلَّا لَئِن لَّمْ يَنتَهِ لَنَسْفَعًا بِالنَّاصِيَةِ ﴾ إلى ختام السورة ﴿ كَلَّا لَا تُطِعْهُ وَاسْجُدْ وَاقْتَرِب ﴾.

* وقد بدأت السورة بالدعوة إلى القراءة والتعلم، وختـمت بالصلاة والعـبادة ليـقترن العلم بـالعمل، ويتناسق البدء مع الختام[1].

* **فـتعـالوا بنا لنتـعـايش بقلوبنا مع تفـسير سورة العلق:**

* ﴿ اقْرَأْ بِاسْمِ رَبِّكَ الَّذِي خَلَقَ ﴾ أي: اقرأ يـا محـمد كتاب ربك - القـرآن - مبتدئًا ومسـتعينًا باسم ربك العظيم الذى خلق جميع المخلوقات.

* ﴿ خَلَقَ الْإِنسَانَ مِنْ عَلَقٍ ﴾ أي: خلق هذا الإنسـان

---

(١) صفوة التفاسير (٣/ ٥٨٠، ٥٨١).

البديع الشكل والمنظر الذى هو: أشرف المخلوقات من علقة . . وهى قطعة من دم رطب.

* ﴿اقْرَأْ وَرَبُّكَ الأَكْرَمُ﴾ أى: اقرأ يا محمد وربك العظيم الكريم الذى لا يساويه ولا يدانيه كريم.

* ﴿الَّذِي عَلَّمَ بِالْقَلَمِ (٤) عَلَّمَ الإِنسَانَ مَا لَمْ يَعْلَمْ﴾ أى: الذى علم الخط والكتابة بالقلم، وعلم البشر ما لم يكونوا يعرفونه من العلوم والمعارف، فنقلهم من ظلمة الجهل إلى نور العلم، فكما علم سبحانه بواسطة الكتابة بالقلم، فإنه يعلمك بلا واسطة وإن كنت أميًا لا تقرأ ولا تكتب.

* ﴿كَلاَّ إِنَّ الإِنسَانَ لَيَطْغَى﴾ أى: حقًا إن الإنسان ليتجاوز الحد فى الطغيان ويستكبر على ربه وخالقه (جل وعلا).

* ﴿أَن رَّآهُ اسْتَغْنَى﴾ أى: من أجل أنه رأى نفسه

غنيًا وعنده ثروة فطغى وبغى وظن أنه قادر على كل شيء . . ثم تهدده وتوعده فقال:

* ﴿ إِنَّ إِلَىٰ رَبِّكَ الرُّجْعَىٰ ﴾ أي: إن إلى ربك - أيها الإنسان - المرجعُ والمصير فيجازيك على أعمالك، وفي الآية تهديدٌ وتحذير لهذا الإنسان من عاقبة الطغيان، ثم هو عام لكل طاغٍ متكبر .. قال المفسرون: نزلت هذه الآيات إلى آخر السورة في «أبي جهل» بعد نزول صدر السورة بمدة طويلة، وذلك أن أبا جهل كان يطغى بكثرة ماله، ويبالغ في عداوة الرسول ﷺ.

* ﴿ أَرَأَيْتَ الَّذِي يَنْهَىٰ (٩) عَبْدًا إِذَا صَلَّىٰ ﴾ أي: أرأيت هذا الشقي الذي طغى وتكبر وابتعد عن الهدى بل ويدعو غيره إلى ترك الهدى فينهاه ويمنعه عن الصلاة.

رُوى أن أبا جهل اللعين قال لأصحابه يومًا: هل يُعفِّر محمد وجهه بين أظهركم؟ - يريد هل يصلى ويسجد أمامكم؟ - قالوا: نعم، فقال: واللات والعزى لئن رأيته يصلى كذلك لأطأن على رقبته، ولأعفرن وجهه فى التراب، فجاء يومًا فوجد رسول الله ﷺ يصلى، فأقبل يريد أن يطأ على رقبته، فما فجأهم منه إلا وهو ينكص على عقبيه، ويتقى بيديه، فقيل له: ما لك؟ فقال: إن بينى وبينه خندقًا من نار، وهولاً وأجنحة، .. فقال رسول الله ﷺ : «لو دنا منى لاختطفته الملائكة عضواً عضواً» فأنزل الله ﴿ أَرَأَيْتَ الَّذِي يَنْهَىٰ ۝ عَبْدًا إِذَا صَلَّىٰ ﴾ إلى آخر السورة(١) .

* ﴿ أَرَأَيْتَ إِن كَانَ عَلَى الْهُدَىٰ ۝ أَوْ أَمَرَ بِالتَّقْوَىٰ ﴾ أى :

---

(١) أخرجه مسلم .

أرأيت يا أبا جهل إن كان الذى تنهاه عن الصلاة صالحًا مهتديًا عالمًا بالحق عاملاً به مستقيمًا عليه داعيًا إليه فكيف تزجره وتنهاه.

* ﴿أَرَأَيْتَ إِن كَذَّبَ وَتَوَلَّىٰ﴾ أى: أخبرنى يا محمد إن كذَّب أبو جهل بالقرآن وأعرض عن الإيمان أما يخاف الله ويخشى عقابه؟

* ﴿أَلَمْ يَعْلَم بِأَنَّ اللَّهَ يَرَىٰ﴾ أى: ألم يعلم ذلك الشقى المكذب أن الله مطلع عليه يرى مكانه ويسمع كلامه وسوف يجازيه على أفعاله وأقواله. ثم توعده الله بقوله:

* ﴿كَلَّا لَئِن لَّمْ يَنتَهِ لَنَسْفَعًا بِالنَّاصِيَةِ﴾ أى: ليرتدع هذا الفاجر «أبو جهل» عن غيه وضلاله، فوالله لئن لم ينته عن أذى الرسول، ويكف عما هو عليه من الكفر والضلال ﴿لَنَسْفَعًا بِالنَّاصِيَةِ﴾ أى: لنأخذنه

بناصيته - مقدم شعر الرأس - فلنجرنه إلى النار بعنف وشدة ونقذفه فيها.

* ﴿نَاصِيَةٍ كَاذِبَةٍ خَاطِئَةٍ﴾ أي: أن صاحب هذه الناصية كاذب فاجر كثير الذنوب والآثام والإجرام.

* ﴿فَلْيَدْعُ نَادِيَهُ﴾ أي: فليدعُ أهل مجلسه من قومه وعشيرته وليطلب منهم أن ينصروه وأن يقفوا معه.

* ﴿سَنَدْعُ الزَّبَانِيَةَ﴾ أي: سندعو خزنة جهنم، الملائكة الغلاظ الشداد،. رُوى أن أبا جهل مرَّ على النبي ﷺ وهو يصلى عند المقام فقال: ألم أنهك عن هذا يا محمد! فأغلظ له رسول الله ﷺ القول، فقال أبو جهل: بأى شيء تهددنى يا محمد! والله إنى لأكثر أهل الوادى هذا ناديًا فأنزل الله ﴿فَلْيَدْعُ نَادِيَهُ ﴿١٧﴾ سَنَدْعُ الزَّبَانِيَةَ﴾ قال ابن عباس: لو دعا ناديه لأخذته ملائكة العذاب من ساعته.

❊ ﴿كَلاَّ لا تُطِعْهُ وَاسْجُدْ وَاقْتَرِبْ﴾ أي: لا تطع هذا الكافر فيما أمرك به من ترك الصلاة لربك واسجد لربك، واقترب منه، وتحبَّب إليه بطاعته؛ فإنه لن يقدر على ضرك، ونحن نحميك منه.

❊ ❊ ❊

سورة القدر

بسم الله الرحمن الرحيم ﴿إِنَّا أَنزَلْنَاهُ فِي لَيْلَةِ الْقَدْرِ (١) وَمَا أَدْرَاكَ مَا لَيْلَةُ الْقَدْرِ (٢) لَيْلَةُ الْقَدْرِ خَيْرٌ مِّنْ أَلْفِ شَهْرٍ (٣) تَنَزَّلُ الْمَلائِكَةُ وَالرُّوحُ فِيهَا بِإِذْنِ رَبِّهِم مِّن كُلِّ أَمْرٍ (٤) سَلامٌ هِيَ حَتَّىٰ مَطْلَعِ الْفَجْرِ﴾.

* سورة القدر مكية، وقد تحدثت عن بدء نزول القرآن العظيم، وعن فضل ليلة القدر على سائر الأيام والشهور، لما فيها من الأنوار والتجليات القدسية، والنفحات الربانية، التي يفيضها البارى جلَّ وعلا على عباده المؤمنين، تكريمًا لنزول القرآن المبين، كما تحدثت عن نزول الملائكة الأبرار حتى طلوع الفجر، فيا لها من ليلة عظيمة القدر، هى

خير عند الله من ألف شهر[1]!!

* فتعالوا بنا لنتعايش بقلوبنا مع تفسير سورة القدر:

* ﴿إِنَّا أَنزَلْنَاهُ فِي لَيْلَةِ الْقَدْرِ﴾ أي: إنا ابتدأنا إنزال القرآن العظيم في ليلة القدر.. وسُميت ليلة القدر بهذا الاسم لعظمها وقدرها وشرفها.

قال ابن عباس: «أنزل الله القرآن جُملة واحدة من اللوح المحفوظ إلى بيت العزَّة من السماء الدنيا، ثم نزل مُفصلاً بحسب الوقائع في ثلاث وعشرين سنة على رسول الله ﷺ».

ثم قال تعالى مُعظِّمًا لشأن ليلة القدر:

* ﴿وَمَا أَدْرَاكَ مَا لَيْلَةُ الْقَدْرِ﴾ أي: هل تعلم يا محمد مدى عظمة وقدر ليلة القدر؟

* ﴿لَيْلَةُ الْقَدْرِ خَيْرٌ مِّنْ أَلْفِ شَهْرٍ﴾ أي: إن ليلة القدر

(١) صفوة التفاسير (٣/ ٥٨٤).

فى الفضل والشرف خيرٌ من ألف شهر. . فالعمل الصالح فيها خير منه فى ألف شهر ليس فيها ليلة القدر.

وقد رُوى أن رجلاً لبس السلاح وجاهد فى سبيل الله ألف شهر، فعجب رسول الله والمسلمون من ذلك، وتمنى رسول الله ﷺ لأمته فقال: يا رب جعلت أمتى أقصر الأمم أعمارًا، وأقلها أعمالاً!! فأعطاه الله ليلة القدر، وقال: ليلة القدر خيرٌ لك ولأمتك من ألف شهر، جاهد فيها ذلك الرجل.

* ﴿تَنَزَّلُ الْمَلائِكَةُ وَالرُّوحُ فِيهَا بِإِذْنِ رَبِّهِم مِّن كُلِّ أَمْرٍ﴾

أى: تنزل الملائكة وجبريل إلى الأرض فى تلك الليلة بأمر ربهم؛ من أجل كل أمر قدَّره الله وقضاه، ففى ليلة القدر يُقَدَّر ما يكون فى العام من الآجال والأرزاق.

* ﴿سَلامٌ هِيَ حَتَّىٰ مَطْلَعِ الْفَجْرِ﴾ أي: هي سلام من أول يومها إلى طلوع الفجر.. فهي سالمة من كل آفة وشر وذلك لكثرة خيرها... فلا يستطيع الشيطان أن يعمل فيها سوءًا أو أذى.

وليلة القدر تكون في العشر الأواخر من رمضان في الوتر منها.

* * *

سورة البينة

بِسْمِ اللَّهِ الرَّحْمَنِ الرَّحِيمِ ﴿ لَمْ يَكُنِ الَّذِينَ كَفَرُوا مِنْ أَهْلِ الْكِتَابِ (١)
وَالْمُشْرِكِينَ (٢) مُنفَكِّينَ (٣) حَتَّى تَأْتِيَهُمُ الْبَيِّنَةُ (٤) ① رَسُولٌ مِّنَ
اللَّهِ يَتْلُو صُحُفًا مُّطَهَّرَةً ② فِيهَا كُتُبٌ قَيِّمَةٌ (٥) ③ وَمَا تَفَرَّقَ
الَّذِينَ أُوتُوا الْكِتَابَ إِلَّا مِن بَعْدِ مَا جَاءَتْهُمُ الْبَيِّنَةُ ④ وَمَا أُمِرُوا إِلَّا
لِيَعْبُدُوا اللَّهَ مُخْلِصِينَ لَهُ الدِّينَ حُنَفَاءَ وَيُقِيمُوا الصَّلَاةَ وَيُؤْتُوا
الزَّكَاةَ وَذَلِكَ دِينُ الْقَيِّمَةِ ⑤ إِنَّ الَّذِينَ كَفَرُوا مِنْ أَهْلِ الْكِتَابِ
وَالْمُشْرِكِينَ فِي نَارِ جَهَنَّمَ خَالِدِينَ فِيهَا أُوْلَئِكَ هُمْ شَرُّ الْبَرِيَّةِ (٦)

---

(١) ﴿ أَهْلِ الْكِتَابِ ﴾ : اليهود والنصارى.
(٢) ﴿ الْمُشْرِكِينَ ﴾ : عبدة الأوثان والأصنام.
(٣) ﴿ مُنفَكِّينَ ﴾ : منتهين.
(٤) ﴿ الْبَيِّنَةُ ﴾ : الحُجة الواضحة.
(٥) ﴿ قَيِّمَةٌ ﴾ : مستقيمة مستوية.
(٦) ﴿ الْبَرِيَّةِ ﴾ : الخليقة.

(٦) إِنَّ الَّذِينَ آمَنُوا وَعَمِلُوا الصَّالِحَاتِ أُولَئِكَ هُمْ خَيْرُ الْبَرِيَّةِ (٧)
جَزَاؤُهُمْ عِندَ رَبِّهِمْ جَنَّاتُ عَدْنٍ تَجْرِي مِن تَحْتِهَا الْأَنْهَارُ خَالِدِينَ
فِيهَا أَبَدًا رَّضِيَ اللَّهُ عَنْهُمْ وَرَضُوا عَنْهُ ذَلِكَ لِمَنْ خَشِيَ رَبَّهُ ﴾.

* ابتدأت السورة الكريمة بالحديث عن اليهود والنصارى وموقفهم من دعوة رسول الله ﷺ بعد أن بان لهم الحق وسطعت أنواره، وبعد أن عرفوا أوصاف النبى المبعوث آخر الزمان، وكانوا ينتظرون بعثته ومجيئه، فلما بُعث خاتم الرسل كذبوا برسالته، وكفروا وعاندوا.

* ثم تحدثت السورة عن عنصر هام من عناصر الإيمان، وهو إخلاص العبادة لله العلى الكبير، الذى أمر به جميع أهل الأديان، وإفراده جلَّ وعلا بالذكر، والقصد، والتوجه فى جميع الأقوال والأفعال والأعمال، خالصة لوجهه الكريم.

* كما تحدثت عن مصير أهل الإجرام - شر البرية - من كفرة أهل الكتاب والمشركين، وخلودهم فى نار الجحيم، وعن مصير المؤمنين، أصحاب المنازل العالية - خير البرية - وخلودهم فى جنات النعيم، مع النبيين، والصديقين، والشهداء، والصالحين، جزاء طاعتهم وإخلاصهم لرب العالمين[1].

* فتعالوا بنا لنتعايش بقلوبنا مع تفسير سورة البينة:

* ﴿ لَمْ يَكُنِ الَّذِينَ كَفَرُوا مِنْ أَهْلِ الْكِتَابِ وَالْمُشْرِكِينَ مُنفَكِّينَ حَتَّىٰ تَأْتِيَهُمُ الْبَيِّنَةُ ﴾ أى: لم يكن أهل الكفر، الذين كفروا بالله وبرسوله من اليهود والنصارى وهم أهل الكتاب، ومن المشركين عبدة الأوثان والأصنام منتهين عما هم عليه من الكفر، حتى تأتيهم الحجة الواضحة.

---

(1) صفوة التفاسير (٣/٥٨٦).

* ﴿رَسُولٌ مِّنَ اللَّهِ يَتْلُو صُحُفًا مُّطَهَّرَةً﴾ أى: هذه البينة هى رسالةُ النبى محمد ﷺ المرسَل من عند الله تعالى، يقرأ عليهم صُحُفًا منزَّهة عن الباطل عن ظهر قلب وهى القرآن.

* ﴿فِيهَا كُتُبٌ قَيِّمَةٌ﴾ أى: فيها أحكام قيمة أى: مستقيمة لا عوج فيها، تبين الحق من الباطل.

* ﴿وَمَا تَفَرَّقَ الَّذِينَ أُوتُوا الْكِتَابَ إِلَّا مِن بَعْدِ مَا جَاءَتْهُمُ الْبَيِّنَةُ﴾ أى: وما اختلف اليهود والنصارى فى شأن محمد ﷺ إلا من بعد ما جاءتهم الحجة الواضحة الدالة على صدق رسالته، وأنه الرسول الموعود به فى كتبهم.

* ﴿وَمَا أُمِرُوا إِلَّا لِيَعْبُدُوا اللَّهَ مُخْلِصِينَ لَهُ الدِّينَ حُنَفَاءَ وَيُقِيمُوا الصَّلَاةَ وَيُؤْتُوا الزَّكَاةَ وَذَٰلِكَ دِينُ الْقَيِّمَةِ﴾ أى: أن أهل الكتاب ما أُمروا فى التوراة والإنجيل إلا ليعبدوا الله

مخلصين له الدين ولكنهم مع ذلك حرَّفوا وبدَّلوا، وبدلاً من أن يُخلصوا العبادة لله (جلَّ وعلا) عبدوا أحبارهم ورُهبانهم كما قال تعالى: ﴿ اتَّخَذُوا أَحْبَارَهُمْ وَرُهْبَانَهُمْ أَرْبَابًا مِّن دُونِ اللَّهِ وَالْمَسِيحَ ابْنَ مَرْيَمَ وَمَا أُمِرُوا إِلاَّ لِيَعْبُدُوا إِلَهًا وَاحِدًا ﴾[1] فالشاهد أنهم أُمروا بأن يعبدوا الله مخلصين له الدين (حنفاء) أي: مائلين عن الأديان كلها إلى دين الإسلام مستقيمين على دين إبراهيم (عليه السلام) دين الحنيفية السمحة الذى جاء به خاتم المرسلين محمد ﷺ.

* ﴿ وَيُقِيمُوا الصَّلاةَ وَيُؤْتُوا الزَّكَاةَ ﴾ أي: وكذلك أُمروا بأن يقيموا الصلاة على الوجه الأكمل فى أوقاتها بشروطها وآدابها وبأن يعطوا الزكاة لمن يستحقها ابتغاء مرضاة الله (جلَّ وعلا).

* ﴿ وَذَلِكَ دِينُ الْقَيِّمَةِ ﴾ أي: وكل ما ذكرناه من

(1) سورة التوبة: الآية: (31).

الإخلاص والعبادة وإقام الصلاة وإيتاء الزكاة هو دين الملة المستقيمة - دين الإسلام - فلماذا لا يدخلون فى هذا الدين العظيم.

* ثم ذكر الله (جلَّ وعلا) بعد ذلك مآل الأبرار ومآل الأشرار فى دار الجزاء والقرار فقال:

* ﴿ إِنَّ الَّذِينَ كَفَرُوا مِنْ أَهْلِ الْكِتَابِ وَالْمُشْرِكِينَ فِي نَارِ جَهَنَّمَ خَالِدِينَ فِيهَا ﴾ أى: إن الذين كذبوا بالقرآن وبنبوة محمد ﷺ من اليهود والنصارى وعبدة الأوثان، هؤلاء جميعًا يوم القيامة فى نار جهنم، ماكثين فيها أبدًا، لا يخرجون منها ولا يموتون.

* ﴿ أُولَٰئِكَ هُمْ شَرُّ الْبَرِيَّةِ ﴾ أى: أولئك هم شر الخلق على الإطلاق.

* ﴿ إِنَّ الَّذِينَ آمَنُوا وَعَمِلُوا الصَّالِحَاتِ ﴾ أى: إن الذين آمنوا وجمعوا بين الإيمان والعمل الصالح والإخلاص.

* ﴿ أُولَئِكَ هُمْ خَيْرُ الْبَرِيَّةِ ﴾ أى: أولئك هم خير خلق الله فى هذا الكون.

* ﴿ جَزَاؤُهُمْ عِندَ رَبِّهِمْ جَنَّاتُ عَدْنٍ تَجْرِي مِن تَحْتِهَا الأَنْهَارُ خَالِدِينَ فِيهَا أَبَدًا رَّضِيَ اللَّهُ عَنْهُمْ وَرَضُوا عَنْهُ ذَلِكَ لِمَنْ خَشِيَ رَبَّهُ ﴾ أى: ثوابهم فى الآخرة على ما قدموا من الإيمان والأعمال الصالحة: جنات إقامة دائمة، تجرى أمام قصورها وحواليها أنهار الجنة، ماكثين فيها أبدًا، لا يموتون، ولا يخرجون منها، وهم فى نعيم دائم لا ينقطع، رضى الله عنهم بما قدموا فى الدنيا من الطاعات وفعل الصالحات، ورضوا عنه بما أعطاهم من الخيرات والكرامات، وذلك الجزاء والثواب الحسن لمن خاف الله واتقاه، وانتهى عن معصية مولاه.

* * *

سورة الزلزلة

بِسْمِ اللَّهِ الرَّحْمَنِ الرَّحِيمِ ﴿ إِذَا زُلْزِلَتِ الْأَرْضُ زِلْزَالَهَا (١) وَأَخْرَجَتِ
الْأَرْضُ أَثْقَالَهَا (٢) وَقَالَ الْإِنسَانُ مَا لَهَا (٣) يَوْمَئِذٍ تُحَدِّثُ
أَخْبَارَهَا (٤) بِأَنَّ رَبَّكَ أَوْحَىٰ لَهَا (٥) يَوْمَئِذٍ يَصْدُرُ النَّاسُ أَشْتَاتًا
لِّيُرَوْا أَعْمَالَهُمْ (٦) فَمَن يَعْمَلْ مِثْقَالَ ذَرَّةٍ خَيْرًا يَرَهُ (٧) وَمَن يَعْمَلْ
مِثْقَالَ ذَرَّةٍ شَرًّا يَرَهُ ﴾.

* سورة الزلزلة مدنية، وهى فى أسلوبها تشبه السور المكية، لما فيها من أهوال وشدائد يوم القيامة، وهى هنا تتحدث عن الزلزال العنيف الذى يكون بين يدى الساعة، حيث يندكّ كل صرح شامخ، وينهار كل جبل راسخ، ويحصل من الأمور العجيبة الغريبة ما يندهش له الإنسان،

كإخراج الأرض ما فيهــا من موتى، وإلقائها ما فى بطنها من كنوزٍ ثمــينة من ذهب وفضة، وشهــادتها على كل إنسان بما عمل على ظهــرها تقول: عملت يوم كــذا، كذا وكــذا، وكل هذا من عجــائب ذلك اليوم الرهيب، كــما تتحدث عن انصــراف الخلائق من أرض المحشر إلى الجنة أو النار، وانقسامهم إلى أصناف ما بين شقى وسعيد[1].

* فـتعـالوا بنا لنتـعـايش بقلوبنا مع تفـسـير سـورة الزلزلة:

* ﴿إِذَا زُلْزِلَتِ الْأَرْضُ زِلْزَالَهَــا﴾ أى: إذا حُــركت الأرض تحــريكًا شــديدًا عنيـفًـا واضطربت اضطرابًا شــديدًا واهتــزت بمن عليهــا اهتــزازًا يفــزع القلوب ويُصدع الأفئدة.

(1) صفوة التفاسير (٣/ ٥٩٠).

* ﴿وَأَخْرَجَتِ الأَرْضُ أَثْقَالَهَا﴾ أي: وأخرجت الأرض كل ما في جوفها من الكنوز والموتى.

* ﴿وَقَالَ الإِنسَانُ مَا لَهَا﴾ أي: وقال الإنسان: ما الذي حدث للأرض؟ ولماذا تتزلزل هذه الزلزلة الشديدة؟... يقول ذلك متعجبًا من تلك الحالة الشديدة والزلزلة العنيفة التي يراها.

* ﴿يَوْمَئِذٍ تُحَدِّثُ أَخْبَارَهَا﴾ أي: في ذلك اليوم العصيب - يوم القيامة - تتحدث الأرض وتخبر بما عُمل عليها من خير أو شر، وتشهد على كل إنسان بما صنع على ظهرها.

عن أبي هريرة قال: قرأ رسول الله ﷺ ﴿يَوْمَئِذٍ تُحَدِّثُ أَخْبَارَهَا﴾ فقال: «أتدرون ما أخبارها؟» قالوا: اللهُ ورسولُه أعلم، قال: «فإن أخبارها أن تشهد على كل عبدٍ أو أمةٍ بما عمل على ظهرها، تقول: عمل يوم

كذا، كذا وكذا، فهذه أخبارها».

* ﴿ بِأَنَّ رَبَّكَ أَوْحَىٰ لَهَا ﴾ أي: ذلك الإخبار بسبب أن الله جلَّت عظمته أمرها بذلك، وأذن لها أن تنطق بكل ما حدث وجرى عليها، فهي تشكو العاصي وتشهد عليه، وتشكر المطيع وتثنى عليه.... والله على كل شيء قدير.

* ﴿ يَوْمَئِذٍ يَصْدُرُ النَّاسُ أَشْتَاتًا ﴾ أي: في ذلك اليوم يرجع الناس جميعًا إلى موقف الحساب ثم ينصرفون بعد ذلك متفرقين فمنهم من يأخذ ذات اليمين إلى الجنة ومنهم من يأخذ ذات الشمال إلى النار.

* ﴿ لِيُرَوْا أَعْمَالَهُمْ ﴾ أي: ليشاهدوا أعمالهم ولينالوا جزاء أعمالهم... من خيرٍ أو شرٍّ.

* ﴿ فَمَن يَعْمَلْ مِثْقَالَ ذَرَّةٍ خَيْرًا يَرَهُ ﴾ أي: فمن يفعل من الخير وزن ذرةٍ من التراب؛ يجده في صحيفته

يوم القيامة، ويلقَ جزاءه عليه.

* ﴿وَمَن يَعْمَلْ مِثْقَالَ ذَرَّةٍ شَرًّا يَرَهُ﴾ أي: ومن يفعل من الشر وزن ذرة من التراب؛ يجده كذلك ويلقَ جزاءه عليه.

* * *

سورة العاديات

﴿ بِسْمِ اللَّهِ الرَّحْمَنِ الرَّحِيمِ وَالْعَادِيَاتِ(١) ضَبْحًا (٢) ① فَالْمُورِيَاتِ
قَدْحًا (٣) ② فَالْمُغِيرَاتِ صُبْحًا (٣) ③ فَأَثَرْنَ بِهِ نَقْعًا (٥) ④
فَوَسَطْنَ بِهِ جَمْعًا(٦) ⑤ إِنَّ الإِنسَانَ لِرَبِّهِ لَكَنُودٌ(٧) ⑥ وَإِنَّهُ عَلَى
ذَلِكَ لَشَهِيدٌ ⑦ وَإِنَّهُ لِحُبِّ الْخَيْرِ(٨) لَشَدِيدٌ ⑧ أَفَلا يَعْلَمُ إِذَا

(١) ﴿الْعَادِيَاتِ﴾: الخيل تعدو في الغزو.
(٢) ﴿ضَبْحًا﴾: صوت أنفاس الخيل إذا جرت بسرعة.
(٣) ﴿فَالْمُورِيَاتِ قَدْحًا﴾: هي الخيول تقدح بحوافرها إذا سارت على الحجارة حتى تخرج منها النار.
(٤) ﴿فَالْمُغِيرَاتِ صُبْحًا﴾: الخيل التي تُغير على العدو وقت الصباح قبل طلوع الشمس.
(٥) ﴿فَأَثَرْنَ بِهِ نَقْعًا﴾ يعني: الخيل تثير الغبار بسبب سرعة حركتها في المكان الذي أغارت فيه.
(٦) ﴿فَوَسَطْنَ بِهِ جَمْعًا﴾ أي: دخلن به وسط العدو.
(٧) ﴿لَكَنُودٌ﴾: كفور جحود.
(٨) ﴿الْخَيْرِ﴾: المال.

بُعْثِرَ (١) ما في القُبُورِ ﴿٩﴾ وحُصِّلَ (٢) ما في الصُّدُورِ ﴿١٠﴾ إنَّ ربَّهُم بِهِمْ يَوْمَئِذٍ لَّخَبِيرٌ﴾.

* سورة العاديات مكية، وهى تتحدث عن خيل المجاهدين فى سبيل الله، حين تغير على الأعداء، فيسمع لها عند عَدْوِها بسرعة صوتٌ شديد، وتقدح بحوافرها الحجارة فيتطاير منها النار، وتثير التراب والغبار، وقد بدأت السورة بالقسم بخيل الغزاة - إظهارًا لشرفها وفضلها عند الله - على أن الإنسان كفور لنعمة الله تعالى عليه، جحود لآلائه وفيوض نعمائه، وهو معلن لهذا الكفران والجحود بلسان حاله ومقاله، كما تحدثت عن طبيعة الإنسان وحبه الشديد للمال، وختمت السورة الكريمة ببيان أن مرجع الخلائق إلى الله للحساب والجزاء ولا ينفع فى

---

(١) ﴿بُعْثِرَ﴾: أثير فأخرج ما فيه.
(٢) ﴿وحُصِّلَ﴾: بُيِّن وأبرز.

الآخرة مال ولا جاه، وإنما ينفع العمل الصالح[1].

* فتعالوا بنا لنتعايش بقلوبنا مع تفسير سورة العاديات:

* ﴿وَالْعَادِيَاتِ ضَبْحًا﴾ أى: أقسم بخيل المجاهدين التى تعدو نحو العدو وتضبح ضبحًا وهو صوت أنفاسها إذا جرت بسرعة شديدة.

* ﴿فَالْمُورِيَاتِ قَدْحًا﴾ أى: هى الخيل التى تُخرج شرر النار من الأرض بوقع حوافرها على الحجارة من شدة الجرى.

* ﴿فَالْمُغِيرَاتِ صُبْحًا﴾ أى: هى الخيل التى تغير على الأعداء فى الصباح قبل طلوع الشمس.

* ﴿فَأَثَرْنَ بِهِ نَقْعًا﴾ أى: يعنى الخيل تثير الغبار بشدة الجرى فى المكان الذى أغارت فيه على العدو.

* ﴿فَوَسَطْنَ بِهِ جَمْعًا﴾ أى: فتوسطن به جموع الأعداء وأصبحن وسط المعركة.

(١) صفوة التفاسير (٣/ ٥٩٢).

أقسم سبحانه وتعالى بأقسام ثلاثة على أمور ثلاثة، تعظيمًا للمقسم به وهو خيل المجاهدين فى سبيل الله، التى تسرع على أعداء الله، وتقدح النار بحوافرها، وتُغير على الأعداء وقت الصباح، فتثير الغبار، وتتوسط العدو فتصيبه بالرعب والفزع، أما الأمور التى أقسم عليها فهى قوله:

* ﴿إِنَّ الْإِنسَانَ لِرَبِّهِ لَكَنُودٌ﴾ أى: إن الإنسان لجاحد لنعم ربه شديد الكفران فهو يذكر المصائب وينسى النعم.

* ﴿وَإِنَّهُ عَلَىٰ ذَٰلِكَ لَشَهِيدٌ﴾ أى: وإن الإنسان لشاهد على جحوده وإنكاره فلا يستطيع أن يجحده لظهور أثره عليه.

* ﴿وَإِنَّهُ لِحُبِّ الْخَيْرِ لَشَدِيدٌ﴾ أى: وإنه لشديد الحب للمال والثروة حريص كل الحرص على جمعه.

* ﴿أَفَلَا يَعْلَمُ إِذَا بُعْثِرَ مَا فِي الْقُبُورِ﴾ أي: أفلا يعلم هذا الجاهل إذا أثير ما فى القبور، وأخرج ما فيها من الأموات.

* ﴿وَحُصِّلَ مَا فِي الصُّدُورِ﴾ أي: وجمع وظهر ما فى الصدور من الأسرار والخفايا التى كانوا يسرونها.

* ﴿إِنَّ رَبَّهُم بِهِمْ يَوْمَئِذٍ لَّخَبِيرٌ﴾ أي: إن ربهم لعالم بجميع ما كانوا يصنعون، ومجازيهم عليها أوفر الجزاء.

* * *

سورة القارعة

بسم الله الرحمن الرحيم ﴿ الْقَارِعَةُ[١] (١) مَا الْقَارِعَةُ (٢) وَمَا
أَدْرَاكَ مَا الْقَارِعَةُ (٣) يَوْمَ يَكُونُ النَّاسُ كَالْفَرَاشِ[٢] الْمَبْثُوثِ[٣]
(٤) وَتَكُونُ الْجِبَالُ كَالْعِهْنِ[٤] الْمَنفُوشِ[٥] (٥) فَأَمَّا مَن ثَقُلَتْ
مَوَازِينُهُ (٦) فَهُوَ فِي عِيشَةٍ رَّاضِيَةٍ (٧) وَأَمَّا مَنْ خَفَّتْ مَوَازِينُهُ (٨)
فَأُمُّهُ هَاوِيَةٌ[٦] (٩) وَمَا أَدْرَاكَ مَاهِيَهْ (١٠) نَارٌ حَامِيَةٌ ﴾ .

* سورة القارعة مكية، وهي تتحدث عن القيامة وأهوالها، والآخرة وشدائدها، وما يكون فيها من

---

(١) ﴿ الْقَارِعَةُ ﴾ أي: القيامة التي تضرب القلوب بأهوالها ضربًا عنيفًا.
(٢) ﴿ كَالْفَرَاشِ ﴾: هو الذي يتساقط في النار.
(٣) ﴿ الْمَبْثُوثِ ﴾: المتفرق المنتشر.
(٤) ﴿ كَالْعِهْنِ ﴾: الصوف.
(٥) ﴿ الْمَنفُوشِ ﴾: المتطاير.
(٦) ﴿ فَأُمُّهُ هَاوِيَةٌ ﴾ أي: مسكنه النار ومصيره جهنم يهوي في قعرها.

أحداث وأهوال عظام، كخروج الناس من القبور، وانتشارهم فى ذلك اليوم الرهيب كالفراش المتطاير، المنتشر هنا وهناك، يجيئون ويذهبون على غير نظام من شدة حيرتهم وفزعهم.

* كما تحدثت عن نسف الجبال وتطايرها حتى تصبح كالصوف المنبث المتطاير فى الهواء، بعد أن كانت صلبة راسخة فوق الأرض، وقد قرنت بين الناس والجبال تنبيهًا على تأثير تلك القارعة فى الجبال حتى صارت كالصوف المندوف، فكيف يكون حال البشر فى ذلك اليوم العصيب.

* وختمت السورة الكريمة بذكر الموازين التى توزن بها أعمال الناس، وانقسام الخلق إلى سعداء وأشقياء حسب ثقل الموازين وخفتها، وسُميت السورة الكريمة بالقارعة؛ لأنها تقرع القلوب

والأسماع بهولها [1].

* **فتعالوا بنا لنتعايش بقلوبنا مع تفسير سورة القارعة:**

* ﴿الْقَارِعَةُ﴾ من أسماء يوم القيامة.. سُميت بذلك لأنها تقرع الخلائق بأهوالها ضربًا عنيفًا.

* ﴿وَمَا أَدْرَاكَ مَا الْقَارِعَةُ﴾ أي: أيُّ شيء أعلمك ما شأن القارعة في هولها على النفوس؟ إنها لا تُفزع القلوب فحسب، بل تؤثر في الأجرام العظيمة، فتؤثر في السموات بالانشقاق، وفي الأرض بالزلزلة، وفي الجبال بالدك والنسف، وفي الكواكب بالانتثار، وفي الشمس والقمر بالتكوير والانكدار إلى غير ما هنالك.

* ﴿يَوْمَ يَكُونُ النَّاسُ كَالْفَرَاشِ الْمَبْثُوثِ﴾ أي: كل ذلك

---

(1) صفوة التفاسير (٣/ ٥٩٤، ٥٩٥).

يحدث عندما يخرج الناس من قبورهم وهم فى غاية الفزع كأنهم فراشٌ منتشر فى كل مكان هنا وهناك... وسبب تشبيه الناس فى ذلك اليوم بالفراش؛ لأن الفراش إذا ثار لم يتجه إلى جهة واحدة بل تتجه كل فراشة إلى جهة غير جهة الأخرى.. وفى آية أخرى يُشبه الناس وقت البعث بالجراد المنتشر وذلك لكثرة الناس وازدحامهم يوم البعث.

* ﴿ وَتَكُونُ الْجِبَالُ كَالْعِهْنِ الْمَنفُوشِ ﴾ أى: وتصير الجبال العظيمة الضخمة كالصوف المنتشر المتطاير تتفرق أجزاؤها وتتطاير فى الجو.

ولعل السبب فى ذكر حال الناس يوم القيامة ثم ذكر حال الجبال هو التنبيه على أن القارعة ستعصف بالجبال الراسيات وتجعلها كالصوف المتناثر فكيف

بالإنسان الضعيف الذى لا حول له ولا قوة.

* ثم ذكر الحق (جلَّ وعلا) حال الناس يوم القارعة وانقسامهم إلى شقى وسعيد فقال تعالى:

* ﴿فَأَمَّا مَن ثَقُلَتْ مَوَازِينُهُ﴾ أى: فأما من رجحت موازين حسناته وزادت على سيئاته.

* ﴿فَهُوَ فِي عِيشَةٍ رَّاضِيَةٍ﴾ أى: فهو فى حياة سعيدة فى جنات النعيم التى فيها ما لا عين رأت ولا أذنٌ سمعت ولا خطر على قلب بشر.

* ﴿وَأَمَّا مَنْ خَفَّتْ مَوَازِينُهُ﴾ أى: وأما من رجحت كفة سيئاته على حسناته أو نقصت حسناته عن سيئاته أو لم يكن له حسنات.

* ﴿فَأُمُّهُ هَاوِيَةٌ﴾ أى: فمأواه ومسكنه الهاوية وهى النار وسُميت النار بالأم لأن الأم مأوى لأولادها وكذلك النار فهى تؤوى هؤلاء المجرمين...

وسُميت بالهاوية لبُعد مهواها وغاية عُمقها ولأن أهل النار يهوون فيها سبعين سنة حتى يصلوا إلى قعرها.

* ﴿وَمَا أَدْرَاكَ مَاهِيَهْ﴾ أي: تعظيم لأمرها وتهويل لشأنها... أي: وما أعلمك ما هي الهاوية؟ ثم فسَّر ذلك بقوله:

* ﴿نَارٌ حَامِيَةٌ﴾ أي: نار شديدة الحرارة.. فهي تزيد على نار الدنيا سبعين مرة.

* * *

سورة التكاثر

بِسْمِ اللَّهِ الرَّحْمَٰنِ الرَّحِيمِ ﴿ أَلْهَاكُمُ التَّكَاثُرُ ﴿١﴾ حَتَّىٰ زُرْتُمُ الْمَقَابِرَ
﴿٢﴾ كَلَّا سَوْفَ تَعْلَمُونَ ﴿٣﴾ ثُمَّ كَلَّا سَوْفَ تَعْلَمُونَ ﴿٤﴾ كَلَّا لَوْ
تَعْلَمُونَ عِلْمَ الْيَقِينِ ﴿٥﴾ لَتَرَوُنَّ الْجَحِيمَ ﴿٦﴾ ثُمَّ لَتَرَوُنَّهَا عَيْنَ
الْيَقِينِ ﴿٧﴾ ثُمَّ لَتُسْأَلُنَّ يَوْمَئِذٍ عَنِ النَّعِيمِ ﴾.

• من فضائل السورة:

من فضائل هذه السورة الكريمة أن النبي ﷺ كان يعظ بها أصحابه، ويُذكرهم بها، كما روى عبد الله بن الشخير رضي الله عنه عن النبي ﷺ أنه قرأ: ﴿أَلْهَاكُمُ التَّكَاثُرُ﴾ حتى ختمها، قال: «يقول ابن آدم: مالي، مالي، وهل لك يا ابن آدم من مالك إلا ما أكلت فأفنيت، أو لبست فأبليت، أو تصدقت فأمضيت، وما

سوى ذلك فذاهبٌ وتاركه للناس»(١).

* تبدأ السورة الكريمة بعتابٍ وتوبيخٍ لكل من شغله جمع الأموال عن الاستعداد لما بعد الموت، فيقول الله تعالى: شغلكم جمع الأموال، وكثرة الأولاد عن الاستعداد ليوم المعاد، حتى جاءكم الموت، ودُفنتم فى المقابر!!

فصرتم فى المقابر زوارًا، إذ سُرعان ما تخرجون للبعث والنشور، فانزجروا وإلا فستندمون لو علمتم عاقبة تكاثركم إذا نزل بكم الموت، وعاينتم عذاب القبر، وستعلمون عاقبة تكاثركم إذا نزل بكم العذاب فى الآخرة (٢).

* فتعالوا بنا لنتعايش بقلوبنا مع تفسير سورة التكاثر:

* ﴿أَلْهَاكُمُ التَّكَاثُرُ﴾ أى: شغلكم أيها الناس التكاثر

---

(١) حديثٌ صحيحٌ: أخرجه مسلم (٢٩٥٨).

(٢) تفسير القرآن الكريم للأطفال / مجدى فتحى السيد (٥/ ١٦٥٧).

والتفاخر بالأموال والأولاد عن طاعة الله (جلَّ وعلا) وعن العمل للآخرة.

* ﴿حَتَّىٰ زُرْتُمُ الْمَقَابِرَ﴾ أى: طال بكم الانشغال بالدنيا ونسيتم الآخرة حتى مرت سنوات العمر وجاءكم الموت وزرتم المقابر ودُفنتم وأصبحتم من أهلها.

* ﴿كَلَّا سَوْفَ تَعْلَمُونَ﴾ أى: ما كان ينبغى أن يُلهيكم التكاثر بالأموال والأولاد عن طاعة الله فسوف تعلمون عاقبة نسيانكم وانشغالكم بالتكاثر عن ذكر ربكم عندما ينزل بكم العذاب فى القبر؛ لأنكم نسيتم لقاء ربكم وانشغلتم عنه بالدنيا وحُطامها الزائل.

* ﴿ثُمَّ كَلَّا سَوْفَ تَعْلَمُونَ﴾ أى: فى الآخرة إذا حلَّ بكم العذاب جزاءً لكم على انشغالكم عن طاعة

ربكم (جلَّ وعلا).

* ﴿كَلاَّ لَوْ تَعْلَمُونَ عِلْمَ الْيَقِينِ﴾ أى: لو تعلمون ما أمامكم من أمر الآخرة لما ألهاكم التكاثر بالأموال والأولاد عن طاعة الله (جلَّ وعلا) ولما انشغلتم بالدنيا عن الآخرة.

* ﴿لَتَرَوُنَّ الْجَحِيمَ﴾ أى: أقسم وأؤكد بأنكم ستشاهدون الجحيم عيانًا ويقينًا.

* ﴿ثُمَّ لَتَرَوُنَّهَا عَيْنَ الْيَقِينِ﴾ أى: ثم لترونها رؤية حقيقية بالمشاهدة العينية.

* ﴿ثُمَّ لَتُسْأَلُنَّ يَوْمَئِذٍ عَنِ النَّعِيمِ﴾ أى: ثم لتُسألن فى الآخرة عن نعيم الدنيا من الأمن والصحة، وسائر ما يتلذذ به من مطعم، ومشرب، ومركب، ومفرش، هل أديتم شكره لله أم لا؟

* * *

سورة العصر

بسم الله الرحمن الرحيم ﴿ والعصر (١) إن الإنسان لفى خسر (٢)
إلا الذين آمنوا وعملوا الصالحات وتواصوا بالحق وتواصوا
بالصبر﴾.

* سورة العصر مكية، وقد جاءت فى غاية الإيجاز والبيان، لتوضيح سبب سعادة الإنسان أو شقاوته، ونجاحه فى هذه الحياة أو خسرانه ودماره.

* أقسم تعالى بالعصر وهو الزمان الذى ينتهى فيه عمر الإنسان، وما فيه من أصناف العجائب، والعبر الدالة على قدرة الله وحكمته، على أن جنس الإنسان فى خسارة ونقصان، إلا من اتصف بالأوصاف الأربعة، وهى، الإيمان، والعمل

الصالح، والتواصي بالحق، والاعتصام بالصبر، وهي أسس الفضيلة، وأساس الدين، ولهذا قال الإمام الشافعي رحمه الله: لو لم يُنزل الله سوى هذه السورة لكفت الناس(١).

● **من فضائل السورة:**

من فضائل هذه السورة الكريمة: أن سلفنا الصالح يختمون بها مجالسهم، كما رُوى عن الدارمي رحمه الله قال:

كان الرجلان من أصحاب النبي ﷺ إذا التقيا، وأرادا أن يتفرقا قرأ أحدهم سورة ﴿وَالْعَصْرِ﴾ ثم سلم أحدهما على الآخر، ثم تفرقا(٢).

* **فتعالوا بنا لنتعايش بقلوبنا مع تفسير سورة العصر:**

* ﴿وَالْعَصْرِ ۝١ إِنَّ الْإِنسَانَ لَفِي خُسْرٍ﴾ أي: أقسم

---

(١) صفوة التفاسير (٣/٦٠٠).

(٢) أخرجه البيهقي (٩٠٥٧) في شعب الإيمان.

بالدهر والزمن لما فيه من الغرائب والعجائب والعبر والعظات على أن الإنسان فى خسران لأنه يفضل الدنيا على الآخرة وتغلب عليه الأهواء والشهوات.

* ﴿إِلَّا الَّذِينَ آمَنُوا وَعَمِلُوا الصَّالِحَاتِ﴾ أى: إن الإنسان فى خسارة إلا الذين جمعوا بين الإيمان والعمل الصالح فهؤلاء هم الذين فازوا فى الدنيا والآخرة.

* ﴿وَتَوَاصَوْا بِالْحَقِّ﴾ أى: وأوصى بعضهم بعضًا بالحق والخير والطاعة وعبادة الرحمن (جل وعلا).

* ﴿وَتَوَاصَوْا بِالصَّبْرِ﴾ أى: وتواصوا بالصبر على الشدائد والمصائب، وعلى فعل الطاعات، وترك المحرمات ... حكم تعالى بالخسار على جميع الناس إلا من أتى بهذه الأشياء الأربعة وهى: الإيمان، والعمل الصالح، والتواصى بالحق،

والتواصي بالصبر، فإن نجاة الإنسان لا تكون إلا إذا كمَّل الإنسان نفسه بالإيمان والعمل الصالح، وكمل غيره بالنصح والإرشاد، فيكون قد جمع بين حق الله، وحق العباد، وهذا هو السر في تخصيص هذه الأمور الأربعة [1].

* * *

(١) صفوة التفاسير (٣/ ٦٠٤).

سورة الهمزة

بِسْمِ اللَّهِ الرَّحْمَنِ الرَّحِيمِ ﴿ وَيْلٌ لِكُلِّ هُمَزَةٍ (١) لُمَزَةٍ (٢) ﴿١﴾ الَّذِي
جَمَعَ مَالًا وَعَدَّدَهُ (٣) ﴿٢﴾ يَحْسَبُ أَنَّ مَالَهُ أَخْلَدَهُ (٤) ﴿٣﴾ كَلَّا
لَيُنْبَذَنَّ (٥) فِي الْحُطَمَةِ (٦) ﴿٤﴾ وَمَا أَدْرَاكَ مَا الْحُطَمَةُ ﴿٥﴾ نَارُ
اللَّهِ الْمُوقَدَةُ ﴿٦﴾ الَّتِي تَطَّلِعُ عَلَى الْأَفْئِدَةِ (٧) ﴿٧﴾ إِنَّهَا عَلَيْهِمْ
مُؤْصَدَةٌ (٨) ﴿٨﴾ فِي عَمَدٍ مُمَدَّدَةٍ ﴾.

* سورة الهمزة مكية، وقد تحدثت عن الذين يعيبون الناس، ويأكلون أعراضهم، بالطعن

---

(١) ﴿هُمَزَة﴾ كثير الهمز أي: الطعن في غيره وهو الذي يعيب الناس بفعله.
(٢) ﴿لُمَزَة﴾ الذي يعيب الناس بقوله.
(٣) ﴿وعَدَّدَه﴾ أي: أحصى عدده وعرف أعداده الكثيرة.
(٤) ﴿أخْلَدَهُ﴾ جعله خالدًا لا يموت.
(٥) ﴿لَيُنْبَذَنَّ﴾ أي: ليُطرحن وليُلقين.
(٦) ﴿الْحُطَمَة﴾ النار. وسُميت بذلك؛ لأنها تحطم كل ما يلقى فيها.
(٧) ﴿الأفْئِدَة﴾ القلوب.
(٨) ﴿مُؤْصَدَة﴾ مُغلقة ومطبقة عليهم.

والانتقاص والازدراء، وبالسخرية والاستهزاء فعل السفهاء.

* كما ذمَّت الذين يشتغلون بجمع الأموال، وتكديس الثروات، كأنهم مخلدون فى هذه الحياة، يظنون - لفرط جهلهم وكثرة غفلتهم - أن المال سيخلدهم فى الدنيا.

* وختمت بذكر عاقبة هؤلاء التعساء الأشقياء، حيث يدخلون نارًا لا تخمد أبدًا، تحطم المجرمين ومن يلقى فيها من البشر، لأنها الحطمة، نار سقر!![1].

* فتعالوا بنا لنتعايش بقلوبنا مع تفسير سورة الهمزة:

* ﴿وَيْلٌ لِكُلِّ هُمَزَةٍ لُمَزَةٍ﴾ أى: هلاك ودمار وعذاب لكل من يعيب الناس ويغتابهم ويطعن فى أعراضهم بفعله أو بلسانه.

* ﴿الَّذِى جَمَعَ مَالاً وَعَدَّدَهُ﴾ أى: الذى جمع المال

(١) صفوة التفاسير (٣/ ٦٠٢).

بعضه على بعض وأحصى عدده وحافظ عليه لئلا ينقص فمنعه ذلك من فعل الخيرات وإخراج الزكاة والصدقات ولم يؤد حق الله فى هذا المال.

* ﴿يَحْسَبُ أَنَّ مَالَهُ أَخْلَدَهُ﴾ أى: يظن هذا الرجل أن جمع المال وعدم إنفاقه سيجعله خالدًا فى الدنيا فلا يموت.

* ﴿كَلاَّ لَيُنبَذَنَّ فِي الْحُطَمَةِ﴾ أى: ليس الأمر كما يظن هذا الجاهل البخيل من أن المال سيخلده فى الدنيا بل إنه سيُلقى فى النار - وهى الحُطمة التى تحطم كل ما يُلقى فيها.

* ﴿وَمَا أَدْرَاكَ مَا الْحُطَمَةُ﴾ أى: هل تعلم ما هى حقيقة تلك النار العظيمة... إنها الحطمة التى تحطم العظام وتأكل اللحوم، حتى تهجم على القلوب، ثم فسرها بقول: ﴿نَارُ اللَّهِ الْمُوقَدَةُ﴾ أى: هى

نار الله المسعَّرة بأمره تعالى وإرادته، ليست كسائر النيران فإنها لا تخمد أبدًا، . . . وفى الحديث: «أوقد على النار ألف سنة حتى احمرت، ثم أوقد عليها ألف سنة حتى ابيضَّت، ثم أوقد عليها ألف سنة حتى اسودت، فهى سوداء مظلمة».

* ﴿الَّتِى تَطَّلِعُ عَلَى الأَفْـئِـدَةِ﴾ أى: تلك النار التى يصل ألمها ووجعها وإحراقها إلى القلوب فتحرقها.

* ﴿إِنَّهَا عَلَيْهِم مُّؤْصَدَةٌ﴾ أى: إن جهنم مغلقة عليهم لا يستطيعون الفرار منها ولا يدخل إليهم روح ولا ريحان ولا أى نعيم أبدًا.

* ﴿فِى عَمَدٍ مُّمَدَّدَةٍ﴾ أى: أنها مغلقة عليهم بأعمدة ممدة على أبوابها حتى يعلموا يقينًا أنهم لن يخرجوا منها أبدًا فهم مخلدون فيها.

* * *

سورة الفيل

بسم الله الرحمن الرحيم ﴿أَلَمْ تَرَ كَيْفَ فَعَلَ رَبُّكَ بِأَصْحَابِ الْفِيلِ[1] ① أَلَمْ يَجْعَلْ كَيْدَهُمْ[2] فِي تَضْلِيلٍ[3] ② وَأَرْسَلَ عَلَيْهِمْ طَيْرًا أَبَابِيلَ[4] ③ تَرْمِيهِم بِحِجَارَةٍ مِّن سِجِّيلٍ[5] ④ فَجَعَلَهُمْ كَعَصْفٍ مَّأْكُولٍ[6]﴾.

* سورة الفيل مكية، وهي تتحدث عن قصة أصحاب الفيل حين قصدوا هدم الكعبة المشرفة، فرد الله كيدهم في نحورهم، وحمى بيته من تسلطهم وطغيانهم، وأرسل على جيش أبرهة الأشرم وجنوده

(١) ﴿أَصْحَابِ الْفِيلِ﴾: أبرهة وجنوده الذين أرادوا هدم الكعبة بالفيل.
(٢) ﴿كَيْدَهُمْ﴾: سعيهم لتخريب الكعبة.
(٣) ﴿تَضْلِيلٍ﴾: أي: إبطال وخسارة.
(٤) ﴿أَبَابِيلَ﴾: جماعات متتابعة.
(٥) ﴿سِجِّيلٍ﴾: طين متحجر.
(٦) ﴿كَعَصْفٍ مَّأْكُولٍ﴾: كزرع أكله الدواب ثم أخرجته.

أضعف مخلوقاته، وهى الطير التى تحمل فى أرجلها ومناقيرها حجارة صغيرة، ولكنها أشد فتكًا وتدميرًا من الرصاصات القاتلة، حتى أهلكهم الله وأبادهم عن آخرهم، وكان ذلك الحدث التاريخى الهام، فى عام ميلاد سيد الكائنات محمد بن عبد الله، سنة سبعين وخمسمائة ميلادية، وكان من أعظم الإرهاصات الدالة على صدق نبوته ﷺ [1].

* فتعالوا بنا لنتعايش بقلوبنا مع تفسير سورة الفيل:

* ﴿أَلَمْ تَرَ كَيْفَ فَعَلَ رَبُّكَ بِأَصْحَابِ الْفِيلِ﴾ أى: ألم تعلم يا محمد ماذا فعل ربك بأصحاب الفيل عندما أرادوا أن يهدموا الكعبة المشرفة.

* ﴿أَلَمْ يَجْعَلْ كَيْدَهُمْ فِي تَضْلِيلٍ﴾ أى: ألم يجعل مكرهم وسعيهم لهدم الكعبة فى ضياع وخسار وفوق

(١) صفوة التفاسير (٣/٤-٦٠).

ذلك أهلكهم وجعلهم عبرة لمن يعتبر.

* ﴿وَأَرْسَلَ عَلَيْهِمْ طَيْرًا أَبَابِيلَ﴾ أي: وسلط عليهم جُندًا من جنوده وهى طيور جاءت إليهم جماعات متتابعة بعضها فى إثر بعض وأحاطت بهم من كل ناحية.

* ﴿تَرْمِيهِم بِحِجَارَةٍ مِّن سِجِّيلٍ﴾ أي: ترمى أبرهة وجيشه بحجارة صغيرة من طين متحجر أوقد عليها فى نار جهنم فأصابتهم وكأنها رصاصات ثاقبة لا تصل إلى أحد إلا قتلته.

قيل: كان كل طير منها يحمل ثلاثة أحجار... حجرين فى رجليه وحجراً فى منقاره.

* ﴿فَجَعَلَهُمْ كَعَصْفٍ مَّأْكُولٍ﴾ أي: جعل الله أصحاب الفيل كورق الزرع إذا أكلته الدواب، فرمت به من أسفل. وذلك جزاء الظالمين.

سورة قريش

بسم الله الرحمن الرحيم ﴿لإِيلَافِ قُرَيْشٍ (١) إِيلَافِهِمْ رِحْلَةَ الشِّتَاءِ وَالصَّيْفِ (٢) فَلْيَعْبُدُوا رَبَّ هَذَا الْبَيْتِ (٣) الَّذِي أَطْعَمَهُم مِّن جُوعٍ وَآمَنَهُم مِّنْ خَوْفٍ﴾.

* تحدثت هذه السورة عن نعم الله الجليلة على أهل مكة، حيث كانت لهم رحلتان: رحلة فى الشتاء إلى اليمن، ورحلة فى الصيف إلى الشام من أجل التجارة، وقد أكرم الله تعالى قريشًا بنعمتين عظيمتين من نعمه الكثيرة هما: نعمة الأمن والاستقرار، ونعمة الغنى واليسار ﴿فَلْيَعْبُدُوا رَبَّ هَذَا الْبَيْتِ (٣) الَّذِي أَطْعَمَهُم مِّن جُوعٍ وَآمَنَهُم مِّنْ خَوْفٍ﴾(١).

---

(١) صفوة التفاسير (٣/٦٠٦).

* فتعالوا بنا لنتعايش بقلوبنا مع تفسير سورة قريش:

* ﴿لِإِيلَافِ قُرَيْشٍ﴾ أي: لقد اعتادت قريش عادة وهي أن تقوم برحلة في الشتاء إلى اليمن وبرحلة في الصيف إلى الشام.

ونحن نعلم أن قريشًا أصلٌ في قبائل العرب وفيهم كانت النبوة، ومنهم كان الأئمة وفي هذه السورة الكريمة يمتن الله على قريش بنعمه الواسعة... تبدأ السورة الكريمة فيقول الله تعالى: اعجبوا لنعمتي على قريش، برحلة الشتاء ورحلة الصيف.

قال ابن عباس رضي الله عنهما: كانوا يشتون بمكة، ويصيفون بالطائف.

وذلك أن قريشًا كانوا سكان الحرم، ولم يكن لهم

زرعٌ، وكانت التجارة هي رأس مالهم، فكانوا يرتحلون بتلك التجارة في الشتاء والصيف، ولذا يرشدهم الله إلى شكر هذه النعمة العظيمة بتوحيده، وعبادته وحده[1].

* ﴿إِيلَافِهِمْ رِحْلَةَ الشِّتَاءِ وَالصَّيْفِ﴾ أي: اعتيادهم لرحلة الشتاء والصيف حيث كانوا يسافرون للتجارة، ويأتون بالأطعمة والثياب، ويربحون في الذهاب والإياب، وهم آمنون مطمئنون لا يتعرض لهم أحدٌ بسوء؛ لأن الناس كانوا يقولون: هؤلاء جيران بيت الله وسكان حرمه، وهم أهل الله؛ لأنهم ولاة الكعبة، فلا تؤذوهم ولا تظلموهم، ولما أهلك الله أصحاب الفيل، وردَّ كيدهم في نحورهم ازداد وقع أهل مكة في القلوب، وازداد تعظيم الأمراء والملوك لهم، فازدادت تلك المنافع والمتاجر، فلذلك جاء

(١) تفسير القرآن الكريم للأطفال / مجدي فتحي السيد (٥/١٦٦٦).

الامتنان على قريش، وتذكيرهم بنعم الله ليوحدوه ويشكروه[1].

* ﴿فَلْيَعْبُدُوا رَبَّ هَذَا الْبَيْتِ﴾ أى: فليعبدوا الله العظيم الجليل، رب هذا البيت العتيق، وليجعلوا عبادتهم شكرًا لهذه النعمة الجليلة التى خصهم بها.

* ﴿الَّذِى أَطْعَمَهُم مِّن جُوعٍ وَآمَنَهُم مِّنْ خَوْفٍ﴾ أى: هذا الإله الكريم هو الذى أطعمهم بعد شدة جوع، وآمنهم بعد شدة خوف، أفلا يجب على قريش أن يُفردوا هذا الإله الجليل بالعبادة؟!!

* * *

(١) صفوة التفاسير (٣/٦٠٦).

سورة الماعون

بِسْمِ اللَّهِ الرَّحْمَٰنِ الرَّحِيمِ ﴿ أَرَأَيْتَ الَّذِى يُكَذِّبُ بِالدِّينِ ① فَذَٰلِكَ الَّذِى يَدُعُّ (١) الْيَتِيمَ ② وَلَا يَحُضُّ (٢) عَلَىٰ طَعَامِ الْمِسْكِينِ ③ فَوَيْلٌ (٣) لِّلْمُصَلِّينَ ④ الَّذِينَ هُمْ عَن صَلَاتِهِمْ سَاهُونَ (٤) ⑤ الَّذِينَ هُمْ يُرَاءُونَ (٥) ⑥ وَيَمْنَعُونَ الْمَاعُونَ ﴾ .

* هذه السورة مكية، وقد تحدثت بإيجاز عن فريقين من البشر هما:

أ- الكافر الجاحد لنعم الله، المكذب بيوم الحساب والجزاء.

---

(١) ﴿يَدُعُّ﴾: يدفع دفعًا عنيفًا.
(٢) ﴿لَا يَحُضُّ﴾: لا يحث ولا ينصح.
(٣) ﴿فَوَيْلٌ﴾: فعذابٌ وهلاك.
(٤) ﴿سَاهُونَ﴾: غافلون عن فضلها يتأخرون عنها أو يضيعونها.
(٥) ﴿يُرَاءُونَ﴾: يريدون الثناء من الناس ولا يريدون الثواب من الله.

ب- المنافق الذى لا يقصد بعمله وجه الله، بل يرائى فى أعماله وصلاته.

* **أما الفريق الأول:** فقد ذكر تعالى من صفاتهم الذميمة، أنهم يُهينون اليتيم ويزجرونه غلظة لا تأديبًا، ولا يفعلون الخير، حتى ولو بالتذكير بحق المسكين والفقير، فلا هم أحسنوا فى عبادة ربهم، ولا أحسنوا إلى خلقه.

* **وأما الفريق الثانى:** فهم المنافقون، الغافلون عن صلاتهم، الذين لا يؤدونها فى أوقاتها، والذين يقومون بها صورة لا معنى المراؤون بأعمالهم، وقد توعدت الفريقين بالويل والهلاك، وشنعت عليهم أعظم تشنيع، بأسلوب الاستغراب والتعجيب من ذلك الصنيع!![1].

---

(١) صفوة التفاسير (٣/٦٠٨).

* فتعالوا بنا لنتعايش بقلوبنا مع تفسير سورة الماعون:

* ﴿أَرَأَيْتَ الَّذِى يُكَذِّبُ بِالدِّينِ﴾ أي: هل تعرف يا محمد من الذى يكذب بالجزاء والحساب فى الآخرة؟ هل تعرف من هو؟ وما هى أوصافه؟ إن أردت أن تعرفه فها هى أوصافه:

* ﴿فَذَلِكَ الَّذِى يَدُعُّ الْيَتِيمَ﴾ أي: من صفات هذا المكذب بالحساب والجزاء أنه يدفع اليتيم دفعًا غليظًا ولا يرحمه بل يقهره ويظلمه ولا يعطيه حقه.

* ﴿وَلَا يَحُضُّ عَلَى طَعَامِ الْمِسْكِينِ﴾ أي: ومن صفاته أيضًا أنه لا يُطعم المسكين ولا يحض الناس على إطعامه؛ لأنه بخيل ولا يؤمن بيوم البعث والجزاء.

* ﴿فَوَيْلٌ لِّلْمُصَلِّينَ﴾ أي: هلاك وعذاب فى النار لهؤلاء المصلين الذين ينافقون ولا يريدون بصلاتهم

وجه الله (جل وعلا) . . . وإذا أردت أن تعرف صفاتهم القبيحة فها هى بعض صفاتهم.

* ﴿الَّذِينَ هُمْ عَن صَلَاتِهِمْ سَاهُونَ﴾ أى: الذين يؤخرون الصلاة عن وقتها ويتركونها حتى يخرج وقتها . . . أو الذين يصلون فى العلانية ولا يصلون فى السر.

* ﴿الَّذِينَ هُمْ يُرَاءُونَ﴾ أى: الذين يظهرون الأعمال الصالحة طلبًا للشهرة والرياء . . . فهم يصلون أمام الناس ليقال إنهم صلحاء ويتخشعون ليقال: إنهم أتقياء ويتصدقون ليقال: إنهم كُرماء . . . وهكذا فى سائر أعمالهم.

* ﴿وَيَمْنَعُونَ الْمَاعُونَ﴾ أى: يمنعون الناس من المنافع اليسيرة كالإبرة والفأس والقدر والملح والماء وغيرها . . . فهم يبخلون بأقل الأشياء.

سورة الكوثر

بسم الله الرحمن الرحيم ﴿إِنَّا أَعْطَيْنَاكَ الْكَوْثَرَ (١) ۝١ فَصَلِّ لِرَبِّكَ وَانْحَرْ (٢) ۝٢ إِنَّ شَانِئَكَ (٣) هُوَ الْأَبْتَرُ (٤)﴾.

سورة الكوثر مكية، وقد تحدثت عن فضل الله العظيم على نبيه الكريم، بإعطائه الخير الكثير والنعم العظيمة فى الدنيا والآخرة، ومنها نهر الكوثر وغير ذلك من الخير العظيم العميم، وقد دعت الرسول إلى إدامة الصلاة، ونحر الهدى شكراً لله.

* وختمت السورة ببشارة الرسول ﷺ بخزى

---

(١) ﴿الكوثر﴾: نهر فى الجنة.

(٢) ﴿وانحر﴾: أى: اذبح.

(٣) ﴿شانئك﴾: مبغضك وكارهك.

(٤) ﴿الأبتر﴾: المقطوع.

أعدائه، ووصفت مُبغضيه بالذلة والحقارة، والانقطاع من كل خير فى الدنيا والآخرة، بينما ذِكْر الرسول مرفوع على المنائر والمنابر، واسمه الشريف على كل لسان، خالد إلى آخر الدهر والزمان[1].

* فتعالوا بنا لنتعايش بقلوبنا مع تفسير سورة الكوثر:

* ﴿إِنَّا أَعْطَيْنَاكَ الْكَوْثَرَ﴾ أى: يبشر الله النبى محمدًا ﷺ أنه أعطاه نهرًا فى الجنة حافتاه من ذهب، ومجراه على الدر والياقوت، تُربته أطيب من المسك، وماؤه أحلى من العسل، وأبيض من الثلج، مَن شرب منه شربة لم يظمأ بعدها أبدًا، وسماه الله الكوثر.

* ﴿فَصَلِّ لِرَبِّكَ وَانْحَرْ﴾ أى: فصلِّ لربك وحده وأخلص فى صلاتك ... وانحر الأضاحى خالصة

---

(1) صفوة التفاسير (٣/ ٦١٠).

لوجه الله لا لغيره شكراً لله على ما وهبك من الخيرات والكرامات والنعم.

* ﴿إِنَّ شَانِئَكَ هُوَ الْأَبْتَرُ﴾ أي: إن مُبغضك يا محمد هو المقطوع من كل خير.

قال المفسرون: لما مات القاسم ابن النبي ﷺ قال العاص بن وائل: دعوه فإنه رجلٌ أبتر لا عقب له - لا نسل له - فإذا هلك انقطع ذكره فأنزل الله تعالى هذه السورة، وأخبر تعالى أن هذا الكافر هو الأبتر وإن كان له أولاد؛ لأنه مبتور من رحمة الله - أي: مقطوع عنها - ولأنه لا يُذكر إلا ذُكر باللعنة، بخلاف النبي ﷺ فإن ذكره خالد إلى آخر الدهر، مرفوع على المآذن والمنابر، مقرون بذكر الله تعالى، والمؤمنون من زمانه إلى يوم القيامة أتباعه فهو كالوالد لهم صلوات الله وسلامه عليه.

سورة الكافرون

بسم الله الرحمن الرحيم ﴿قُلْ يَا أَيُّهَا الْكَافِرُونَ (١) لا أَعْبُدُ مَا
تَعْبُدُونَ (٢) وَلا أَنتُمْ عَابِدُونَ مَا أَعْبُدُ (٣) وَلا أَنَا عَابِدٌ مَّا عَبَدتُّمْ
(٤) وَلا أَنتُمْ عَابِدُونَ مَا أَعْبُدُ (٥) لَكُمْ دِينُكُمْ وَلِيَ دِينِ﴾.

* سورة الكافرون مكية، وهى سورة التوحيد والبراءة من الشرك والضلال، فقد دعا المشركون رسول الله ﷺ إلى المهادنة، وطلبوا منه أن يعبد آلهتهم سنة، ويعبدوا إلهه سنة، فنزلت السورة تقطع أطماع الكافرين، وتفصل النزال بين الفريقين: أهل الإيمان، وعبدة الأوثان، وترد على الكافرين تلك الفكرة السخيفة فى الحال والاستقبال[1].

---

(١) صفوة التفاسير (٣/٦١٣).

• من فضائل السورة:

من فضائل هذه السورة الكريمة أنها تُرشد المؤمنين إلى البراءة من الشرك والمشركين، والكفر والكافرين.

فيروى نوفل الأشجعي رضي الله عنه، أنه أتى النبي ﷺ فقال: يا رسول الله، علمني شيئًا أقوله إذا أويت إلى فراشي، فقال:

«إذا أخذت مضجعك فاقرأ ﴿قُلْ يَا أَيُّهَا الْكَافِرُونَ﴾ فإنها براءة من الشرك»[1].

ويستحب قراءة تلك السورة في سُنة الفجر، كما روى أبو هريرة رضي الله عنه أن رسول الله ﷺ قرأ في ركعتي الفجر[2]: ﴿قُلْ يَا أَيُّهَا الْكَافِرُونَ﴾ و ﴿قُلْ هُوَ اللَّهُ أَحَدٌ﴾.

---

(١) حديثٌ حسنٌ: أخرجه أحمد (٥/٤٥٦)، وأبو داود (٥٠٥٥)، والترمذي (٣٤٦٣)، والحاكم (١/٥٦٥)، وصححه وأقره الذهبي، وابن السني (٦٨٤) في عمل اليوم والليلة.

(٢) حديثٌ صحيحٌ: أخرجه مسلم (٧٢٦).

* فتعالوا بنا لنتعايش بقلوبنا مع تفسير سورة الكافرون:

* ﴿قُلْ يَا أَيُّهَا الْكَافِرُونَ﴾ أي: قل يا محمد لهؤلاء الكفار الذين يدعونك أنت وأصحابك لعبادة الأصنام.

* ﴿لا أَعْبُدُ مَا تَعْبُدُونَ﴾ أي: أنا لن أعبد هذه الأصنام التي تعبدونها أبدًا بل أنا برىء من تلك الآلهة والمعبودات التي لا تضر ولا تنفع.

* ﴿وَلا أَنتُمْ عَابِدُونَ مَا أَعْبُدُ﴾ أي: ولا أنتم يا معشر المشركين عابدون إلهى الحق الذى أعبده... فأنتم تعبدون الأصنام وأنا أعبد الإله الحق وهو رب العالمين.

* ﴿وَلا أَنَا عَابِدٌ مَّا عَبَدتُّمْ﴾ أي: ولن أعبد الأصنام أبدًا.

* ﴿ وَلا أَنتُمْ عَابِدُونَ مَا أَعْبُدُ ﴾ أى: ولستم أنتم فى المستقبل بعابدين إلهى الحق الذى أعبده... والذى يجب على كل إنسان أن يعبده وحده.

* ﴿ لَكُمْ دِينُكُمْ وَلِيَ دِينِ ﴾ أى: فكونوا كما شئتم... فلكم شرككم ولى توحيدى... وهذا غاية فى التبرؤ من عبادة الكفار والتأكيد على عبادة الحق (جلَّ وعلا).

* * *

سورة النصر

بسم الله الرحمن الرحيم ﴿إذا جاء نصر الله والفتح ① ورأيت الناس يدخلون في دين الله أفواجا ② فسبح بحمد ربك واستغفره إنه كان توابا﴾.

* سورة النصر مدنية، وهي تتحدث عن فتح مكة الذى عزَّ به المسلمون، وانتشر الإسلام فى الجزيرة العربية، وتقلمت أظافر الشرك والضلال، وبهذا الفتح المبين دخل الناس فى دين الله، وارتفعت راية الإسلام، واضمحلت ملة الأصنام، وكان الإخبار بفتح مكة قبل وقوعه، من أظهر الدلائل على صدق نبوته عليه أفضل الصلاة والسلام[1].

---

(١) صفوة التفاسير (٣/ ٦١٥).

وكانت تلك السورة الكريمة هى علامة قُرب وفاة الرسول ﷺ، وفى هذا يقول ابن عباس رضي الله عنهما:

كان عمر بن الخطاب يُدخلنى مع أشياخ بدر، فكأن بعضهم وجد فى نفسه فقال: لِمَ تدخل هذا معنا ولنا أبناء مثله؟!

فقال عمر: إنه مَن حيث علمتم[1].

فدعاهم ذات يوم، ودعانى معهم، وقال: أما إنى سأريكم اليوم منه ما تعرفون به فضله،... ما تقولون فى قول الله تعالى: ﴿إِذَا جَاءَ نَصْرُ اللَّهِ وَالْفَتْحُ﴾.

فقال بعضهم: أُمرنا أن نحمد الله ونستغفره إذا نصرنا، وفتح علينا،.. وقال بعضهم: أمر الله نبيه إذا رأى الناس ودخولهم فى الإسلام،... وسكت بعضهم فلم يقل شيئًا.

(١) إشارة إلى معرفته وفطنته وقرابته من رسول الله ﷺ.

فقال لي عمر: يا ابن عباس، ما لك لا تتكلم؟ أكذاك تقول؟ فقلت: لا.

قال: فما تقول؟ قال: هو أجل رسول الله ﷺ أعلمه له.

قال: ﴿إِذَا جَاءَ نَصْرُ اللَّهِ وَالْفَتْحُ﴾ وذلك علامة أجلك ﴿فَسَبِّحْ بِحَمْدِ رَبِّكَ وَاسْتَغْفِرْهُ﴾ فقال عمر: ما أعلم منها إلا ما تقول، كيف تلومونني على حب ما ترون[1].

* فتعالوا بنا لنتعايش بقلوبنا مع تفسير سورة النصر:

* ﴿إِذَا جَاءَ نَصْرُ اللَّهِ وَالْفَتْحُ﴾ أي: إذا نصرك الله على أعدائك وأعانك عليهم وفتح الله مكة أم القرى... والإخبار هنا بفتح مكة قبل وقوعه هو إخبارٌ بالغيب وهو من أعلام النبوة.

---

(١) حديثٌ صحيحٌ: أخرجه البخاري (٤٩٧٠).

* ﴿ وَرَأَيْتَ النَّاسَ يَدْخُلُونَ فِي دِينِ اللَّهِ أَفْوَاجًا ﴾ أي: ورأيت الناس يدخلون في دين الله جماعات جماعات من غير حربٍ ولا قتال.

وقد كانت العرب تنتظر فتح مكة وكانوا يقولون: إن انتصر محمد ﷺ على قومه فهو نبي.. فلما فتح الله له مكة دخلوا في دين الله أفواجًا حتى أنه لم تمض سنتان حتى انتشر الإسلام في جزيرة العرب.

* ﴿ فَسَبِّحْ بِحَمْدِ رَبِّكَ وَاسْتَغْفِرْهُ إِنَّهُ كَانَ تَوَّابًا ﴾ أي: فسبِّح ربك واحمده على كل هذه النعم فهو الذي نصرك على أعدائك وفتح لك البلاد وقلوب العباد واطلب منه المغفرة لك ولأمتك فإن الله يقبل التوبة ويرحم عباده المؤمنين رحمة واسعة في الدنيا والآخرة.

* * *

سورة المسد

بِسْمِ اللَّهِ الرَّحْمَٰنِ الرَّحِيمِ ﴿ تَبَّتْ (١) يَدَا أَبِي لَهَبٍ وَتَبَّ ﴿١﴾ مَا
أَغْنَى (٢) عَنْهُ مَالُهُ وَمَا كَسَبَ ﴿٢﴾ سَيَصْلَى (٣) نَارًا ذَاتَ لَهَبٍ ﴿٣﴾
وَامْرَأَتُهُ حَمَّالَةَ الْحَطَبِ ﴿٤﴾ فِي جِيدِهَا (٤) حَبْلٌ مِّن مَّسَدٍ (٥) ﴾ .

* سورة المسد مكية، وتُسمى سورة اللهب، وسورة تبت، وقد تحدثت عن هلاك أبي لهب عدو الله ورسوله، الذي كان شديد العداء لرسول الله ﷺ، يترك شغله ويتبع الرسول ﷺ ليفسد عليه دعوته، ويصد الناس عن الإيمان به، وقد توعدته

(١) ﴿ تَبَّتْ ﴾: خابت وخسرت وهلكت وقُطعت.
(٢) ﴿ ما أغنى ﴾ يعني: لم تنفعه.
(٣) ﴿ سيصلى ﴾: سيدخل أو سيقاسي.
(٤) ﴿ جيدها ﴾: عنقها.
(٥) ﴿ مسد ﴾: حبل قوي شديد.

السورة في الآخرة بنار موقدة يصلاها ويُشوى بها، وقرنت زوجته به في ذلك، واختصتها بلون من العذاب شديد، هو ما يكون حول عنقها من حبل من ليف تُجذب به في النار، زيادة في التنكيل والدمار[1].

وسميت السورة بسورة المسد لقول الله تعالى: ﴿فِي جِيدِهَا حَبْلٌ مِّن مَّسَدٍ﴾.

وعن سبب نزول هذه السورة الكريمة يقول ابن عباس رضي الله عنهما:

صعد النبي ﷺ على الصفا ذات يوم، فجعل ينادي: يا بني فهر، يا بني عدي، يا بني فلان حتى اجتمعوا، فجعل الرجل إذا لم يستطع أن يخرج، أرسل رسولاً ينظر، وجاء أبو لهب وقريش، فاجتمعوا، فقال:

(١) صفوة التفاسير (٣/٦١٧).

«أرأيتم لو أخبرتكم أن العدو يُصبِّحكم أو يُمسيكم، أكنتم مصدقيَّ؟» قالوا: نعم، ما جربنا عليك إلا صدقًا. قال: «فإني نذير لكم بين يدي عذاب شديد».

فقال أبو لهب: تبًّا لك سائر اليوم، ألهذا جمعتنا؟! فنزلت: ﴿تَبَّتْ يَدَا أَبِي لَهَبٍ﴾(1).

* فتعالوا بنا لنتعايش بقلوبنا مع تفسير سورة المسد:

* ﴿تَبَّتْ يَدَا أَبِي لَهَبٍ وَتَبَّ﴾ أي: هلكت يدا أبي لهب وخاب وخسر وضل عمله... وقد كان ذلك فقد هلك وخاب وخسر.

* ﴿مَا أَغْنَىٰ عَنْهُ مَالُهُ وَمَا كَسَبَ﴾ أي: ما دفع عنه ماله عذاب الله (جلَّ وعلا) لم ينفعه ماله ولا جاهه ولا أولاده بل لقد مات أسوأ ميتة وسوف يدخل النار يوم القيامة... ولقد كان لأبي لهب

(1) حديث صحيح: أخرجه البخاري (٤٨٠١، ٤٩٧٢)، ومسلم (٢٠٨).

ثلاثة أبناء: عتبة ومعتب وعتيبة وقد أسلم الأولان يوم الفتح، وشهدا حُنينًا والطائف، وأما عتيبة فلم يسلم، وكانت أم كلثوم بنت رسول الله ﷺ عنده، وأختها رقية عند أخيه عتبة، فلما نزلت السورة قال أبو لهب لهما: رأسي ورأسكما حرام إن لم تطلقا ابنتي محمد، فطلقاهما ولما أراد عُتيبة الخروج إلى الشام مع أبيه قال: لآتين محمدًا وأوذينه فأتاه فقال: يا محمد، إني كافر بالنجم إذا هوى، وبالذي دنا فتدلى، ثم تفل أمام النبي ﷺ وطلق ابنته أم كلثوم فغضب ﷺ ودعا عليه فقال: «**اللهم سلط عليه كلبًا من كلابك**» فافترسه الأسد، وهلك أبو لهب بعد وقعة بدر بسبع ليال بمرض مُعد كالطاعون يسمى «العدسة» وبقى ثلاثة أيام حتى أنتن، فلما خافوا العار حفروا له حفرة ودفعوه إليها بعود حتى

وقع فيها ثم قذفوه بالحجارة حتى واروه، فكان الأمر كما أخبر به القرآن.

* ﴿سَيَصْلَىٰ نَارًا ذَاتَ لَهَبٍ﴾ أي: سيدخل نارًا حامية، ذات اشتعال وتوقد عظيم، وهى نار جهنم.

* ﴿وَامْرَأَتُهُ حَمَّالَةَ الْحَطَبِ﴾ أي: وستدخل معه نار جهنم، امرأته العوراء أم جميل التى كانت تمشى بالنميمة بين الناس، وتوقد بينهم نار العداوة والبغضاء وكانت تحمل حزمة من الشوك والحسك فتنثرها بالليل فى طريق النبى ﷺ لإيذائه[1].

* ﴿فِي جِيدِهَا حَبْلٌ مِّن مَّسَدٍ﴾ أي: فى عنقها يوم القيامة حبلٌ قوى شديد من النار أو طوق من حديد تُشَدُّ به إلى نار جهنم.

* * *

(١) صفوة التفاسير: (٣/٦١٨، ٦١٩).

سورة الإخلاص

بسم الله الرحمن الرحيم ﴿قُلْ هُوَ اللَّهُ أَحَدٌ (١) اللَّهُ الصَّمَدُ (٢) لَمْ يَلِدْ وَلَمْ يُولَدْ (٣) وَلَمْ يَكُن لَّهُ كُفُوًا أَحَدٌ﴾.

● **سبب النزول:**

رُوى أن بعض المشركين جاؤوا إلى رسول الله ﷺ فقالوا: يا محمد صِف لنا ربك، أمن ذهب هو، أم من فضة، أم من زبرجد، أم من ياقوت؟!

فنزلت: ﴿قُلْ هُوَ اللَّهُ أَحَدٌ (١) اللَّهُ الصَّمَدُ﴾ السورة.

* وعن أبي الدرداء رضي الله عنه عن النبي ﷺ قال: «أيعجز أحدكم أن يقرأ في ليلة ثلث القرآن» قالوا: وكيف يقرأ ثلث القرآن؟ قال: ﴿قُلْ هُوَ اللَّهُ أَحَدٌ﴾ تعدل ثلث القرآن»(١).

(١) رواه مسلم (٨١١).

* وعن عائشة رضي الله عنها أن النبي ﷺ بعث رجلاً على سرية وكان يقرأ لأصحابه في صلاتهم فيختم بـ﴿قُلْ هُوَ اللَّهُ أَحَدٌ﴾ فلما رجعوا ذكروا ذلك للنبي ﷺ فقال: «سلوه لأي شيء يصنع ذلك» فسألوه فقال: لأنها صفة الرحمن وأنا أحب أن أقرأ بها فقال النبي ﷺ: «أخبروه أن الله يحبه»(1).

* وعن أنس رضي الله عنه أن رجلاً قال: يا رسول الله إني أحب هذه السورة ﴿قُلْ هُوَ اللَّهُ أَحَدٌ﴾ قال: «إن حبها أدخلك الجنة»(2).

* فتعالوا بنا لنتعايش بقلوبنا مع تفسير سورة الإخلاص:

* ﴿قُلْ هُوَ اللَّهُ أَحَدٌ﴾ أي: قل يا محمد لهؤلاء

---

(1) رواه البخاري (٦٩٤٠)، ومسلم (٨١٣).

(2) صحيح: رواه الترمذي وقال: حديث حسن، وصححه الألباني في صحيح الترمذي (٢٩٠١)، ومشكاة المصابيح (٢١٣٠).

المشركين إن ربى الذى أعبده وأدعوكم إليه: واحد أحد، لا نظير له ولا شبيه ولا صاحبة، ولا ولد، ولا شريك له فى ذاته، ولا فى صفاته، ولا فى أفعاله.

* ﴿اللَّهُ الصَّمَدُ﴾ أى: هو - جل وعلا - المقصودُ فى الحوائج على الدوام، يحتاج إليه الخلق وهو مُستغنٍ عن العالمين، تصمد إليه القلوب، أى: تتجه إليه ونحوه على الدوام.

* ﴿لَمْ يَلِدْ﴾ أى: لم يتخذ ولدًا وليس له أبناء ولا بنات.

* ﴿وَلَمْ يُولَدْ﴾ أى: ولم يولد من أبٍ ولا أم، فهو الأول الذى ليس قبله شىء.

* ﴿وَلَمْ يَكُن لَّهُ كُفُوًا أَحَدٌ﴾ أى: وليس له - جل وعلا - مثيل، ولا نظير، ولا شبيه من خلقه، لا فى ذاته، ولا فى صفاته، ولا فى أفعاله.

سورة الفلق

بِسْمِ اللَّهِ الرَّحْمَنِ الرَّحِيمِ ﴿قُلْ أَعُوذُ بِرَبِّ الْفَلَقِ(١) ۝١ مِن شَرِّ مَا خَلَقَ ۝٢ وَمِن شَرِّ غَاسِقٍ(٢) إِذَا وَقَبَ(٣) ۝٣ وَمِن شَرِّ النَّفَّاثَاتِ(٤) فِي الْعُقَدِ(٥) ۝٤ وَمِن شَرِّ حَاسِدٍ إِذَا حَسَدَ﴾.

* سورة الفلق مكية، وفيها تعليم للعباد أن يلجؤوا إلى حمى الرحمن، ويستعيذوا بجلاله وسلطانه من شر مخلوقاته ومن شر الليل إذا أظلم، لما يصيب النفوس فيه من الوحشة، ولانتشار الأشرار والفجار فيه، ومن شر كل حاسد وساحر، وهي إحدى

---

(١) ﴿الفَلَق﴾: الصبح.

(٢) ﴿غاسِق﴾: الليل إذا اشتد ظلامه.

(٣) ﴿وَقَب﴾ أي: انتشر.

(٤) ﴿النَّفَّاثات﴾: الساحرات اللاتي ينفخن.

(٥) ﴿العُقَد﴾: عُقَد في خيوط.

المعوذتين اللتين كان ﷺ يُعوِّذ نفسه بهما(1).

فضل المعوذات

عن عقبه بن عامر رضي الله عنه أن رسول الله ﷺ قال: «ألم تر آيات أُنزلت هذه الليلة لم ير مثلهن قط؟ ﴿قُلْ أَعُوذُ بِرَبِّ الْفَلَقِ﴾، و﴿قُلْ أَعُوذُ بِرَبِّ النَّاسِ﴾»(2).

وعن أبي سعيد الخدري رضي الله عنه قال: «كان رسول الله ﷺ يتعوذ من الجان وعين الإنسان حتى نزلت المعوذتان فلما نزلتا أخذ بهما وترك ما سواهما»(3).

* فتعالوا بنا لنتعايش بقلوبنا مع تفسير سورة الفلق:

* ﴿قُلْ أَعُوذُ بِرَبِّ الْفَلَقِ﴾ أي: قل يا محمد: أعتصم وألتجيء وأستجير برب الفلق - وهو الصبح الذي ينفلق عنه الليل -.

(1) صفوة التفاسير (3/623).
(2) رواه مسلم (814).
(3) صحيح: رواه الترمذي وقال: حديث حسن، وصححه الألباني في صحيح الترمذي (2058)، وصحيح الجامع (4902)، والمشكاة (4563).

* ﴿مِن شَرِّ مَا خَلَقَ﴾ أى: أعوذ بالله من شر جميع المخلوقات من الإنس والجن والدواب والهوام ومن شر كل ذى شر.

* ﴿وَمِن شَرِّ غَاسِقٍ إِذَا وَقَبَ﴾ أى: وأعوذ بالله من شر الليل إذا اشتد ظلامه وانتشر أهل الشر من الإنس والجن.

* ﴿وَمِن شَرِّ النَّفَّاثَاتِ فِي الْعُقَدِ﴾ أى: وأعوذ بالله من شر الساحرات اللائى يعقدن عُقدًا فى خيوط وينفخن فيها لكى يؤذوا بها الناس من حولهم - والنفث: هواء يخرج من الفم بلا ريق.

* ﴿وَمِن شَرِّ حَاسِدٍ إِذَا حَسَدَ﴾ أى: وأعوذ بالله من شر كل حاسد يكره أن يرى نعم الله على خلقه ويتمنى زوالها ولا يرضى برزقه بل يعترض على قضاء الله ويكره الخير للناس من حوله.

سورة الناس

بسم الله الرحمن الرحيم ﴿قُلْ أَعُوذُ بِرَبِّ النَّاسِ (١) مَلِكِ النَّاسِ (٢) إِلَهِ النَّاسِ (٣) مِن شَرِّ الْوَسْوَاسِ (١) الْخَنَّاسِ (٢) (٤) الَّذِي يُوَسْوِسُ فِي صُدُورِ النَّاسِ (٥) مِنَ الْجِنَّةِ (٣) وَالنَّاسِ﴾.

* سورة الناس مكية، وهي ثاني المعوذتين، وفيها الاستجارة والاحتماء برب الأرباب من شر أعدى الأعداء إبليس وأعوانه من شياطين الإنس والجن، الذي يغوون الناس بأنواع الوسوسة والإغواء.

* وقد خُتم الكتاب العزيز بالمعوذتين وبُدئ بالفاتحة، ليجمع بين حسن البدء، وحسن الختم، وذلك غاية الحسن والجمال، لأن العبد يستعين بالله

(١) ﴿الْوَسْوَاسِ﴾: الشيطان الموسوس.
(٢) ﴿الْخَنَّاسِ﴾: الذي يختفي ويتوارى.
(٣) ﴿الْجِنَّةِ﴾: جمع جنّي والمراد الجن.

ويلتجئ إليه، من بداية الأمر إلى نهايته[1].

* فتعالوا بنا لنتعايش بقلوبنا مع تفسير سورة الناس:

* ﴿قُلْ أَعُوذُ بِرَبِّ النَّاسِ﴾ أي: قل يا محمد أعتصم وأحتمي وألتجئ برب الناس وخالقهم ورازقهم الذي أحياهم وأوجدهم من العدم وأنعم عليهم بوافر النعم.

* ﴿مَلِكِ النَّاسِ﴾ أي: مالك جميع الخلق: حاكمين، ومحكومين.

* ﴿إِلَٰهِ النَّاسِ﴾ أي: معبودهم الذي لا معبود بحقٍّ سواه.

* ﴿مِن شَرِّ الْوَسْوَاسِ الْخَنَّاسِ﴾ أي: أعوذ بالله من شر الشيطان الذي يوحي للإنسان ويأمره في خفاء وتكرار؛ ليجعله يعصي ربه، وإذا ذكر العبد ربه يتراجع ويختفي؛ لأن العبد إذا غفل جثم الشيطان على قلبه، ونفث فيه الوساوس التي هي أصل

(١) صفوة التفاسير (٣/ ٦٢٥).

الشر، فإذا ذكر العبد ربه واستعاذ به؛ خنس الشيطان أي: تراجع وابتعد.

* ﴿الَّذِي يُوَسْوِسُ فِي صُدُورِ النَّاسِ﴾ أي: الذي يلقي في قلوب الناس وصدورهم الوساوس والأوهام.

* ﴿مِنَ الْجِنَّةِ وَالنَّاسِ﴾ أي: أعوذ بالله من كل من يوسوس في صدور الناس ويحثهم على الشر من شياطين الجن والإنس.

* قال الحسن: هما شيطانان؛ أما شيطان الجن فيوسوس في صدور الناس، وأما شيطان الإنس فيأتي علانية.

وقال قتادة: إن من الجن شياطين، وإن من الإنس شياطين، فتعوذوا بالله من شياطين الإنس والجن

* * *

الفهرس

ثمرات حفظ القرآن الكريم

القواعد الذهبية لحفظ القرآن

* * *